



جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فروع العقيدة

الشيخ محمد سعيد وآراؤه

في العقيدة الإسلامية - عرض ونقد

رسالة مقدمة

لتحليل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إعداد

حافظ محمد سعيد الجعبري

إشراف

الدكتور الدكتور سليمان دينا

٢٤٦٤

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

وَبِسْمِ اللَّهِ
الَّذِي نَسْتَعِينُ

الفصل الثالث : الوحي وامكانه :

=====

- ١ - تعريف الوحي
- ٢ - امكان حصوله
- ٣ - وقوعه

١ - تعريف الوحي

=====

أ : - في اللغة : عرف الشيخ محمد عبده " الوحي " لغة فقال :-
يقال : وحيت اليه واوحيت ، انزل كلمته بها تخفيه

• عن غيره

• والوحي مصدر من ذلك

• واليكتوب ، والرسالة ، وكل ما القا به الى غيرك ليعلمه

يقال له وحي • ثم اظب فيما يلقى الى الانبياء من قبل

الله • " ١ "

ب : - في الشرع : عرف الشيخ محمد عبده الوحي : بأنه عرفان " ٢ " يجده
الشخص من نفسه ، مع اليقين بأنه من الله بواسطة او

١ - انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤١٤) •

٢ - ويفرق بينه وبين الالهام بان الالهام وجدان تستيقنه النفس ، وتنساق

الى ما يطلب على غير شعور منها من اين اتى •

• والالهام اشبه ما يكون بالجوع والمعش ، والحزن والسرور

• وليس شرطاً في الالهام ان تستيقن النفس مصدره •

• انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة (٣ : ٤١٤) •

بغير واسطة •
وقسم الشيخ محمد عبده ما يكون بواسطة ؛ الى ما يكون بصوت يتعمل لسمعه او
بغير صوت •

٢ - اماكن حصول الوحي

=====

يقصد الشيخ محمد عبده بامكان حصول الوحي : جواز حصول العلم من

الله تعالى بما فيه مصلحة البشر •

وبينه الشيخ محمد عبده الى ان حصول هذا العلم في غاية اليسر والسهولة

لكل ذي عقل سليم ، يطلب الحق خاليا عن المؤثرات •

ويتساءل الشيخ محمد عبده قائلا : اى استحالة في الوحي وان

ينكشف لانسان ما لا ينكشف لغيره ، من غير فكر ولا ترتيب مقدمات ، مع العلم

ان ذلك من قبل واهب الفكر ومناج النظر ، متى حفت العناية من ميزته هذه

النعمة ؟ •

يقول الشيخ محمد عبده في ذلك :-

(ما شهدت به البديهة ، ان درجات العقول متفاوتة ، يعلو

بعضها بعضا ، وان الادنى منها لا يدرك ما عليه الاعلى ، الا على وجه من

الاجمال ، وان ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط ، بل لا بد معه من

التفاوت في الفطر التي لا تدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه •

ولا شبهة في ان من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو

ارقى منه ، ولا تزال المراتب ترتقي في ذلك الى ما لا يحصره المدد ، وان من

ارباب الهمم ، وكبار النفوس من يرى البعيد عن صفاتها قريبا ، فيسمى اليه ثم

يدركه ، والناس دونه ينكرون بدايته ، ويعجبون لنهايته ، ثم يالفون ما صار

اليه كأنه من المعروف الذي لا يفتاح ، والظاهر الذي لا يجاحد ، فاذا انكره منكر

ثاروا عليه ثورتهم في بادئ الامر على من دعاهم اليه ، ولا يزال هذا الصنف من
الناس على قلبه ظاهرا في كل امة الى اليوم ،
فاذا سلم - ولا محيص عن التسليم - بما اسلفنا من المقدمات ، فمن
ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها ، عند الوصول اليها ، ان لا
يسلم بأن من النفوس البشرية " ١ " ما يكون لها من ثناء الجوهر ، بأصل الفطرة ،
ما تستعد به ، من محض الفيض الالهي لان تتصل بالافق الاعلى ، وتنتهي من
الانسانية الى الذروة العليا ، وتشهد من امر الله شهودا العيان ما لم يصل غيرها
الى تعقله او تحسسه بحصص الدليل والبرهان . وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو
وضوحا على ما يتلقاه احدنا عن اساتذة التعاليم ، ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم
ما علمت ودعوة الناس الى ما حملت على ابلاغه اليهم وان يكون ذلك سنة الله في كل امة
وفي كل زمان على حسب الحاجة .

يظهر برحمته من يختص بعنايته ، ليفي للاجتماع بما يضطر اليه من
مصلحة ، الى ان يبلغ النوع الانساني اشده ، وتكون الاعلام التي نصبها لهدايته
وسعادتة كافية في ارشاده ، فتختم الرسالة ويخلق باب النبوة) " ٢ "

٣ - وقوع الوحي

=====

ذكر الشيخ محمد عبده ان الدليل على رسالة نبي وصدقه فيما يحكيه عن ربه ،
ظاهر للشاهد الذي يرى حاله ، ويبصر ما اتاه الله من الايات البينات ، ويحقق
بالعيان ما يخفيه عن الهيان .

-
- ١ - هذا يفسر قوله السابق : النبي : (انسان فطر على الحق علما وعملا) ،
فهذا الذي يقوله هناك يفسره ما يقوله هنا .
 - ٢ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤١٥ ، ٤١٦) .

اما للغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر ، وهو رواية جمع عن جمع . . .
يستحيل تواترهم على الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واياته قهر
النفوس على اليقين بما جاء في الخبر .

ويرى الشيخ محمد عبده انه لا نزاع بين العقلاء في ان هذا النوع من الاخبار
يقصد الاخبار بطريق التواتر - يحصل اليقين بالمخبر به .
ويذكر الشيخ محمد عبده ان من الانبياء عليهم السلام من استوفى الخبر عنهم
شرائط التواتر كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

ويقول :

(وما جاء به الخبر انهم لم يكونوا فيمن يمشوا بينهم بالاقوى سلطانا ،
ولا بالاكثرا لا ، ولم يختصهم احد بالعناية بهم لتعليمهم علم ما دعوا اليه ، وغاية
الامر انهم لم يكونوا من الادنين الذين تعافهم النفوس ، وتنبوا عنهم الانظار ، ومع
ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ، ووفرة المال لديه ، واستعلائه عليهم بما
كسب من العلم ، قاموا بالدعوة الى الله رغم الملوك واجنادهم ، وصاحوا بهم
صيحة زلزلتهم في عروشهم ، وادعوا انهم يملفون عن خالق السموات والارض ما اراد
شرعه للناس ، واقاموا من الدليل ما تصاغت دونه قوة المعارضة ، ثم ثبتت في
الكون شرائعهم ثبات الخريزة في الفطرة ، وكان الخير لامهم في اتباع ما جاؤا به .

حالفتهم القوة ، واحتضنتهم السمادة ما كانوا قائمين عليها ، ورزأهم

الضعف وغالبهم الشقاء ما انحرفوا عنها ، وخططوا فيها ، فهذا وما اقاموه من
الادلة عند التحدى لا يصح معه ، في العقل ان يكونوا كاذبين في حديثهم عن الله ،
ولا في دعواهم انه كان يوحى اليهم ما شرعوا للناس .

على ان من لا يعتقد ما يقول ، لا يبقى لعناله اثر في العقول ، والباطل
لا بقاء له الا في الغفلة عنه ، كالنبات الخبيث في الارض الطيبة ينبت باهمالها ،
وينمو باغفالها ، فاذا لامستها عناية الزارع غلب الخصب وذهب به الزكاء .

ولكن تلك الديانات التي جاء بها اولئك الانبياء قامت في العالم الانساني
ما شاء الله ما قدر لها ، مقام سائر قواه ، مع كثرة المعارضين ، وقوة سلطان
المفاليين ، فلا يمكن ان يكون اساسها الكذب ، ودعائها الحيلة ، وكلامها
هذا في جوهرها الذي يلوح دائما في خلال ما الحق بهما المجتدعون (١) .

اما بقية الرسل من يجب علينا الايمان بهم ، فان الشيخ محمد عبده
يرى انه يكفي في اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،
فقد اخبرنا نبينا عليه الصلاة والسلام برسالاتهم ، وهو الصادق فيما بلغ به .

وسياتي الكلام عن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الفصل الخامس
من هذا الباب ان شاء الله تعالى .

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤١٩) .

النظري في مذهب الشيخ محمد عبده بخصوص الوحي وامكانه :

=====

وقبل ان اعقب على كلام الشيخ محمد عبده في الوحي وامكان وقوعه ، اقول :-
ان الوحي والنبوة متلازمان من حيث ان الوحي هو اساس النبوة ، وبدونه تنعدم
النبوة ، وينعدم الانبياء .

فحقيقة النبوة : نزول الوحي من عند الله على النبي .
فالوحي والنبوة متلازمان ، والحديث عن الوحي متصل بالحديث عن
النبوة ، كما ان الحديث عن النبوة متصل بالحديث عن الوحي ، فلا وحي بلا
نبوة ، ولا نبوة من غير وحي .

١ - تعريف الوحي :

===== عرف الشيخ محمد عبده الوحي في اللغة بأنه اعلام

في خفاء . وهو تعريف صحيح ذهب اليه معظم العلماء " ١ " وقالوا :-

قد يكون هذا الاعلام " بالاشارة " كما ورد في قوله تعالى :-

" فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا " . " ٢ "

ومعنى قوله تعالى " اوحى اليهم " : اشار اليهم .

وقد يكون " بالالهام " كما ورد في قوله تعالى : " واوحينا الى ام موسى ان

ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه

من المرسلين " . " ٣ "

١ - انظر اساس البلاغة للزمخشري ص ٦٦٨ . / وانظر تاج الصروس

• (١٠ : ٣٨٥)

٢ - سورة مريم آية (١١)

٣ - سورة القصص آية (٧)

وكما في قوله تعالى : " واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل
ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء
للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون " . " ١)

ويقول صاحب لسان العرب " ٢ : ويطلق الوحي على الكلام الخفي وكل ما القي
الى الخير من الكلام .

اما في الشرع ، فقد عرف العلماء الوحي بأنه اعلام الله تعالى نبيا من
انبيائه حكما شرعيا او نحوه .

ومعنى اعلام الله : اخباره ، وقد يكون منه تعالى مباشرة كما في فرض

الصلاة ،

وقد يكون بواسطة الملك جبريل عليه السلام كما هو معلوم ، او بغير ذلك .
والحكم الشرعي : يتناول الاحكام الاصلية وهي العقائد كقوله تعالى :
" فاعلم انه لا اله الا الله " . " ٣ "

ويتناول الاحكام الفرعية وهي العمليات كقوله تعالى : " واقموا الصلاة
واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين " . " ٤ "

والمراد بكلام العلماء " او نحوه " : قصص الانبياء وغيرهم .

وبناء على هذا ، استطيع ان احكم بقصور تعريف الشيخ محمد عبده للوحي
لان للعلماء قيدين في المعنى الشرعي للوحي :

-
- ١ - سورة النحل الايات (٦٨ - ٦٩) .
 - ٢ - لسان العرب لابن منظور ، مادة " وحي " (١٥ : ٣٧٩) .
 - ٣ - سورة محمد اية (١٩) .
 - ٤ - سورة البقرة اية (٤٣) .

الاول : ان يكون من عند الله .

الثاني : ان يكون لنبي من انبيائه .

والشيخ محمد عبده لم يبين هوية الشخص الذي يحصل له هذا العرفان ، وكان ينبغي عليه ان ينص ايضا على هوية هذا العرفان ، وانه تكاليف امره الله بتبليغها للناس ، ليعملوا بها ، او ان يعمل بها بنفسه .

وايضا : فقد اجمل الشيخ محمد عبده صور هذا العرفان ، او طرائقه ، وكان الاولى به ان يفصل ، كما جرت عادة العلماء ، وقد فعل ذلك العلامة الامام ابن القيم رحمه الله فقال وهو يذكر مراتب الوحي :-

احداها :- الوحي باللقاء في القلب ، كما ورد فن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال :- " ان روح القدس " ا " نفث في روحي " ٢ "

ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ، وتستوفي اجلها ، فاتقوا

الله واجملوا في الطلب " . " ٣ "

الثانية :- الرؤيا الصادقة ، وكانت هداً وحيه صلى الله عليه وسلم .

عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " اول ما بدئ به رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل

فلق الصبح " . " ٤ "

وكما في رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام :-

قال تعالى : " قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابا

افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين " . " ٥ "

١ - يعني جبريل عليه السلام .

٢ - اى القى في قلبه .

٣ - الحديث صحيح . ومتفق عليه .

٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، تحقيق وتصحيح واشراف

عبد العزيز بن باز ، (١ : ٢٣) .

٥ - سورة الصافات الايات (١٠١ - ١٠٢) .

الثالثة :- انه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي

ما يقول له ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة احيانا •

سأل الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : يا رسول

الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو

اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، و احيانا يتمثل لي الملك

رجلا فأعي ما يقول " ١ " •

الرابعة :- انه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان اشده عليه ، قيلتس به

الملك حتى ان جبينه ليثفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، وحتى ان

راحته لتبرك به الى الارض اذا كان راكبها ، ولقد جاء الوحي مرة

كذلك وفخذه صلى الله عليه وسلم على فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه ،

فثقلت عليه حتى كادت ترضها •

الخامسة :- ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي اليه ما شاء الله ان

يوحيه ، وهذا وقع له مرتين " ٢ " ، كما ذكر الله ذلك في سورة النجم •

قال تعالى : " ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى " • " ٣ "

السادسة : ما اوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فوض الصلاة وغيرها •

السابعة : كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران عليه

١ - فتح الباري شرح صحيح البخارى لابن حجر ، (١ : ١٨) •

٢ - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى (١ : ٢٣ و ٢٧) •

٣ - سورة النجم الايات (١٣ - ١٤) •

السلام ، وهذه المرتبة ثابتة لموسى عليه السلام قطعا بنص القران ، وثبوتها
لنبينا صلى الله عليه وسلم هو في حديث الاسراء ١٠ هـ " ١ " .
وصدق الله العظيم ان يقول : " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم " . " ٢ " .
ولا اعتراض على كلام الشيخ محمد عبده في امكان حصول الوحي ،
ووقوعه فان البعثة ممكنة عقلا عند المسلمين ، وكذلك الوحي .
فالبعثة والوحي ليسا من الامور المستحيلة عقلا ، فهما من قبل الله القادر
على كل شيء ، والعالم بكل شيء وهو " ذو العرش المجيد فعال لما يريد " . " ٣ " .
فالوحي بجميع صورته السابقة ليس من قبيل المستحيلات ، ولا من قبيل
الواجبات " ٤ " فهو جائز عقلا " ٥ " ، بل قد وقع فعلا ، ووقعت بعثة الانبياء ،
وجاءوا اقوامهم بالمعجزات ، وشهد ذلك الحاضر بالرواية ، وايقنه الغائب بالتواتر
القطعي ، فدل ذلك على امكان الوحي والبعثة ووقوعهما ، وقد حصل ذلك
بالفعل ، مع جميع الانبياء من اولئهم الى اخرهم ، وخاتمهم نبينا محمد عليهم جميعا
افضل الصلاة والسلام .

-
- ١ - زاد المعاد ، لابن القيم ، المطبعة المصرية ، الطبعة الاولى ١٣٤٧ هـ /
١٩٢٨ م . (١ : ١٨) .
وانظر كتاب : الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري ، الطبعة
الاولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص (٧٤ - ٨٠) .
 - ٢ - سورة الشورى اية (٥١) .
 - ٣ - سورة البروج الايات (١٥ - ١٦) .
 - ٤ - كما هو الحال عند المعتزلة .
انظر كتاب النجاة لابن سينا ص ٣٠٤ ، ط ٢ ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ .
وانظر المواقف لمعضد الدين الايجي وشرحه للشريف الجرجاني (٣ : ١٨٢)
وما بعدها .
 - ٥ - وهو مذاهب اهل السنة رضي الله عنهم . وجميع المسلمين .
انظر كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٧ / وانظر المواقف وشرحه (٣ : ١٨٣)
وانظر كتاب : الايمان بين الايات القرآنية والحقائق العلمية ، لعبد السلام
المهادي ، الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ٩٠ .

الفصل الرابع : وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام :

=====

فصل الشيخ محمد عبده وظيفه الرسل عليهم الصلاة والسلام على النحو

التالي :-

- ١ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يرشدون العقول الى معرفة الله ، ومعرفة صفاته ، ويبينون الحد الذي يجب ان يقف عنده في طلب ذلك العرفان .
 - ٢ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يجمعون كلمة الخلق على اله واحد ، ويطلبون منهم التوجه اليه وحده في جميع الاعمال والمعاملات ، ويذكرونهم بمعظمتهم بفرض ضروب من العبادات تذكروا لمن ينسى ، وتزكية لمن يخش .
 - ٣ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يفصلون بين الناس في ما يحدث بينهم من مخاصمات ، بأحكام من عند الله .
 - ٤ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يضعون للناس حدودا ، وقواعد ، واوامر وارشادات ، كلها من عند الله ، حتى يقفوا عندها ويرجموا اليها .
 - ٥ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يحولون اهتمام الناس من الركون الى الدنيا الفانية الى حياة الآخرة الباقية ، من غير تفريط ولا افراط .
 - ٦ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يبينون للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم ، ويحذرونهم ما يعرضهم لسخطه عليهم ، ويذكرونهم بالنشأة والمصير ، ويعرفونهم بالامور التي تكون بعد الموت ، ويعلمونهم من انباء الخيب ما اذن الله لعباده في العلم به .
- وينبه الشيخ محمد عبده الى انه ليس من وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام بيان كل شيء ، فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ، او الفلك ، او الجغرافية ، او الطب ، او الحساب الى اخر ما تمس اليه حاجة الانسان في الدنيا .

وما ورد من كلام الانبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام من الاشارة الى شي
من هذه العلوم ، انما يقصد منه النظر الى ما فيه من الدلالة على حكمة الخالق ،
وابداع الصنع ، او التفكير في مخلوقات الله تعالى لا يدرك بعض اسراره ودقائقه .

النظر في كلام الشيخ محمد عبده عن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام :

=====

اقول : ان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في بيان مهمة الرسل الكرام عليهم

الصلاة والسلام ، حتى ، لا غبار عليه .

ويمكنني ان اقول انه عين ما ذهب اليه السلف رضوان الله تعالى عليهم ،

الا ما جاء في الوظيفة الاولى ، من قوله : (يرشدون العقل الى معرفة الله) ،

فان هذا الكلام يحتاج الى ان اقف معه قليلا ، لعدم وضوحه ، فهو بحاجة الى

ايضاح ، ولانه بيت القصيد في الموضوع . وسأعقب عليه بعد قليل بان الله تعالى .

والسلف رضي الله تعالى عنهم يرون ان من وظائف الرسل عليهم السلام

دعوة الخلق الى عبادة الله وحده ، ويستشهدون على ذلك بآيات منها :-

وقوله تعالى : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله " . " ٢ " .

وقوله تعالى : " وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه " . " ٣ " .

وقوله تعالى : " والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله " . " ٤ " .

وقوله تعالى : " والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله " . " ٥ " .

١ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام (٣ : ٤٢٠ - ٤٢٢)

بتصرف .

٢ - سورة المؤمنون اية (٢٣) .

٣ - سورة العنكبوت اية (١٦) .

٤ - سورة الاعراف اية (٦٥) . وسورة هود اية (٥٠) .

٥ - سورة الاعراف اية (٧٣) . وسورة هود اية (٦١) .

- وقوله تعالى : " والى مدين اخاهم شميا قال يا قوم اعبدوا الله " ١ " .
- وقوله تعالى : " وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم " ٢ " .
- وقوله تعالى : " ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله " ٣ " .
- ويرون ايضا ان الرسل عليهم الصلاة والسلام يملفون اوامر الله عز وجل ،
ونواهيه الى البشر .
- قال تعالى : " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت
رسالته " ٤ " .
- وقال تعالى : " الذين يملفون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله " ٥ " .
- وهم ايضا يرشدون الناس الى الصراط المستقيم ، ويشيرون بالجنة من اطاع ،
وينذرون بالنار من عصى .
- قال تعالى : " يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
بازنه وسراجا منيرا " ٦ " .
- وقال تعالى : " ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور
وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور " ٧ " .
- وهم ايضا القدوة الحسنة ، والاسوة الصالحة للناس .
- قال تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الاخر وذكر الله كثيرا " ٨ " .

-
- ١ - سورة هود اية (٨٤) ، وسورة العنكبوت اية (٣٦) .
 - ٢ - سورة المائدة اية (٧٢) .
 - ٣ - سورة النحل اية (٣٦) .
 - ٤ - سورة المائدة اية (٦٧) .
 - ٥ - سورة الاحزاب اية (٣٩) .
 - ٦ - سورة الاحزاب اية (٤٥) .
 - ٧ - سورة ابراهيم اية (٥) .
 - ٨ - سورة الاحزاب اية (٢١) .

- وقال تعالى : " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " . " ١ "
- وقال تعالى : " قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه " . " ٢ "
- وقال تعالى : " لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد " . " ٣ "
- وهم ايضا يذكرون الناس بالنشأة والصير ويوجهون جل اهتمامهم من الحياة الدنيا ولذاتها الفانية الى الحياة الاخرى وتعيمها الباقي .
- قال تعالى : " وما هذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون " . " ٤ "
- وقال تعالى : " فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر " . " ٥ "
- واخيرا ، يرى السلف ان الله وكل هذه الوظائف الى انبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام : " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " . " ٦ "

-
- ١ - سورة الانعام اية (٩٠) .
 - ٢ - سورة الممتحنة اية (٤) .
 - ٣ - سورة الممتحنة اية (٦) .
 - ٤ - سورة العنكبوت اية (٦٤) .
 - ٥ - سورة الفاشية الايات (٢١ - ٢٢) .
 - ٦ - سورة النساء اية (١٦٥) .

"عود على بدء" :

=====

واعود الى ما قاله الشيخ محمد عبده من الوظيفة الاولى - (يرشدون
المقل الى معرفة الله) ، لابين ان معرفة الله ربا وخالقا ، والايمان به ،
في حدود هذا المفهوم ، دون ما وراءه من التفاصيل الدينية ، امر فطرى مركز
في النفس الانسانية .

وان الاقرار بالله فطرة فطر الله الناس عليها ، لا فرق في هذا بين

انسان وانسان ، ما دامت فطرهم سليمة .

بل ان الملحد ، والكافر حين يسأل عن خلقه ، وخلق السموات
والارض لا يطك الا ان يعترف بما هو مستكن في نفسه ، فيقول : " الله " " الله " ،
الا اذا كانت تسيطر عليه بعض الشبهات ، او الافكار الخبيثة ، او انصرف
الى لذائذ وشهوات المحرمة ، او تعصب لمذهب فحوله عن فطرته .

وفي القران من الايات ما يشهد لهذه الفطرة ، واليك بعضها من اياته :-

١ - قال تعالى : " هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين

بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج

من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له

الدين لئن انجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين " . " ١ "

هذه الاية تشهد بوضوح ان الانسان - طيبا كان او غير طيب - اذا المت

به مصيبة او احاطت به كارثة ، ثم انقطعتم به الاسباب ، فلا نصير ولا معين ،

فى هذا اليأس القاتل تظهر فيه الفطرة ، وتتجلى ، فيهرع الى مولاه ، يستجديه

الخلاص من هذا الهلاك العظيم . " ١ "

٢ - هذا فرعون المنيد يعلن امام الملا " ما كان يخفيه في نفسه . فبعد ان كان يقول لقومه : ما علمت لكم من اله غيري ، كما قال تعالى : " وقال فرعون يا ايها الملا " ما علمت لكم من اله غيري " . " ٢ " وكان يقول لهم : انا ربكم الاعلى ، كما قال تعالى : " فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى " . " ٣ " ، رجح الى فطرته ، واعترف بما كان يجب عليه ان يعترف به من قبل ان يدركه الخرق .

قال تعالى : " حتى اذا ادركه الخرق قال آمنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين " . " ٤ "

وصدق الله العظيم ان يقول :-

" واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه " . " ٥ "

ويقول تعالى : " واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اناقهم منه

رحمة اذا فريق منهم لهم يشركون " . " ٦ "

-
- ١ - انظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ، احمد بن محمد الشهاب ، دار صادر ، بيروت (٥ : ١٨) .
وانظر : التفسير الكبير ، للامام الفخر الرازي ، الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ (١٧ : ٧٠) .
وانظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للالوسي ، (١١ : ٩٧) .
وانظر كتاب : الله في العقيدة الاسلامية ، للشهيد حسن البنا ، الطبعة الثانية ، ص ٢٣ .
 - ٢ - سورة القصص اية (٢٨) .
 - ٣ - سورة النازعات الايات (٢٣ - ٢٤) .
 - ٤ - سورة يونس اية (٩٠) .
 - ٥ - سورة الاسراء اية (٦٧) .
 - ٦ - سورة الروم اية (٣٣) .

هذه هي حال الانسان ، يعرف به في حال الشدة ، وفي لحظة
انقطاع رجائه عن الكل يرجح الى ما هو مركز في نفسه ، فيعرف الله ويطلب منه
النجاة . " ١ "

ولكن هل احترم الانسان فطرته هذه ، وخضع لمنطقها السليم ؟
كلا ، انه اذا ازال الله عنه اليباس والضراء ، وقضى حاجته ، نسي
او تناسى تلك الفطرة التي تنادى بفاطر السموات والارض ، والتي تلج بالنداء بذلك
الصوت الالهي المنهث من اعماق النفس الانسانية ، تناديه في كل حين :

ان لا تغفل عما التزمت به تجاه خالقك .
قال تعالى : " فلما اتجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق " . " ٢ "
وقال تعالى : " فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره " . " ٣ "
وقال تعالى : " ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بيزيم يشركون " . " ٤ "
وقال تعالى : " فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون " . " ٥ "

من اجل هذا جاء الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، لتكميل
الفطرة ، وتنبيهها ، وايقاظها ، وتوجيهها ، ليس الى ان تعرف الله - كما
قال الشيخ محمد عبده - لان في الفطرة معرفة الله تلقائيا ، وانما الى
الرجوع الى الله ، وعدم الاعراض عنه ، وترك الاراء ، والاهواء الضالة ،
ونبذها ، - كما قال الشيخ محمد عبده ، في موضع آخر =

-
- ١ - انظر : التفسير الكبير ، للفخر الرازي (٢٦ : ٢٨٢) .
 - (٢٥ : ١٢١) .
 - ٢ - سورة يونس اية (٢٢) .
 - ٣ - سورة يونس اية (١٢) .
 - ٤ - سورة النحل اية (٥٤) .
 - ٥ - سورة الزخرف اية (٥٠) .

(وللحاجة الى اولئك المصطفين انما هي في معرفة الصفات التي اذن

الله ان تعلم منه ، وليست في الاعتقاد بوجوده) "١"

وايضا ، جاءت الرسل لدعوة الخلق الى التوحيد ، والى هذا اشارت

الايات السابقة الذكر ، على لسان رسل الله ، اذ قالوا لاقوامهم : "اعبدوا

الله ما لكم من اله غيره "

يقول الامام ، حجة الاسلام ، الفزالي رحمه الله :

(بعث الله الانبياء لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا : " لا اله الا الله "

وما امنوا ان يقولوا : لنا اله ، وللعالم اله ، فان ذلك كان مجبولا في فطرهم

من مبدأ نشوتهم ، وفي عنقوان شبايبهم ، ولذلك قال الله عز وجل :

" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله " ، "٢" ، وقال تعالى :

" فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها " "٣" ، فاذا في

فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن البيان " "٤"

ويقول الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(بل الرسل صلوات الله عليهم بينت العلوم العقلية التي بها يتم دين

الناس علما وعملا ، وضربت الامثال ، فكلمت الفطرة بما نهبتها عليه ، وارشدتها

مما كانت الفطرة معرضة عنه ، او كانت الفطرة قد فسدت بما حصل لها من الاراء " "٥"

والاهواء الفاسدة ، فأزالت ذلك الفساد ، وسينت ما كانت الفطرة معرضة عنه)

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٣٢) .

٢ - سورة لقمان اية (٢٥) .

٣ - سورة الروم اية (٣٠) .

٤ - احياء علوم الدين ، ابو حامد الفزالي (١ : ١٠٥) ، دار المعرفة ،

بيروت .

٥ - الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، الطبعة الثانية ص ٢٨٢ .

وانظر : مجموع الفتاوى (٥ : ٢٦٠) .

ويقول الاستاذ وحيد الدين خان :

(ان اكتشاف الله - يعني معرفته - استجابة لنداء داخلي ، وعند ما
يظفر الانسان بذلك القبح من المعرفة ، يفاجأ بظهوره جزأ من كيانه ،
فعلاقته بهذه المعرفة ليست علاقة عقلية ، وانما هي علاقة نفسية وكل ما
يشكل جزأ نفسيا من كيان الانسان لا يحتاج الى دليل) " ١ " .
وبالجملة فان ما جاء به الرسل ، وما يدركه العقل السليم ، يلتقيان
عند نقطة واحدة ، هي ايقاظ الفطرة ، وتنبيهها ، وتوجيهها " ٢ " .
قال تعالى : " ولقد يسرنا القرآن للذكرفهمل للذكرفهمل من مذكر " " ٣ " .

-
- ١ - الدين في مواجهة العلم ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الاسلام خان ،
مراجعة عبد الحليم عويس ، الطبعة الثالثة ، المختار الاسلامي ،
القاهرة ص ٣ .
 - ٢ - وما تجدر الاشارة اليه ان المسؤولية والجزاء ، والثواب والمعقاب ،
ارتبطت كلها بعمل الرسل ، وهو ايقاظ العقل وتنبيهه ، واقامة الحجج
له ، وعليه ، لذلك من لم تبهله دعوة الرسل تسقط عنه التكليف رغم
وجود الفطرة عنده ، فالفطرة وحدها غير كافية لتحقيق المسؤولية .
قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " الاسراء اية (١٥)
وقال تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسال " النساء اية (١٦٥)
 - ٣ - سورة القمر الايات (١٧ ، ٢٢ ، ٣٢) .

الفصل الخامس : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقران معجزة الاسلام

الخالصة :

=====

أ : - رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ب : - القران معجزة الاسلام .

أ : - رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

=====

تحت هذا العنوان ، كتب الشيخ محمد عبده ، كلمة استعارها من التاريخ
يكاد يجمع عليها الكتاب ، والمؤرخون ، الذين ارخوا لذلك العهد الذي
اشرفت فيه شمس الرسالة الاسلامية ، وبرز فيه نور النبوة المحمدية . بين فيها كيف
كانت حاجة العالم كله ماسة الى رسالة تروى بسكان الارض الى رشد يقيم الانسان
على الطريق التي سنها الله له ، ليبلغ بذلك كماله ، ويصل الى ما اعد له في
الدارين . . .

ويمكن تلخيص ما جاء في هذه الكلمة في النقاط التالية :-

- ١ - التنازع والتجالد المستمر بين دولة الفرس في الشرق ، ودولة الروم في الغرب . فسفكت الدماء ، وانهكت القوى ، واهلكت الاموال . . . الى اخر ذلك مما تجلبه الحرب وينتج عن القتال .
- ٢ - ظهور طبقة الشرفيين من السلاطين ، والامراء ، والقواد ، وروماة الاديان ، من كل امة ، فكان الزهو ، والنفخخة ، والاسراف ، والتفنن في الملاذ . . . اما بقية الرعية فقد اثقلت ظهورها من كثرة ما طلب منها ، فاستولى عليها ضروب من الفقر ، والذل ، والخوف ، والاضطراب ، مما ادى الى قسدان الشخصية وانعدام الاستقلال .

٣ — انحرفت تصورات الناس ومعتقداتهم ، وخاصة عند طبقة السادة ، الذين
انشؤوا سجيا من الاوهام والخرافات ، والقوا بها في عقول العامة ، حتى
لا يهتدوا الى السبيل بطريقى لديهم من بضيض النور الالهي ، نور الفطرة ،
فيثوروا على من ظلموهم .

٤ — نشأ صراع عنيف بين الدين ، والعقل ، ادى في النهاية الى الثورة
على الدين ، وتنحيته عن الحياة ، فظهرت الهدع والخرافات ، وسبق
الناس الى الوثنية ، ومعدوا عن التوحيد ، وظهرت مذاهب الاباحيين ،
والدهريين ، في شعوب متعددة .

٥ — اما بالنسبة الى الامة العربية ، فقد كانت فيها قبائل شتى ، متخالفة في
النزعات ، خاضعة للشهوات ، كتربينها الغزو ، وسفك الدماء ، وسلب
الاموال ، بسبب الطمع وفساد الاعتقاد .

بلغوا من سخافة العقل حدا صنعوا اصنامهم من الحطوى ، ثم عبدوها ،
فلما اجاعوا اكلوها ، وبلغوا من تضعف الاخلاق وهنأ قتلوا فيه بناتهم تخلصا
من عار حياتهن او تنصلا من نفقات معيشتهن .
والجملة : كانت ربط النظام الاجتماعي قد تراخت عقدها في كل امة ،
وانقصت عراها عند كل طائفة .

هذا ما اتفق عليه مؤرخوا ذلك العهد ، وهذه حالة الاقوام كانت في
معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معاشهم ، عبيد انلاء ، حيارى ، في جهالة
عمياء " ١ "

١ — انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٢٦) ،
بتصرف .

ومن هنا يصل الشيخ محمد عبده الى بيان حاجة سكان الارض الى رسالة
فيها هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والاخرة .
ويقول :- (اقلم يكن من رحمة الله باولئك الاقوام ان يؤد بهم برجل منهم ،
فيوحي اليه رسالته ، ويمنحه عنايته ، ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف
تلك الغم ، التي اظلت رؤوس جميع الامم ؟) بلى كان من رحمة الله بهم
ان يبعث فيهم من وقع عليه اختياره ليقوم بهذه المهمة وهو محمد بن عبد الله صلى
الله عليه وسلم .

ويعرض الشيخ محمد عبده سيرته العطرة قبل النبوة ويعددها فيقول ما ملخصه :
١ - ولد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، بمكة المكرمة ، بعد ان مات
والده بزمن يسير ، فنشأ على اليتيم ، وخشونة العيش والام الحياة .
وفي السنة السادسة من عمره ، ماتت امه ، فاحتضنه جده عبد المطلب ،
ومد سنتين من كفالته ، توفي جده ، فكله عمه ابوطالب .
٢ - كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا ، وفضيلة وادبا ، حتى عرف بين اهل مكة ،
" بالامين " ، ولم يكن هذا الاحد غيره من قبل .
يقول الشيخ محمد عبده : (ادب الهي لم تجر العادة بأن تزين به
نفوس الايتام من الفقراء ، خصوصا مع فقر القوام ، فاكتمل صلى الله عليه
وسلم كاملا والقوم ناقصون ، وفيما والناس منحطون ، موحدوا وهم وثنيون ،
سلما وهم شاغبون ، صحيح الاعتقاد وهم وا همون مطبوع على الخير وهم به
جاهلون ، وعن سبيله عادلون) . " ١ " .
لقد بغضت اليه الوثنية من مهاد عمره ، وطجلته طهارة العقيدة ،
كما بادره حسن الخلق والخلقة ، فهداه الله الى ما كانت تتلمسه بصيرته ،
باصطفاؤه لرسالته ، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته .

٣ - وبعد ان تزوج من خديجة رضي الله عنها ، وجد شيئا من المال يسد حاجته ، وكان له بذلك ما يرفه معيشته من غير ان تروقه الدنيا ، او تنفره زخارفها .

وجب اليه الخلاء ، للانفراد والانقطاع الى الفكر ، والمراقبة والتحنن بمنجاة الله تعالى . . . الى ان نزل عليه الوحي من المقام العلي ، فصار بذلك نبيا ورسولا .

٤ - نهى صلى الله عليه وسلم ، وحيدا ، ترطاه عناية الله ، يدعو الناس الى التوحيد ، ونبتذ الشرك ، وتحطيم الاصنام ، وتطهير المعتقدات مما كان شائعا في ذلك العصر ، من البدع والخرافات ، (فنادى في الوثنيين بترك اوثانهم ، وفي المشبهين بالتطهر من تشبيههم ، واهاب بالطبيعيين ليمدوا بصائرهم الى ما وراء حجاب الطبيعة ، وصاح بدوى الزعامة ليستكينوا لرسمهم ، وقرر ان لا سلطان لاحد من البشر على اخر منه الا ما رسمته الشريعة وفرضه العدل) .

والجملة : دعا الناس من عبادة الناس الى عبادة رب الناس ، ومن جور الاله يان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ، كل ذلك بالحجة والبيان ، فأخذهم بالنصيحة ، وازعجهم بالزجر ، ونبههم بالعبر ، وقرر ان لا سلطان لاحد من البشر على البشر ، واحاطهم مع ذلك بالموهبة الحسنة ، والقدة الصالحة ، فكانوا خيرا ما اخرجت للناس .

وينتهي الشيخ محمد عبده الى تقرير نبوته صلى الله عليه وسلم ،

ورسالته ، فيقول :-

(ما هذه القوة في ذلك الضعف ؟ ، ما هذا السلطان في مظنة

العجز ؟ ، ما هذا العلم في تلك الامية ؟ ، ما هذا الرشاد في

غمرات الجاهلية ؟ ...

ان هو الا خطاب الجبروت الاطى ، قارعة القدرة العظمى ، نداء العناية
العليا ، ذلك خطاب الله القادر على كل شي ، الذى وسع كل شي ، رحمة وعلما ،
ذلك امر الله الصانع ، يقرع الاذان ، ويشق الحجب ، ويمزق الخلف ،
وينفذ الى القلوب ، على لسان من اختاره لينطق به ، واختصه بذلك وهو
اضعف قومه ليقوم من هذا الاختصاص برهانا عليه ، بعيدا عن الظنة ، بريئا من
التهمة ، لاتيانه على غير المعتاد بين خلقه ...

اي برهان على النبوة اعظم من هذا ؟

اي قام يدعو الكاثمين الى فهم ما يكتبون ، وما يقرأون ،
بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ، ليمحصوا ما كانوا يعلمون في ناحية
من يتابع المعرفان جاء يرشد المعرفان ، ناشي بين الواهمين هب لتقوم بحج
الحكماء ، غريب في اقرب الشعوب الى سداجة الطبيعة ، وابعداها عن فهم
نظام الخليقة ، والنظر في سننها البديعة ، اخذ يقرر للعالم اصول الشريعة ،
ويخطط للسعادة طرقا لن يهلك سالكها ، ولن يخلص تاركها) ، اهـ

ب : - القرآن ، معجزة الاسلام الخالسة

=====

القران الكريم ، كتاب الله العظيم ، هو المعجزة الكبرى ، والرسالة

الصادقة . . .

عن هذا الموضوع كتب الشيخ محمد عبده ، فأثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، وواجب التصديق بذلك ، والاعتقاد بجميع ما ورد في القران والاخذ بكل ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من هدى وسنة متبعة .
واليك باختصار ما قاله الشيخ محمد عبده :-

١ - كما جاء الخبر المتواتر ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان في نشأته ، وامته على الحالة التي ذكرها الشيخ محمد عبده في الموضوع السابق ، فقد تواترت ايضا اخبار الامم لآفة على انه جاء بكتاب قال انه انزل عليه ، وان ذلك الكتاب هو القران الكريم المكتوب في المصاحف ، المحفوظ في صدور من عني بحفظه من المسلمين الى اليوم .

٢ - نزل القران في عصر اتفق العواة ، وتواترت الاخبار على انه ارقى الاعصار عند الحرب ، واغزرها مادة في الفصاحة ، وانه المماز بين جميع ما تقدمه من المصور بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطاب ، وانفس ما كانت الحرب تتنافس فيه من ثمار العقل ، وتناج الفطنة والذكاء ، والغلب في القول ، والسبق الى اصابة مكان الوجدان من القلوب ، وقهر الانعان من العقول . . .

٣ - وايضا ، فقد تواتر الخبر بحرص العرب على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتماسهم جميع الوسائل لابطال دعواه ، وتكذيبه في الاخبار عن الله ، وكان فيهم الطوك ، والامراء ، والقواد ، والعلماء ، والشعراء ، والخطباء ، والكتاب . . .

وقد اشتد جميع هؤلاء في مقاومته ، وانها لوالا بقواهم عليه ، استكبارا

عن الخضوع له ، وتمسكاً بما كانوا عليه من اديان اباائهم ، وهو مع ذلك
يخطئ ، اراءهم ، وصفه احلامهم ويدعوهم الى دينه الجديد ، وعقيدة التوحيد
ولا حجة له بين يدي ذلك كله الا تحديهم بالاتيان بمثل اقصر سورة من ذلك
الكتاب ، وكان في استطاعتهم ان يجمعوا اليه من العلماء والفصحاء والبلغاء
ما شاءوا ، لياتوا بشيء من مثل ما اتى به ، ليطلبوا الحجة ، ويفحموا صاحب
الدعوة .

(جاء الخبر المتواتر انه مع طول زمن التحدي ، ولجج القوم في التمدي
اصبوا بالعجز ، ورجعوا بالخيمة ، وخذت للكتاب العزيز الكلمة العليا ،
على كل كلام ، وقضى حكمه العلي على جميع الاحكام .
ليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان ابي اعظم معجزة ، وادل
برهان على انه ليس من صنع البشر ؟ . وانما هو النور المنبعث عن شمس
العلم الالهي ، والحكم الصادر عن المقام الرباني على لسان الرسول الالهي ،
صلوات الله عليه) . " ١ " .

٤ - جاء في القران من اخبار النبي ما صدقته حوادث الكون ، كالخبر في قوله
تعالى : " الم قلنت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلهم سيفلون في
بضع سنين " . " ٢ " .

وكالوعد الصريح في قوله تعالى : " وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يمهدونني لا يشركون بي شيئاً ومن
كفر بعد ذلك فاولئك هو القاسقون " . " ٣ " .

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٣٦) .

٢ - سورة الروم الايات (١ - ٤) .

٣ - سورة النور اية (٥٥) .

وقد تحقق جميع ذلك • وفي القرآن الكريم كثير من مثل هذا يعميه من يتلوه حق

تلاوته •

ومن الكلام عن الغيب فيه ما جاء في تحدى المرب به • واكتفائه في

الرجوع عن دعواه بأن ياتوا بسورة من مثله • مع سعة البلاد العربية • ووفرة سكانها •

وتباعد اطرافها • وانتشار دعوته على لسان الوافدين الى مكة من جميع ارجائها •

ومع انه لم يسبق له صلى الله عليه وسلم السياحة في نواحيها والتعرف برجالها •

وقصور العلم البشري • عادة • عن الاحاطة بما اودع في قوى امة عظيمة كالامة

العربية •

فهذا القضاء الحاثم منه بانهم لن يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثل

ما تحداهم به ليس قضاء بشريا • ومن الصعب • بل من المتعذر ان يصدر عن

عاقل التزام كالذي التزمه وشرط كالذي شرطه على نفسه • لخلبة الظن عند من له

عقل ان الارض لا تظو من صاحب قوة مثل قوته • وانما ذلك الله المتكلم والمعلم

الخبير • هو الناطق على لسانه وقد احاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما

استهضمهم له ولو لم حشم عليه •

قد يقول واهم : ان المعجز حجة على من عجز • فان المعجز هو حجة الافحام •

والزام الخصم وقد يلتزم الخصم ببعض المسلمات عنده • فيفهم ويمعجز عن الجواب

فتلزمه الحجج • ولكن ليس ذلك بملزم لغيره • فمن الممكن ان لا يسلم غيره بما

سلمه • فلا يفحمه الدليل • بل يجد الى ابطاله اقرب سبيل •

وهو وهم يضمحل بما قدمناه من البيان • ان لا يوجد من المشابهة بين اعجاز

القران وافحام الدليل الا انه يوجد عن كل منهما معجز • وشتان بين المعجزين •

ومعد ما بين وجهتي الاستدلال فيهما • فان اعجاز القران برهن على امر واقعي •

وهو : تقاصر القوى البشرية دون مكاتته من البلاغة • وقلنا : - القوى البشرية • لانه

جاء بلسان عربي مبين • وقد عرف الكتاب عند جميع العرب في عهد النبوة • وكان حال

العصر من البلاغة كما ذكرنا • وحال القوم في العناء كما بينا • ومع ذلك لم يمكن

للمرب ان يمارضوه بشيء من مبلغ عقولهم . فلا يعقل ان فارسيا او هنديا او رومانيا
يبلغ من قوة المهلافة في العربية ان يأتي بما عجز عنه العرب انفسهم . وتناصر القوى
جميعها عن ذلك . مع التماثل بين النبي وبينهم في النشأة . وامتياز الكثير منهم
بالمعلم والدراسة دليل قاطع على ان القران ليس مما اهتد صدوره عن البشر . فهو
اختصاص من الله سبحانه لمن جاء على لسانه .

ثم ما ورد في القران من تسجيل المعجز عليهم . والتعرض للاصطدام بجميع
ما اوتوا من قوة . مما يدل على الثقة من امره . مع ما سبق تعداده من الامور
التي لا يمكن معها لما قل ان يقف ذلك الموقف مع طول الزمن . وانفساح الاجل .
كل ذلك يدل على ان الناطق هو عالم الغيب والشهادة . لا رجل يعجز وينصح
على العادة .

فثبت بهذه المعجزة المظن . وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي الذي
لا يعرض عليه التفسير . ولا يتناوله التبديل ان نبينا محمدا . صلى الله عليه
وسلم . رسول الله الى خلقه . فيوجب التصديق برسالته . والاعتقاد بجميع
ما ورد في الكتاب المنزل عليه . والاخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنة مشهقة .
وقد جاء في الكتاب انه خاتم الانبياء . فوجب علينا الايمان بذلك كذلك (١٠٠)

وقفه مع كلام الشيخ محمد عبده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعجزة
القران الكريم :

=====

سبق القول في الفصل الثالث - ان الدليل على صدق نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم في دعواه ما شاهدته الحاضرون عيانا من الايات والمعجزات ،
وما اخبر به الغائبون بطريق التواتر حيث تدعن النفوس قهرا الى مضمون الخبر ،
وانه لا يمكن دفعه .

اما اثبات رسالة الرسل الاخرين ممن يجب علينا الايمان بهم ، فطريقه
اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد اخبرنا نبينا بنهوتهم ورسالاتهم ،
وهو الصادق فيما بلغ .

والعمدة في اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم ادعاؤه النبوة والرسالة ،
وظهور المعجزة على يديه .

وقد ذكر العلماء " ١ " اربعة مسالك لاثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ،
ورسالته ، وهي :-
المسلك الاول :

===== ادعاؤه صلى الله عليه وسلم النبوة والرسالة ، وظهور المعجزة
على يديه .

فقد ادعى صلى الله عليه وسلم انه نبي من عند الله تعالى ، ورسول
الله الى الناس كافة ، وظهرت المعجزات على يديه . وقد ثبت هذا بالتواتر
بالنسبة اليها ، وبالعيان لمن شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما جرى على
يديه من معجزات .

١ - انظر كتاب المواقف لمضد الدين الايجي وشرحه ، للشريف الجرجاني
(٣ : ١٩٠ - ٢٠٥) .
وانظر كتاب التوحيد ، لابن منصور الماتريدي ص (٢٠٢ - ٢١٠) .

اما المعجزات ، فالقران الكريم اعظمها ، وابينها ، ولا يزال بين ايدينا ، وفي صدور الحفظة . ثم ما عداه من بقية معجزاته صلى الله عليه وسلم التي تواتر الخبر بحصولها ، وسيأتي بيان بعضها فيما بعد باذن الله تعالى .
المسلك الثاني :

===== الاستدلال بأحواله صلى الله عليه وسلم .
فقد استدلل العلماء على نبوته عليه السلام بأحواله قبل النبوة ، ومعدتها والتي تدل بمجموعها على النبوة ، وانها لا تكون الا للانبياء صلوات الله عليهم .
المسلك الثالث :-

===== ظهور دينه على الدين كله .
فقد ادى عليه الصلاة والسلام الرسالة بين قوم لا كتاب لهم ، ولا حكمة فيهم - اميين - وقال لهم انه نبي بعثه الله بالكتاب والحكمة الى الناس كافة ، وانه مكلف بابلاغ ما في الكتاب الى الناس ، وقد فعل ذلك ، وظهر دينه على كل الاديان وهذا حقيقة النبوة ، ولا معنى لها الا ذلك .
المسلك الرابع :-

===== اخبار الانبياء المتقدمين برسالته .
فقد اخبر بعض الانبياء السابقين بأنه نبي الله ورسوله الى الناس اجمعين ، وانه ليظهر في جزيرة العرب نبي من بني اسماعيل اسمه محمد صلى الله عليه وسلم . كما جاء في بعض نصوص الكتب السماوية السابقة الصحيحة .
فمثلا : قال " اشعيا " النبي عليه السلام معلنا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" اني جعلت امرك محمدا ، يا محمد يا قدوس الرب ، امك موجود من الابد " . " ١ " .

وقال " جقوق " النبي عليه السلام مصرحا باسم محمد صلى الله عليه وسلم .
" لقد اضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده " . " ١ " .
وقال " دانيال " النبي عليه السلام مصرحا باسم محمد صلى الله عليه وسلم .
" ستنزح في قسيك اغراقا ، وترتوي السهام بامرك يا محمد ارتواء " . " ٢ " .
صدق الله العظيم ان يقول :

" اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل " . " ٣ " .
ويقول تعالى : " الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم " . " ٤ " .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(وما ينبغي ان يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة ان شهادة الكتب
المتقدمة لمحمد صلى الله عليه وسلم اما شهادتها بنبوته ، واما شهادتها بمثل
ما اخبر به هو من الايات الهيئات على نبوته ونبوته من قبله وهو حجة على اهل الكتاب
وعلى غير اهل الكتاب من اصناف المشركين والملحدين) . " ٥ " .
واعود الى الشيخ محمد عده بخصوص ما سبق له من قول ، فأقول : انه ركز
كلامه في اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، على المسلك الاول ،
ومر على المسلك الثاني ، والمسلك الثالث مرورا سريعا ، واهمل الكلام على
المسلك الرابع .

ولعل سبب ذلك انه قرر في البداية ان صدق نبوة ورسالة سائر الانبياء السابقين
تثبت باخبار رسولنا صلى الله عليه وسلم بصدقهم ، وثبتت ايضا بالتواتر ، فقد
تواتر الخبر بيمنة الكثير منهم .

-
- ١ - انظر نفس المرجع (٣ : ٢٣٠) .
 - ٢ - انظر نفس المرجع (٤ : ٣) .
 - ٣ - سورة الشعراء اية (١٩٧) .
 - ٤ - سورة البقرة اية (١٤٦) ، وسورة الانعام اية (٢٠) .
 - ٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣ : ٢٩٩) .

وايضا : فان المسلك الرابع يتوقف على ثبوت نبوتهم ، وصحة الاقوال المنسوبة اليهم .
واذا لم تثبت نبوتهم ، اولم تصح عنهم هذه الاقوال فلا يمكن الاخذ بهذا المسلك ، كما انه لا ينفع الا لمن امن بنبوة هؤلاء الانبياء . صلوات الله عليهم .

ومعنى اخرا قول :-

ان شهادة الانبياء السابقين له صلى الله عليه وسلم ، واردة ضمن

كتبهم .

وكتبهم هذه تناولها التحريف والتبديل . واهل الكتاب قد حذفوا

اوضح هذه الدلائل من كتبهم ، وشهد عليهم القران بذلك ، قال تعالى :

" وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل

من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا اتم ولا اباءكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ."

واذا فاللجوء الى هذا الجانب وراءه مؤونة كثيرة في البحث ، وهو لا

يسلم لنا خصوصا من ناحية اهل الكتاب . والطرق الثلاثة الاخرى فيها غناء ، اي

غناء عنه ، لذلك اراح نفسه منه .

اما المسلكان : الثاني والثالث ، فقد مر عليهما الشيخ محمد عبده مرورا

سريعا ، لانه لا يعرف عن طريقهما صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا خواص

الناس ، الذين يعلمون ما ينهني ان يكون عليه الانبياء والرسل ، وما يجب لهم

من صفات ، وما يتحلون به من اخلاق واعمال حميدة ، تميزهم عن غيرهم ، فيقارن

حياته ، واخلاقه ، وكل ما كان عليه ، بنظائرها في حياة الناس في ايامه وقيل

ايامه ، فيجدها مختلفة تمام الاختلاف حتى كأنه بينهم ملك من الملائكة ، فيعرف

ان هذا باصطفاء الله له ، وتبهيته لمهمة النبوة والرسالة .

لذلك فقد اجملهما الشيخ محمد عبده ، وذكرهما في مسلك واحد تكلم فيه عن نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتربيته ، وتكلم عن احواله ، والظروف القاسية التي مر بها وعن حقيقة دعوته وشريعته ، وعن الصراع الذي دار بينه وبين اعدائه ، وعن النتيجة التي ظهر فيها دين الله على سائر الاديان مصداقا لقول الحق سبحانه .

" ١ "

" هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . "

اما المسلك الاول : فهو اهم هذه المسالك ، واطهرها ، وهو اقوم الطرق لاثبات نبوة مدعي النبوة ، لان جميع الناس يستطيعون ان يعرفوا صدق نبوة اى نبي اذا ظهرت المعجزات على يديه ، والا تبين كذبه للجميع ، ونفر الناس من دعوته ، ولا يتوقف هذا التصديق على معرفة احواله السابقة واخباره الماضية لذلك ركز الشيخ محمد عبده على هذا المسلك واهتم به .

وما ذكره الشيخ محمد عبده في هذا الفصل ، لا يختلف فيه المسلمون ويكاد يجمع عليه العلماء ، والمؤلفون الذي كتبوا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرته . " ٢ "

-
- ١ - سورة التوبة اية (٢٣) ، وسورة الفتح اية (٢٨) ، وسورة الصف اية (٩) .
 - ٢ - انظر السيرة النبوية لابن هشام ، تقديم طه عبد الرؤوف (١ : ١٤٦ - ١٦٨) ، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد (١ : ١٩٨ - ٢٠٥) ، وانظر السيرة النبوية لابن الحسن الندوي ، الطبعة الاولى (٣٩ - ٥٧) ، (٧١ - ٨٠) .
 - وانظر السيرة النبوية للدكتور محمد ابو شهبه طبعة ١٩٧٠م (١٧٦ - ١٨٠) ، وانظر سيرة ابن اسحق ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ، ص (٢٩ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ١٨٨ ، ١٩٤) .

لذلك فاني اکتفي بما ذكره الشيخ محمد عبده ، وانتقل الى بيان المسلك
الاول عند جمهور العلماء ، والسلف الصالح رضي الله عنهم ، وهو الذي يتعلق
بالقران الكريم ، ابلغ واعظم معجزة ، ولانه المعجزة الخالدة الى يوم الدين ،
الناطقة بنهوء سيد المرسلين ، في كل مكان وحين ، بخلاف بقية معجزاته صلى الله
عليه وسلم ، ومعجزات غيره من الرسل السابقين التي انتهت بانتهائهم ،
وذهبت بذهابهم ، ولم يبق الا الخبر الدال عليها .
والسلف ، وغيرهم من العلماء ، بينوا في هذا المقام معنى المعجزة ،
وشروطها ، وامكانها ، ودالاتها ، ثم تكلموا عن القران من حيث هو معجزة
الاسلام الباقية ، وذكروا معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الاخرى التي ورد
ذكرها في القران وفي السنة الصحيحة . كما سيأتي .

-
- = وانظر خاتم النبيين ، لمحمد ابوزهرة ، الجزء الاول .
وانظر : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمحمد رضا ، ص ١٩-٤١ .
وانظر : مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، للدكتور عائشة بنت الشاطي ،
الطبعة الاولى ص (١٣ - ٤٠) .
وايضا : فقد ذكر هذا بعض المصنفين من المستشرقين ، وغيرهم .

المعجزة : معناها ، شروطها ، امكانها ، دلالتها .

=====

١ - معناها :-

===== المعجزة في اللغة اسم فاعل من اعجز يعجز فهو معجزه
وانما زيدت التاء في اخره للمبالغة . كما في قول العرب للعلام علامة ، وللنساب
نسابة . " ١ "

وفي تاج العروس للزبيدي " ٢ " : ان اسل المادة مأخوذ من العجز ومعناه
الضعف ، وعدم القدرة على الفعل ، كما في قوله تعالى حكاية عن ابن ادم :
" قال ياويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سواة اخي فأصبح من
النادمين " . " ٣ "

" والمعجزة " واحدة " معجزات " الانبياء عليهم الصلاة والسلام . " ٤ "
وانما سميت " المعجزات " بهذا الاسم لان الناس عجزوا عن معارضتها ،
والايمان بمثلها .

قال الحافظ ابن حجر : (وسميت المعجزة ، لمعجز من يقع عندهم ذلك عن
معارضتها) . " ٥ "

١ - انظر : لسان العرب لابن منظور (٧ : ٢٣٦) مادة عجز فصل
العين حرف الزاي .

٢ - مادة عجز ، فصل العين حوف الزاي (٤ : ٤٩) .

٣ - سورة المائدة اية (٣١) .

٤ - انظر مختار الصحاح ، للرازي ص (٤١٤) .

٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ : ٣٧٥) المطبعة الخيرية بمصر .

وانظر كتاب : اعجاز القران ، للباقلاني ص ٣٠١ ، شرح وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ١٣٧٠ هـ .

والمعجزة في اصطلاح العلماء ، لها تعاريف كثيرة ، منها :-
أ : - ما ورد عن ابن تيمية من انها ما دلت على النبوة ، بل على متابحة النبي ،
وصحة دين النبي . " ١ " ،
وهي الامر الخارق للمادة . " ٢ " ،

يقول ابن تيمية تحت عنوان : " قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات " :-
(وان كان اسم " المعجزة " يضم كل خارق للمادة في اللغة وفي عرف الائمة
المقدمين كالامام احمد بن حنبل وغيره ، ويسمونها الايات ، لكن كثيرا من المتأخرين
يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي ، والكرامة للولي ، وجماعهما الامر
الخارق للمادة) .

ويقول :- (والله تعالى سماها آيات وبراھين ، وهو اسم مطابق لمصماه
مضطرد لا ينتقض ، فلا تكون قط الا آيات لهم وبراھين) . " ٣ " ،
ب : - ومن اوضح تعاريفها ما ذكره " الايجي " ، " والامدي " ، من
علماء الكلام .

قال الايجي : (وهي عندنا ما قصد به اظهار صدق من ادعى انه
رسول الله) . " ٤ " ،

= وانظر كتاب : من روائع القران ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
ص ١٥٠ ، مكتبة الفارابي .
وانظر : مقدمة ابن خلدون ص ٩٠ ، للعلامة عبد الرحمن بن
خلدون .

- ١ - انظر كتاب : النبوات ، لابن تيمية ص ٦ .
- ٢ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ، لابن تيمية (١١ : ٣١١ و ٣١٢) .
- ٣ - انظر : كتاب النبوات ص ٢٠٦ .
- ٤ - انظر : المواقف ، لعبد الدين الايجي (٣ : ١٧٧) .

وقال الامدى : (هي كل ما قصد به اظهار صدق المشدئ بالنبوة المدعي
للرسالة) • " ١ "

- ١ — انظر كتاب : غاية المرام في علم الكلام ، لسيف الدين الامدى ص ٣٣٣ •
— وعرفها القاضي عبد الجبار من المعتزلة : (بأنها الفعل الذى يدل
على صدق المدعي للنبوة) •
انظر : شرح الاصول الخمسة ص ٥٦٨ •
— وعرفها الجلال الدواني قال :— (هي امر بخلاف المادة على يد من
يدعي النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا يمكنهم
معارضته) •
انظر : محمد عهده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٣٥) •
— وعرفها الباقلاني قال : (هي افعال الله تعالى الخارقة للمادة
المطابقة لدعوى الانبياء وتحديهم للامم للاتيان بمثل ذلك) •
انظر : الانصاف ص ٦١ •
(ويلاحظ على مجموع هذه التعاريف انها تدور حول مفهوم واحد
للمعجزة ، وهو ما قصد به اظهار صدق المدعي للنبوة من الامور
الخارقة للمادة) •

٢ - شروطها :-

===== كما بحث العلماء في مفهوم المعجزة ، فقد بحثوا في شروطها

ونذكرها في سبعة شروط ، هي :-

(الاول) : ان تكون فعل الله تعالى ، او ما يقوم مقامه من التبرك . " ١ "

ومعنى كون المعجزة فعلا او ما يقوم مقام الفعل من التبرك : ان

تكون فعلا لشيء او منعا ، مثل ان يحيى الله الميت وذلك فعل من الله .

ومثل ان يقول النبي : معجزتي ان ادخل يدي في جيبى ، وانتم لا تقدر

عليه ، فيفعل ويعجزون .

فان عدم استطاعتهم ، معجزة للنبي ، وهي منع من الفعل ، والمانع

الله .

(الثاني) : ان يكون خارقا للمادة .

ومعناه ان يكون خارقا للادوار التي اعتاد الناس على مشاهدتها ،

وهنا نجد خلافا بين شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره في تحديد المراه " بالعادة " :

هل هي عادة جميع الناس ؟ او عادة المخاطبين بالنبوة ؟

الى الاول ذهب ابن تيمية . " ٢ "

والى الثاني ذهب القاضي عبد الجبار من المعتزلة " ٣ " ، وواقفه الشهرستاني من

الاشاعرة . " ٤ "

١ - انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٣٥) / وانظر المواصف

للايجي مع شوق (٣ : ١٧٧) .

٢ - انظر كتاب : النبوات ص ٢٠ ، ص ٢٩٧ .

٣ - انظر كتاب : المفتي في ابواب التوحيد والمدل ، للقاضي عبد الجبار

(١٥ : ١٨٩) .

٤ - انظر كتاب : نهاية الاقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ص ٤٣٩ .

يقول شيخ الاسلام :

(جنس آيات الانبياء خارجة عن مقدور البشر ، بل وعن مقدور جنس الحيوان)

وارى ان راي شيخ الاسلام ابن تيمية احق بالقبول ، لانه القاضي على

كل اشتباه في موقف مدعي النبوة .

فانه : اذا ظهر نبي في الفرس مثلا ، وظهر امرا خارقا لمادة الفرس ،

ولكن ظهر لفعله نظير عند الرومان ، ففي وسع المعارضين لهذا النبي من قومه ان

يقولوا له : ان هذا الذي اظهرته ليس من الله بل هو منك ، لان مثله ظهر

على يد بعض الرومان وهو ليس بشي .

• وحيث استطاع شخص غير نبي ان يأتي بمثله فانت مثله غير نبي .

(الثالث) : ان تتمذر معارضته ، بأن لم يكن في مقدور احد من الناس

ان يأتي بمثل ما اتى به مدعي النبوة .

فان كان الامر ما هو مقدور عليه عند الناس ، فلا يكون معجزة له ،

ولا يدل على صدق صاحبه .

فمثلا : لو ثبت ان احدا ادخل يده في جيبه ثم اخرجها بيضاء

من غير سوء ، كما حصل لسيدنا موسى عليه السلام ، لبطلت معجزة موسى عليه

السلام .

(الرابع) : ان يكون ظاهرا على يد مدعي النبوة . فلو ظهر الخارق للمادة

على يد من لم يدع النبوة لا يكون معجزة . ويكون :

• اما كرامة ان ظهر على يد ولي

• او سحرا ان ظهر على يد كافر .

فحتى تكون المعجزة دليلا على نبوة صاحبها لابد معها من ادعاء النبوة حتى

يكون للمعجزة هدف ، ولا بد ان يكون الامر مقرونا بالتحدي ، ولا يشترط التصريح

بالتحدي ، بل تكفي قرائن الاحوال .

(الخامس) : ان يكون موافقا للدعوى ، فلو قال :
معجزتي ان احى ميتا ، ففعل خارقا اخر . لم يدل على
صدقته .

(السادس) : ان لا يكون ما ادعاه واطهره مكذبا له .
فلو قال : معجزتي ان ينطق هذا الذئب ، ففعل الذئب ،
فكذبه ، لم يعلم صدقته ، بل ازاد اعتقاد كذبه .
بخلاف ما لو قال :
معجزتي ان يحيى الله هذا الميت ، فأحياه ، فكذبه .
فان الصحيح انه لا يخرج عن المعجزة ، لان الاحياء هو المعجزة ،
وقد تم وفق الدعوى ، فثبت به صدق المدعى ، والتكذيب صدر من الشخص ،
والشخص خارج عن المعجزة ، فهو كتكذيب اى شخص اخر ، فلا يقدر في
المعجزة .

(السابع) : ان لا تكون المعجزة مقدمة على الدعوى ، بل مقارنة لها ،
او متأخرة عنها بزمان يسير يعتاد مثله .
وذلك لان المعجزة تصديق لمن ظهرت من اجله ، والتصديق لا
يعقل ان يكون قبل الدعوى .
واما اذا تأخر الامر زمانا يسيرا يعتاد مثله فهو معجزة ، بخلاف ما
لو تأخر زمانا طويلا ، فلا يعتبر معجزة ، لجواز ان تكون صدرت لغيره . " ١ "

١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٣٥) .

٣ - امكانها :-

===== المعجزة ليست من الامور المستحيلة ، بل هي ممكنة عقلا .
نعم ، المعجزة اية من ايات الله خارقة للسنن الكونية ، وخرقها للسنن هو وجه
دالتها .

وان السنن الكونية من صنع الله ، وهو وحده القادر على خرقها بأمره
وارادته .

ولبيان ذلك اقول :

اي غرابة في ان يغير الله سبحانه وتعالى سنة من سننه ، او قانونا
من قوانينه ، او عادة من العادات ، في حادثة يبرزها لحكمة يعلمها ؟
وهو سبحانه متصف بكمال القدرة ، وبأنه فعال لما يريد ، متى شاء
وكيف يشاء ، كأن يثبت لعباده صدق من ارسله اليهم ليهدوا ، ويفوزوا بالسعادة
في الدنيا والاخرة .

اي استحالة في هذا ، وهو سبحانه وتعالى خالق السموات والارض
وما فيهما من العادات والقوانين ؟

ان العقل السليم لا يستغرب هذا ، ولا يحيله ، لان خالق الشيء
بقدرته ، واختياره قادر على ان يغير وضعه الذي خلق عليه الى وضع غيره .
يقول العلماء : هل اضطراد سير الشيء على وتيرة واحدة يوجب على العقل
ان يحكم باستحالة سيره على خلاف ذلك ؟

كلا ، فالعقل لا يحكم باستحالة ذلك ما دام معترفاً بالقدرة التامة لخالقه ،
وبأن الوجه الذي خلق عليه ليس الا احد الوجوه الممكنة له . " ١ "

١ - انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين عتر ،
ص ١٢٥ ، دار النصر ، سوريا - حلب ، الطبعة الاولى ،
١٣٦٥ هـ / ١٩٢٥ م .

فمثلا : جرت سنة الله سبحانه وتعالى ان يبقى الاسم اصم طول حياته ،

وان يبقى الابكم ابكما طول حياته ، وان يبقى الاعم اعمي طول حياته .

هذه عادة الله في خلقه .

فتحويل بعض البكم الى ناطقين ، وتحويل بعض العمي الى مبصرين ،

وتحويل بعض الصم الى اناس يسمعون ... الخ . هذا خرق للسنن العامة ،

ولا مانع منه عند من يعترف بقدرة الله سبحانه وتعالى .

ويقول الشيخ محمد عبده : (اى استحالة في المعجزة ونحن تعلم ان

كثيرا من الناس ممن يضربون عن الطعام في المعتقلات والسجون مدة طويلة ، لو

لم يأكلوا فيها وهم خارج سجونهم ومعتقلاتهم لهلكوا ؟ بل نسمع عن مرضى

يمتنعون عن الاكل والشرب مدة ، تكفي لهلاكهم لو كانوا اصحاء ، ومع ذلك

يعيشون ، مع وجود علة المرض التي تزيد من ضعفهم ومرضهم) .

فالمعجزة اذا ليست مستحيلة ، بل هي ممكنة عقلا ، وقد وقعت وشاهدها

الناس عيانا ، زمن الانبياء ، وخر المؤمنون لرؤسهم بسببها سجدا ، ووجد

المكابرون ظلما وعلوا . وقد سجل القرآن الكريم ذلك في كثير من آياته .

قال تعالى : " قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان تكون اول منلقى ، قال بل

القول فاذا حبالهم وحصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى

فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والتى ما في

يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث

اتى فالقى السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى " . " ١)

وقد تواتر الخبر بوقوع المعجزات على يد الانبياء الذين ارسلهم الله برسالة

السماء صلوات الله عليهم . " ١ "

وهذا القران الكريم بين ايدي المسلمين وغيرهم ، يتداوله معظم البشر ،
وقد طبع منه الملايين من النسخ ووزعت على معظم الدول في العالم ، وقرأة العالم
والعابد والمستشرق المنصف ، والحاقد ، والمتدينون وغيرهم ، ولم يبق احد في
هذا العالم الا وسمع به ان لم يكن قرأه

ها هو ذا يتحدى الدنيا كلها ، بما هي عليه من قوة ، وما وصلت اليه من
سلطان ، ان تأتي بعشر سور من مثله ، او بأقصر سورة منه . ويظل التحدي
قائما حتى يريث الله الارض ومن عليها .

قال تعالى : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تعملوا ولن تعملوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين " . " ٣ "

فكيف بعد هذا يجروا انسان على القول باستحالة المعجزات ؟

ان من يجروا على ذلك لا يخلوا ان يكون بليد الحس ، خالي الذهن ضابا
في عقله ، او ان يكون مكابرا يريد ان ينكر الواقع ، ويجحد التاريخ ، ويخرج
عن الجماعة وهو مع ذلك يجهل انه مخلوق صغير ، بعد ان لم يكن شيئا مذكورا .

١ - انظر كتاب : اعجاز القران ، للباقلاني ص ٨ ، طبع دار المعارف

بمصر ١٩٦٣ م .

٢ - سورة البقرة الايات (٢٣ - ٢٤) .

قال تعالى : " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا " ١ " .
ان الله القادر على ان يخلق هذا ، الخلق العظيم بارادته ، قادر
على ان يحول بعض الصم الى اناس يسمعون ، ويحول بعض العمى الى مبصرين ،
ولا مانع من هذا عند من يعترف بقدره الله تعالى ويصدق بقوله تعالى :
" ان الله على كل شي قدير " ٢ " .

-
- ١ - سورة الانسان الايات (١ - ٢) .
 - ٢ - سورة البقرة اية (٢٥) واية (١٠٩) ، واية (٢٤٨) و
وسورة ال عمران اية (١٦٥) ، وسورة النحل اية (٧٧) ،
وسورة النور اية (٤٥) ، وسورة المنكوت اية (٢٠) ،
وسورة فاطر اية (١) .

٤ - دلالتها :

===== من الامور المسلمة عند العلماء ان الفرق بين العاديات
والمقليات ، ان الاولى يجوز فيها العقل التخلف دون الثانية . فقد لا يرتوى
شارب الماء ، وقد لا يشبع اكل الطعام ، بخلاف الاثر فلا بد له من موثر ،
والدليل لا بد له من النتيجة ، والاربعة لا بد لها من الزوجية .
والمعجزة تدل على صدق صاحبها في دعواه ، وهذه مسألة اتفق
عليها جميع المسلمين .

لكن هل تدل على صدق صاحبها بطريق العقل او العادة ؟ دار
خلاف حول هذا ، ونشأ عنه خلاف في مسألة اخرى هي :-
هل ظهور المعجزة على يد الكاذب جائز اولا ؟
وحتى تتمكن من الجواب على هذين السؤالين ، لا بد من ذكر اقوال العلماء
ومذاهبهم في هذه المسألة .

واليك ما ذكره صاحب المواقف من خلاف للعلماء في هذا قال :- " ١
١ - ذهب جمهور الاشاعرة ، ما عدا الاشعري ومن تبعه الى القول بان ظهور
المعجزة على يد الكاذب ممكن عقلا ، لكن جرت سنة الله ان لا يحدث
هذا .

وبناء عليه تكون دلالة المعجزة على صدق صاحبها عندهم عادية .
٢ - ذهب الاشعري ومن تبعه الى القول بان ظهور المعجزة على يد الكاذب
غير جائز عقلا ، لان للمعجزة دلالة قطعية على الصدق يمنع التخلف فيها .
وبناء عليه تكون دلالة المعجزة على صدق صاحبها عقلية .

١ - انظر كتاب المواقف ، لمضد الدين الايجي ، مع شرحه للجرجاني

(٣ : ١٨١) . بتصرف .

٣ - ذهب المعتزلة الى ان خلق المعجزة على يد الكاذب مقدور لله تعالى لمموم قدرته . لكن وقوع ذلك ممنوع ، وفيه اضلال لا يصح منه تعالى .
وبناء عليه تكون دلالة المعجزة عندهم على صدق صاحبها دلالة عقلية .
وحاصله : ان اكثر العلماء يقولون ان ظهور المعجزة على يد الكاذب محال عقلا ، ومن ثم كانت دلالتها على صدق صاحبها عقلية ، ولم يخالف في هذا الافقة من الاشاعرة كما ذكر صاحب المواقف .
والذي يهمني هو ان اذكر مذهب السلف في هذه المسألة ، لابين ان جمهور العلماء معهم في هذه المسألة كما سنرى .
السلف يقولون ان ما يدل على النبوة هو اية وبرهان عليها ، فلا بد ان يكون مختصا بها ، ولا يكون مشتركا بين الانبياء وغيرهم ، فان الدليل مستلزم لمدلوله فآية الانبياء لا تكون لغير الانبياء .
اي ان الدليل يكون مستلزما للمدلول عليه ، ومختصا به ، ويلزم من تحققه تحقق المدلول ، ولا يلزم من انتفائه انتفاء المدلول .
وابن تيمية رحمه الله يقرر مذهب السلف في هذه المسألة ويبين ان دلالة ايات الله على ايدى انبيائه ورسله حتى يتبين صدقهم فيما دعوا اليه هي دلالة عقلية ، لا يجوز تخلف الدليل فيها عن المدلول عقلا . " ١ "
فلا يجوز ان توجد الايات ولا يتبجحها الصدق بأن تظهر على يد كذاب .
هذا هو مذهب السلف ، وهو الصواب ، والله اعلم - لان القول بخلافه فيه تجويز وقوع المساواة بين الانبياء والكذابين ، وفي هذا ما لا يليق بكمال الله تعالى .

١ - انظر كتاب النبوات ، لابن تيمية ص (٣ ، ٤ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢٤٢) .

فكيف يجوز ان يصدر عن الله تعالى من المعجزات ما يصدق به دعوى الكذاب ان من يجوز هذا ، يجوز السفه على الله تعالى • وهو سبحانه منزّه عن جميع النقائص •

وصدق الله ان يقول : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين " • " ١ " •

واتماما لهذا الموضوع ، ارى ان اشير الى الفرق بين المعجزة وبين غيرها من الكرامات التي هي للصالحين • وبينها وبين السحر والكهانة التي هي من اعمال المشعوذين وبينها وبين بعض المكتشفات العاجية الحديثة • قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : — " ٢ " •

اختلف النظار في طرق التمييز بين المعجزة وبين غيرها ، كما اختلفوا في وجه دلالتها ، ولم يذكروا بين جنس المعجزة وجنس الكرامة فرقا ، بل صرح ائمتهم ان كل ما خرق لنبي يجوز ان يخرق اولي • حتى معجزة صلى الله عليه وسلم ، وقرع البحر لموسى عليه السلام • • • وغير ذلك • ولم يذكروا بين المعجزة والسحر فرقا معقولا ، بل قد يجوزون ان يأتي الساحر بمثل ذلك •

وجملة القول عند النظار ان النبي ادعى النبوة ، وان الصالح بر ،

والساحر فاجر •

اما الفلاسفة — ومنهم ابن سينا — فانهم جعلوا كل ذلك من قوى النفس •

لكن الفرق :

١ — سورة الحاقة الايات (٤٤ — ٤٦) •

٢ — انظر كتاب النبوات ص ٣ ، ٤ ، بتصرف •

ان النبي والصالح نفساهما ظاهرة ، تقصدان الخير ، والساحر نفسه خبيثة .
والفرق بين النبي والصالح متعذر على قولهم .
ومن الناس من فرق بين آيات الانبياء وكرامات الاولياء بفرق ضعيفة مثل
قولهم : الكرامة يخفيها صاحبها ، اولا يتحدى بها . خلافا للمعجزة . وهو
ضعيف لان من الكرامات ما اظهرها اصحابها كظهار عمر بن الخطاب رضي الله عنه
مخاطبة " سارية " - قائد جيش المسلمين في احدى البلدان البعيدة -
على المنبر .

وكاظهر ابي مسلم " ١ " - رحمه الله - لمالقى في النار انها صارت
عليه بردا وسلاما .

ولان من الكرامات ما يتحدى بها صاحبها ان دين الاسلام حق . كما فعل
خالد بن الوليد رضي الله عنه لما شرب السم . وكالغلام الذي اتى الراهب وترك
الساحر وامر بقتل نفسه بسهم من عنده باسم ربه . وكان قبل ذلك قد خرقت له
العادة فلم يتمكنوا من قتله . وقصته مشهورة . " ٢ "

والمراتب عند شيخ الاسلام في هذا ثلاث : - آيات الانبياء ، ثم
كرامات الصالحين ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان ، وما يحصل لبعض
المشركين واهل الكتاب والضلال من المسلمين .

١ - هو ابو مسلم الخولاني ، زاهد اهل الشام في صدر الاسلام ، القاه في
النار الاسود بن قيس العنسي - ذو الخمار - لما تنبأ في اليمن ،
وانكر ابو مسلم عليه .

انظر : النبوات ، لابن تيمية ص ٥ .
٢ - انظر : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ص ٢٢ و ٢٣ ،
تحقيق محي الدين الجراح .

والفرق بين المرتبة الاولى والثانية ان خوارق الاولياء من جنس معجزات الانبياء لانه انما حصل لهم هذا باتباعهم الانبياء . لكنهم دون الانبياء فلا تبلغ كراماتهم مثل معجزات الانبياء . كما انهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب الى درجاتهم ولكنهم قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض اعمالهم . وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به المرسلون ، ولا تدل على عصمة الولي ولا على انه يجب طاعته في كل ما يقوله . خلافا للنبي . " ١ " وهذا الذي ذهب اليه شيخ الاسلام ، ايداه فيه كثير من العلماء . " ٢ " وبالنسبة للفرق بين المعجزة والسحر ، فقد ذكر شيخ الاسلام فروقا كثيرة زادت على عشرة فروق ، اذكر منها :-

- ١ - المعجزة لا تحصل بكسب العبد ، والسحر وغيره مما يمكن التوصل اليه بسبب ، كالذي يأتي بافعال واقوال تحدثه بها الجن . " ٣ "
- ٢ - ان ما تخبر به الانبياء من المعجزات لا يكون الا صدقا ، واما ما يخبر به من خالفهم من السحرة والكهان فان ما فيه من الصدق ، انما هو ايهام وتخيل .
- ٣ - ان ما يأتي به السحرة والكهان معتاد لغيرهم ، بينما المعجزة مخالفة للمادة .

-
- ١ - انظر : كتاب النبوات ص ٢ ، ٢٨ ، ١٢١ ، المطبعة المنيرية بمصر .
 - ٢ - انظر : الاربعين في اصول الدين للرازي ص ٣٨٤ ، طبعة الهند . وانظر : كتاب الوحي المحمدي لرشيد رضا ص ١٥٩ ، ١٦٠ . وانظر كتاب : التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة لعبد الرحمن الناصر السعدي ص ٥٨ ، ٥٩ .
 - ٣ - انظر : شرح المواهب اللدنية ، للزرقاني (٥ : ٨٩) ، المطبعة المصيرية الازهرية بمصر .

٤ - المعجزة انما تحصل لتدل على صدق مدعي النبوة وعدله ، بخلاف السحر

والكهنات والكهانة فان السحرة والكهان تحصل لهم الخواص مع الكذب والاشم .

٥ - المعجزة لا يمكن معارضتها لا بمثلها ولا باقوى منها ، واما السحر

فيمكن معارضته بمثله واقوى منه .

واقية ما ذكره شيخ الاسلام من الفروق فيمكن ارجاعه الى هذه .

وازيد الفرق الثاني توضيحا فاقول :-

ان المعجزة فيها خرق للعادة حقيقة ، بخلاف السحر الذي هو ايهام ،

وتخييل للناس . " ١ "

فمثلا ، عصا موسى عليه السلام اقبلت الى حية مكونة من لحم ودم في

الواقع ونفس الامر ، كما لو خلقها الله ابتداء حية تسمى .

قال تعالى : " وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصا اتوكلت عليها

واهش بها على غني ولي فيها ما رب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي

حية تسمى " ٢ " و ولما اخذها موسى عليه السلام عادت الى طبيعتها الاصلية

عصا خشبية ، قال تعالى :

" قال اخذها ولا تخف سنمدها سيرتها الاولى " . " ٣ "

بينما لم تنقلب جمال السحرة الى شي اخر ، وظلت على طبيعتها التي

صنعت منها ، وهي الليف . والذي حصل : ان الناس خيل اليهم انها تسمى

كما تسمى الحية .

١ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٩ .

٢ - سورة طه الايات (١٧ - ٢٠) .

٣ - سورة طه آية (٢١) .

قال تعالى : " فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم " ١ *
وقال تعالى : " قال بل القوا فاذا جبالهم وصيهم يخيل اليه من سحرهم انها
تسمى " ٢ * ٠

وقد سجل القرآن الكريم اعتراضهم بان ما فعلوه سحر سحروا به اعين الناس
قال تعالى : " فلنأتينك بسحر مثله " ٣ * ٠

كما ذكر القرآن رد موسى عليه السلام عليهم بان ما جاؤا به كذب واقتراء *
قال تعالى : " قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بمذاب وقد
خطب من افتوى " ٤ * ٠

يقول الدكتور المهادى : " (وكذلك تختلف المعجزة عن السحر .. فهو لا يعدو
الا بهام والتخييل والتلاعب على قدرة الابصار عند الناس فليس فيه تفسير لحقائق
الاشياء او خرق للقوانين والسنن التي تحكم ظواهر الكون ومظاهره) " ٥ * ٠
اما الفرق بين المعجزة والمكتشف الملقى فلان المكتشف الملقى عبارة
عن معرفة شئ من قوانين الكون وسنته كان مجهولاً بينما المعجزة خرق القوانين
الكون وسنته " ٦ * ٠

-
- ١ — سورة الاعراف اية (١١٦) .
 - ٢ — سورة طه اية (٦٦) .
 - ٣ — سورة طه اية (٥٨) .
 - ٤ — سورة طه اية (٦١) .
 - ٥ — كتاب الايمان بين الايات القرآنية والحقائق العلمية ، للدكتور عبد السلام
المهادى ص ٩١ و ٩٢ .
 - ٦ — انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين عتر ،
ص ٣٧ و ٣٨ .

يقول سيمبل هامان :-

(وكلما وصل الانسان الى قانون جديد فان هذا القانون ينادى قائلا ،

ان الله هو خالقي وليس الانسان الا مكتشفا) . " ١)

اقول : ان الذي يلتبس بالمعجزة هو اختراعات العلماء التي لم يسبقوا اليها

كمخترع التلفزيون ، والظفار ، والصاروخ الفضائي . . . الى اخرها وصل اليه

العلم الحديث .

فقد يقول قائل : ان هذه امور لم تحدث من قبل ، وحدثت اليوم على

ايدي اناس مختصين ، فما الفارق بينها وبين المعجزة ؟

فيقال : ان هذه الاختراعات بنيت على القوانين الطبيعية التي اودعها

الله في الكون . فهي متمشية مع قوانين الطبيعة غير صادمة لها .

فمثلا : الرائي ونحوه - اخترعه صاحبه بناء على قانون طبيعي هو ان

الاصوات التي تصدر عن اصحابها لا تفتنى ولا تتلاشى ، وانما تظل باقية في

الهواء ، لكن في صورة ضعيفة . فعمل هذا المخترع على ان يقوى هذا الضعيف

ويظهره .

فاخترع جهاز التقوية ، بعد ان عرف القانون الذي يسير عليه .

فاخترعه قام على اساس قانون طبيعي . فهو لم يخترع القانون الذي قام

عليه اختراعه ، وانما القانون من خلق الله ، وهو بنى عليه اختراعه .

ولذلك - وهو الفرق الثاني - يستطيع غيره ان يفعله وان يسير على منواله

بعد ان عرف القانون الذي بنى عليه .

فإذا رجعت الى المعجزة وجدنا انها ليست قائمة على قانون من قوانين

١ - من كتاب : للكون اله ، لعبد العزيز كامل الشهابي ، الطبعة الرابعة

١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م دار الاقصاد ص ١٦ .

الطبيعة ، بل هي قائمة على تعطيل القوانين الطبيعية وهادمتها .
ولذلك - وهو الفارق الثاني - بينها وبين الاختراعات ان احدا غير النبي
لا يستطيع الاتيان بمثلها .

وحاصل الكلام ان الشيخ محمد عبده متفق مع ما قاله السلف وجمهور العلماء
في المعجزة من حيث امكانها وشروطها ودالاتها والفرق بينها وبين غيرها من سحر
ومثله ، وكذلك الفرق بينها وبين الكرامة .

يظهر هذا من كلام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ، وها انا ذا
اسوقه بخصه ليكون ادل على اثبات الاتفاق ، وقد سبق بيان ما تضمنه :
يقول الشيخ محمد عبده :-

(المعجزة ليست من نوع المستحيل عقلا ، فان مخالفة السير الطبيعي
المعروف في اليجاد مما لم يقم دليل على استحالته ، بل ذلك مما يقع ، كما يشاهد
في حال المريض يمتنع عن الاكل مدة لولم يأكل فيها وهو صحيح لمات ، مع
وجود العلة التي تزيد الضعف وتساعد الجوع على الائتلاف .

فان قيل : ان ذلك لا بد ان يكون تابعا لناوس اخر طبيعي ، قلنا :
ان واضع الناموس هو موجد الكائنات ، فليس من المنطال عليه ان يضع نواميس خاصة
بخواق لعادات ، غاية ما في الامراننا لا نعرفها ، ولكننا نرى اثرها على يد من
اختصه الله بفضل من عنده .

على اننا بعد الاعتقاد بان صانع الكون قادر مختار ، يسهل علينا العلم
بأية لا يمتنع عليه ان يحدث الحادث على اي هيئة ، وتابعا لاي سبب ، اذا
سبق في علمه انه يحدثه كذلك .

المعجزة لا بد ان تكون مقبولة بالتحدى عند دعوى النبوة ، وظهرها من
البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يديه ، لان النبي يستند اليها في دعواه انه
مبلغ عن الله . فاصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدا منه له في تلك الدعوى .

ومن المحال على الله تعالى ان يؤيد الكاذب ، فان تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب وهو محال على الله .

فمضى ظهرت المعجزة وهي ما لا يقدر عليه البشر ، وقارن ظهورها دعوى النبوة ، علم بالضرورة ان الله ما اظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يده ، وان كان هذا العلم قد يقارنه الانتكار مكابرة .

واما السحر وامثاله : فان سلم ان مظاهره فائقة عن اثار الاجسام

والجسمانيات ، فهي لا تملو عن متناول القوى الممكنة ، فلا يقارب المعجزة بشيء (١) . * ١ *

١ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠١ و ٤٠٢) . *

(ب) القرآن معجزة الاسلام الخالدة :

=====

تناول علماء السلف ، وغيرهم من علماء المسلمين في الحديث عن القرآن من حيث هو معجزة الرسالة الاسلامية الخاتمة ، حقيقة هذه المعجزة ، واهم مظاهر الاعجاز فيها ، كما تحدثوا عن بعض معجزاته عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم ، واهم معجزاته التي ذكرتها كتب الحديث والسيرة . " ١ "
اولا : حقيقة المعجزة القرآنية :-

===== القرآن الكريم ، العظيم ، الحكيم ، اية الله الكبرى ، ومعجزة الاسلام الخالدة ، الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

اية لا كالايات ، ومعجزة لا كالمعجزات . امتاز عن معجزات الرسل السابقين بانه معجزة دائمة ، لا يزول دلالتها ولا تضعف مع مرور الايام والاعوام ، ولا يذهب اثرها في النفوس يبهرت الابصار ، وجمرت الالباب ، وقطعت انفاس البشر ان لم ياتوا بمثل عشر سور من القرآن او بمثل اقصر سورة منه .
ولا زال القرآن يتحدى ويستمر في التحدى الى يوم الساعة
اما بالنسبة لمعجزات الرسل السابقين ، فقد كانت كلها وقائع مادية محسوسة كالتي كانت لرسولنا صلى الله عليه وسلم من غير القرآن .

١ - انظر كتاب : اعجاز القرآن - الاعجاز في دراسات السابقين - (١ : ٨٧ - ١٥٠) دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

وانظر كتاب : اعجاز القرآن ، المسمى : معترك الاقران في اعجاز القرآن .
للسيوطي الكتاب بقسميه ، تحقيق طي محمد اليحاوى ، دار الفكر العربي .
وانظر : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، للرهاني والخطابي والجرجاني ،

يقول السيوطي في الاتقان :- (واكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية ،
لبلائهم وقلة بصيرتهم ، واكثر معجزات هذه الامة اسلامية عقلية ، لفرط ذكائهم
وكمال افهامهم ، ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم
القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر) . " ١ " .
ولكون القران اية باقية ، فقد عدها العلماء وجها من وجوه اعجازه
المعدودة .

قال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " . " ٢ " .
وقال تعالى : " لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " .
اما سائر معجزات الانبياء السابقين فقد انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق
الا غيرها . " ٤ " .

ان القران يختلف عن المعجزات الاخرى للانبياء السابقين . فان كل معجزة
من معجزات الانبياء السابقين كان لها دلالة محددة تدل عليها ، فمص موسى عليه

= حققها وعلق عليها محمد خلف الله ، ومحمد زغول سلام ، الطبعة الثانية

١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ، دار المعارف بمصر .

وانظر : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ محمد ابوزهرة ، دار الفكر

العربي ص ٦٣ - ١٢٩ .

وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧ : ٣٩١ - ٤٤٨) /

ومختصر صحيح مسلم (٢ : ١٦٣) وما بعدها .

١ - الاتقان في علوم القران (٢ : ١١٦) .

٢ - سورة الحجر اية (٩) .

٣ - سورة فصلت اية (٤٢) .

٤ - انظر : كتاب الشفاء للقاضي عياض ص ٢٣٢ ، الطبعة العثمانية ١٣١٢ هـ .

وانظر : البرهان في علوم القران ، للزركشي ، (١ : ٢٣٣) ، مطبعة =

السلام دلت على الاعجاز من حيث انها جماد انقلب الى حيوان • ومعجزة عيسى عليه السلام في احياء الموتى مثلا دلت على الاعجاز من حيث ان الميت صار حيا بعد الموت •

واما القران فان فيه جوانب متعددة للاعجاز ، وقف الناس امامها حيارى مشدوهين ، وانقسموا طوائف • فكل طائفة لاح لها جانب من جوانب الاعجاز ، فوقفت امامه وابرزته ووضحت ، واذهلها الاهتمام به عن الجوانب الاخرى ، وصورته بما يجمله في مصاف معجزات الانبياء السابقين •

ولذلك نجد من يقول ان اعجاز القران في بلاغته وفصاحته ، ومن يقول ان اعجاز القران في اخباره بالثيب ، ومن يقول ان اعجازه في تشريعاته ، ومن يقول ومن يقول الى اخره •

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : — (وكل ما ذكره الناس من الوجوه في اعجاز القران ، هو حجة على اعجازه ، ولا يناقض ذلك ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له) • " ١ "

وعلى هذا فالقران الكريم ليس معجزة واحدة ولكنه جملة معجزات ، وهذا على عكس معجزات الانبياء السابقين فان كل شيء كان معجزة واحدة ، ولا يمكن ان يدل على اكثر من ذلك •

= عيسى البابي الحلي بمصر •

وانظر : مناهل العرفان ، للزرقاني (١ : ٢٣٢ و ٢٣٣) •

الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلي ، بمصر •

١ — الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ، لابن تيمية (٤ : ٧٥) •

صدق الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول : " ما من الانبياء نبي
الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر ، وانما كان النذى اوتيت وحيا او حاه
الله الي ،

فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة " . ١ "

- ١ - صحيح . انظر صحيح البخارى كتاب فضائل القران .
يقول ابن خلدون في مقدمته شارحا معنى هذا الحديث : (اعلم ان
اعظم المعجزات واشرفها ووضحها دلالة : القران الكريم المنزل على نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم . فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي
الذى يتلقاه النبي ، ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه ، والقران هو
بنفسه الوحي المدعى ، وهو الخارق المعجز ، فشاهده في عينه ،
ولا يفقر الى دليل مغاير له كما اثر المعجزات مع الوحي فهو اوضح دلالة
لاتحاد الدليل والمدلول فيه ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث . . .
يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة
وهو كونها نفس الوحي ، كان المصدق لها اكثر ، لوضوحها ، فكسر
المصدق والمؤمن ، وهو التابع والامة) .
انظر : مقدمة ابن خلدون ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، مطبعة التقدم بمصر
١٣٢٩ هـ .

ثانيا : مظاهر الاعجاز في القرآن الكريم :

=====

لم يتكلم احد من علماء المسلمين ، في القرنين الاولين ، في مسألة اعجاز القرآن ، وذلك تهيئا لمقام القرآن في نفوسهم ، ولصفاً عقيدتهم ، ولانهم لما كانوا بحاجة الى الكتابة في اعجاز القرآن يبينون بها انه معجز من ناحية كذا ، ومن ناحية كذا

فان هذه الامور ما دعت الداعية اليها الا لما استحکم الجدل بين الناس ، فاخذ علماء المسلمين يبحثون في اوجه الاعجاز ، ويبينونها للناس ، ويقنعونهم بها .

واما في المصور الاولى حيث كان الاعجاز الفعلي حاصلا ، وخضع الناس له طوعا وكرها ، فلم يكن هناك حاجة الى تبيانها بالبحث والنظر والتأليف فان وقوعه اقوى دلالة من شرحه وتبيانها .
ومع ذلك فان العلماء لم يصلوا بعد الى النهاية في هذا الموضوع ، وما بلغوا في وجوه اعجازه جزء واحد من عشر معشاره . " ١ "

يقول الخطابي في " بيان اعجاز القرآن " " ٢ " : (قد اكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا ، ونذهبوا فيه كل مذهب من القول ، وما وجدناهم بعد صد روا عن ربي " ٣ " ، وذلك لتعذر معرفة وجه الاعجاز في القرآن ،

-
- ١ - انظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، (٢ : ١٢١) .
 - ٢ - انظر : ثلاث رسائل في الاعجاز - رسالة الخطابي : بيان اعجاز القرآن - تحقيق الاستاذ محمد خلف الله وزمياد .
 - ٣ - ما اظن يريد انهم لم يكتبوا ولم يقتنعوا ، بل يريد انهم من فرط اللذة فيما ادركوا ، يطلبون المزيد ، واذا كان المؤلف يريد المعنى الاول فهو رد عليه .

ومعرفة الامر في الوقوف على كفيته) .

وسأحاول ، تتبع مذاهب الناس ، قديماً وحديثاً في هذا الباب ، لارى
اين يقف الشيخ محمد عبده في هذا الموضوع ، ثم ابين الراى المختار فيه ان
شاء الله تعالى .

(أ) : بيان اوجه اعجاز القرآن :

=====

الوجه الاول : الصرفة " ١ " .

=====

والقول بالصفة منسوب الى النظام وهو شيخ من شيوخ المعتزلة " ٢ " ،
ونسب الى المرتضى من الشيعة " ٣ " ، وابي اسحق الاسفرائيني من السنة " ٤ " ،
وابن سنان الخفاجي " ٥ " ، وعباد بن سلمان ، وهشام القرظي " ٦ " .
ويذكر الشيخ ابو زهرة ان الامام ابن حزم الاندلسي قال بالصفة في كتاب

" الفصل " ، في بيان سبب الاعجاز " ٧ " .

وقد رجعت الى الفصل فوجدته يقول : (لم يقل احد ان كلام الله معجز
ولكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له اصابه معجزا ومنع من مآثقه ، وهذا

١ - ذكر الشهرستاني ان لها معنيين :- (الاول) : ان الله صرف العرب عن

مما رثته وسلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم ، لكن طاقهم امر خارجي .

(الثاني) : ان الله سلب الانس والجن العلوم التي يحتاجون اليها في

المعارضة ليحيوا بحثل القران .

انظر : الملل والنحل (١ : ١٤٢) .

٢ - انظر كتاب : القران الكريم دراسة ، لابراهيم ابو الخشب ص (١٠٩) ،

/ وانظر كتاب : مع القران ، للحوفي (١ : ٢٨) .

٣ - انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ ابو زهرة ص ٨٢ ، دار الفكر

المري .

٤ - انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ص ٢٠٥ ، لحسن ضياء الدين عمر .

٥ - انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣٧٣ ، لعبد الكريم الخطيب

الطبعة الاولى ١٩٧٤ م .

٦ - انظر كتاب : مع القران الكريم ، للدكتور احمد الحوفي (١ : ٢٨) .

٧ - انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ ابو زهرة ص ٨٢ .

وهذا برهان كافلا يحتاج الى دليل (" ١ ")

ويرى الشيخ ابو زهرة ان اصل القول بالصرفة جاء من كلام البراهمة ، وان
اول من جاهر به النظام من المعتزلة ، وان تلميذه الجاحظ رجح عنه ورد عليه
وذكر عليه " ٢ " .

والقول بالصرفة ، قول فاسد ، وهو زعم لا يقوم على دليل من العقل او
النقل ، بل انكشف زيفه ومطلانه بأدلة كثيرة يطول ذكرها في هذا المقام .
استقصاها كثير ممن كتبوا في هذا الموضوع " ٣ " .

وابن تيمية رحمه الله يرى ان القول بالصرفة قول ضعيف يقول :-

(ومن اضعف الاقوال قول من يقول من اهل الكلام : انه معجز بصرف الدواعي
مع قيام الموجب لها ، او بسلب القدرة الجارمة ، وهو ان الله صرف قلوب الامم
عن معارضته مع قيام مقتضى التام ، او سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما) " ٤ "

الوجه الثاني :

=====
النظم الذي انفرد به القران في صياغة عباراته صياغة تنتظم بها

المعاني انتظام الروح في الجسد .

وقد انتهى الى هذا الوجه الامام الباقلاني " ٥ " والجرجاني " ٦ "

-
- ١ - انظر كتاب : التبيان في علوم القران ، للصابوني ص ١٠٠ ، الطبعة الثانية .
 - ٢ - انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، ص ٨١ .
 - ٣ - انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لمتر ص ٢٠٦ - ٢١٦ / والاعجاز
في دراسات السابقين (٣٧٤ - ٣٧٨) .
 - ٤ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤ : ٧٥) .
 - ٥ - انظر : اعجاز القران ، للباقلاني ، الطبعة الاولى ص ٦٢ ، ٦٣ .
 - ٦ - انظر : دلائل الاعجاز ، لمبد القاهر الجرجاني ص ٣٢ .

والطبري "١" والخطابي "٢" والروائي "٣" ، واكده الرافعي "٤"
 والوازي "٥" والقرطبي "٦" ، ومن المحدثين الشيخ ابو زهرة "٧" والبوطي "٨"
 والحوفي "٩" وكثيرون غيرهم . "١٠"

الوجه الثالث : الاخبار عن بعض الاور القيسية :

=====

وهذا الوجه يتناول :

١ - الاخبار عن احوال بعض من كانوا في الزمان الاول قبل نزول القران ،

كالأخبار عن اصحاب الكهف والرقيم .

قال تعالى : " ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجايبا ، ان "

اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدك رحمة وهي لنا من امرنا رشدا . "

١ - انظر : جامع البيان في تفسير القران ، للطبري (١ : ٦٦) .

٢ - انظر : رسالة بيان اعجاز القران ، ابو سليمان محمد بن الخطابي ص ٢٤ - ضمن ثلاثة رسائل .

٣ - انظر رسالة : النكت في اعجاز القران ، للروائي ص ٧٠ ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القران .

٤ - انظر : اعجاز القران لمصطفى صادق الرافعي ص ١٨٠ .

٥ - انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ، لعبد الكريم الخطيب ص ٣٥٩ .

٦ - انظر : الجامع لاحكام القران ، للقرطبي (١ : ٧٣ - ٧٥) .

٧ - انظر : المعجزة الكبرى القران ص ٧٧ .

٨ - انظر : من روائع القران ، لمحمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٢ .

٩ - انظر : مع القران ، للدكتور احمد الحوحي ص ٣٧ .

١٠ - منهم الشيخ الفزالي ، ومحمد الصادق عرجون ، ومحمد الخضر حسين ،

ومحمد عبد الله دراز .

١١ - سورة الكهف الايات (٩ - ١٠) .

(ب) - الاخبار عن احوال بعض من كانوا في زمان نزوله . كالاخبار عن بعض

المنافقين وغيرهم . مثل اصحاب مسجد الضرار .

قال تعالى : " والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين واوصادا لمن

حارب الله ورسوله من قبل وليطفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون " ١

(ج) - الاخبار عن احوال بعض الامم في المستقبل ، بعد نزول القرآن ،

كالاخبار عما سيكون عليه المؤمنون فيما بعد من الاستخلاف في الارض .

قال تعالى : " وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض

كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

خوفهم انما يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون " ٢

واصحاب هذا القول : منهم ، القاضي عياض " ٣ " ، والسيوطي " ٤ " ،

والباقلاني " ٥ " ، والزرکشي " ٦ " ،

ومن المحدثين : الشيخ ابو زهرة " ٧ " ، والبطوي " ٨ " ، وغيرهم " ٩ "

١ - سورة التوبة آية (١٠٧) .

٢ - سورة النور آية (٥٥) .

٣ - انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣١٥ .

٤ - انظر : معترك الاقران في اعجاز القرآن ص ٢٣٩ .

٥ - اعجاز القرآن ، للباقلاني ص ٦٠ .

٦ - انظر : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣٦٢ ، نقلا عن البرهان في علوم القرآن .

٧ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن ، للشيخ ابو زهرة ص ٩٩ .

٨ - انظر : من روائع القرآن ص ١٥٣ .

٩ - انظر : نظرات في القرآن ، لمحمد الفزالي ص ١٣٤ - ١٤٨ .

وانظر : مع القرآن ، للدكتور احمد الحوفي ص ٣٥ ، ٣٦٤ .

وانظر : بيلات المعجزة الخالدة ، لحسن عمر ص ٣٢١ - ٣٥٩ .

الوجه الرابع : سوا التشريح القرآني وشموله :

=====

بمعنى اشتمال القرآن على الاحكام الشرعية التي فيها سعادة البشر في

الدارين : الدنيا ، والاخرة .

واصحاب هذا القول من العلماء : القرطبي " ١ " ، والشيخ ابو

زهرة " ٢ " ، والشيخ رشيد رضا " ٣ " ، والزرقاني " ٤ " ، وكثيرون غيرهم . " ٥ "

الوجه الخامس :

===== الوفاء بالوعد المدرك بالحس والعيان في كل ما وعد الله سبحانه

وينقسم الى قسمين :

١ : - اخباره المطلق ، كوعد الله بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم ،

قال تعالى : " هو الذي ارسل رسوله بالهدى وهدى الحق ليظهره على الدين

كله " ٦ " .

١ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن ص ٩١ ، للشيخ ابو زهرة ، نقلا عن تفسير

القرطبي .

٢ - انظر في المعجزة الكبرى القرآن ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٩ .

٣ - انظر : تفسير المنار (١ : ١٩٨ - ٢٠٠) ، فصل في تحقيق وجوه

الاعجاز بمنتهى الاختصار والايجاز .

٤ - انظر : مناهل العرفان ، للزرقاني (٢ : ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

٥ - انظر : على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب ، لاحمد محمد جمال ص

١٠١ - ١٠٨ ، الطبعة الثانية .

وانظر : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن هنري ، ص ٣٥٩ - ٣٦٦ .

٦ - سورة التوبة اية (٣٣) ، وسورة الفتح اية (٢٨) ، وسورة الصف اية (٩) .

(ب) - وعد مفيد بشرط كقوله تعالى : " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " ^١

وصاحب هذا القول : الامام القرطبي " ٢ " ، وذكره الدكتور حسن عتروايده ^٣ .

الوجه السادس : الاعجاز العلمي في القرآن .

=====

بمعنى مطابقة الايات القرآنية التي تكلمت في مجال العلوم الكونية لما

اكتشف من الحقائق العلمية .

ولان المكتشفات العلمية ظهرت اخيرا ، فان العلماء الاقدمين لم يذكرها

هذا الوجه ، وذكره من المحدثين ، الشيخ ابوزهرة " ٤ " ، وداراز " ٥ " ،

والرافعي " ٦ " ، ومحمد الغزالي " ٧ " وكثيرون غيرهم " ٨ " .

الوجه السابع : هداية القرآن .

===== بمعنى تأثيره وطاقته في النفوس ، او الاثر الذي احدهه القرآن

في العالم ، وغيره وجه التاريخ . اى - روحانية القرآن .

واصحاب هذا القول من العلماء : السيوطي " ٩ " ، والرافعي " ١٠ " ،

١ - سورة الطلاق اية (٣) .

٢ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن للشيخ ابوزهرة ص ٩١ ، نقله عن تفسير

القرطبي .

٣ - انظر : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن عترو ، ص ٣٥٩ - ٣٦٦ .

٤ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن ص ٩٩ .

٥ - انظر : النبا العظيم ، لداراز ص ٧٩ .

٦ - انظر : اعجاز القرآن ، للرافعي ص ١٧٥ .

٧ - انظر : نظرات في القرآن ، للشيخ محمد الغزالي ص ١٣٤ - ١٤٨ .

٨ - انظر : علي مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب ص ١٠١ - ١٠٨ .

وانظر : بينات المعجزة الخالدة ص ٣٧٨ - ٣٨١ .

٩ - انظر : معترك الاقران في اعجاز القرآن ص ٢٤٢ .

١٠ - انظر : اعجاز القرآن ، للرافعي ص ١٧٥ .

والباقلاني " ١ " ، ومحمد فريد وجدى " ٢ " ، وكثيرون غيرهم . " ٣ "

الوجه الثامن : اعجازه الممدى .

=====

وقد انفرد في كتابة هذا الوجه من وجوه اعجاز القران ، المؤلف :
عبد الرزاق نوفل - فيما اعلم - فقد كتب كتابا احصى فيه عدد الكلمات لبعض الالفاظ
المتقابلة في القران الكريم : مثل لفظ " الدنيا " و " الآخرة " ، ومثل لفظ
" الشيطان " و " الملائكة " ومثل لفظ " الحياة " و " الموت " . . . الى
اخر هذه الالفاظ ، ووجد ان القران معجز من هذه الناحية . " ٤ "

الوجه التاسع : موضوعية مبادئه وموضوعية التوجيه فيه .

=====

هذا الوجه اشار اليه بعض اصحاب المذاهب السابقة ، وانتهى اليه
الدكتور محمد البهي في كتابه " نحو القران " . " ٥ " .
ومعناه : ان في القران امورا تدل على انه تجرد عن كل البواعث
والميول الشخصية ، وانه موضوعي بقدر ما يعتمد عن الامور الذاتية .

-
- ١ - انظر : مع القران الكريم للحوفي ، ونسبه الى الباقلااني ، ص ٣٣ .
 - ٢ - انظر : الاعجاز في دراسات السابقين ، لمحمد الكريم الخطيب ص ٣٤٥ .
 - ٣ - انظر : مباحث في علوم القران ، للدكتور صبحي الصالح ص ٣٢١ ، الطبعة
السادسة ، بيروت .
- وانظر : القران العظيم هدايته واعجازه في اقوال المفسرين ص ١٤٦ - ١٥٥
محمد الصادق عرجون .
- ٤ - انظر : الاعجاز الممدى للقران الكريم ، عبد الرزاق نوفل ، مطبوعات الشعب .
 - ٥ - انظر كتاب : نحو القران ، للدكتور محمد البهي ، الطبعة الاولى زه
الناشر مكتبة وهبة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص (١٥ - ٥٢) بتصرف .

وتجرد اى عمل عن البواعث والميول الشخصية لا يدل فقط على موضوعيته ٥

وانما يدل مباشرة على تفوقه والوصول به الى درجة الاعجاز ٥

ومن الامثلة التي ضربها " البهبي " على موضوعية التوجيه ٥ :-

١ - ما سجله القران ما اخذ على الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الدعوة

كميله النفسي الى مجاملة الزعماء ٥ والوجهاء ٥ قال تعالى : " عيس وتولى

ان جاءه الاعشى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى ٥ اما من

استخفى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى " ٥ " ١ "

٢ - ما سجله القران ما اخذ على الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الحرب

مع الاعداء ٥ كدائه الاسرى في معركة بدر ٥ وتبنيه في ذلك راي

ابوبكر رضى الله عنه ٥

قال تعالى : " ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يشخن في الارض

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم " ٥ " ٢ "

ومن حيث بيان موضوعية المبادئ يقول الدكتور البهبي :-

(فاذا اضيف الى هذا - يعني موضوعية التوجيه - موضوعية مبادئه ٥

وتجردها تجردا تاما عن الميول والبواعث الشخصية فان اعجاز القران يكون عندئذ

حقيقة ملموسة لا ينكرها الا من لا يفرق بين الموضوعي والشخصي في التفكير وفي العمل

الارادى وفي تقييم الجمال في الحياة)

ومن الامثلة على موضوعية المبادئ ٥ :-

١ - دعوة القران الى التفاضل بين الناس على اساس التقوى ٥ قال تعالى :

١ - سورة عيس الايات (١ - ٧) ٥

٢ - سورة الانفال اية (٦٧) ٥

" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان

اكرمكم عند الله اتقاكم " ١ "

٢ - دعوة القران الى توفير الاعتبار الانساني والكرامة الانسانية . قال تعالى :

" ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم

على كثير من خلقنا تفضيلا " ٢ "

٣ - دعوة القران الى صيانة النفس والعامل من الضياع بطريق غير مشروع . قال تعالى :

" والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا

يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرمها الله الا بالحق ولا

يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه

مهانا " ٣ "

الوجه العاشر : التصوير الفني في القران .

=====

صاحب هذا الراى الشهيد سيد قطب رحمه الله . فالصوير مضافا اليه

السحر الذى يكمن في صميم النسق القراني ذاته ، فيؤثر في نفوس البشر ويؤدى

بالتالى الى هدايتهم .

والتصوير هو الاداة المفضلة في اسلوب القران ، فهو يعبر بالصورة المحسوسة

المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحوادث المحسوس ، والمشهد

المنظور ، وعن النموذج الانساني ، والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها

فيمنحها الحياة الشاخصة او الحركة المتجددة . . . " ٤ "

١ - سورة الحجرات اية (١٣) .

٢ - سورة الاسراء اية (٧٠) .

٣ - سورة الفرقان الايات (٦٧ - ٦٩) .

٤ - انظر : التصوير الفني في القران ، لسيد قطب ، ص ٣٢ و ٣٣ ، طبعة

دار الشروق ، بيروت .

هذه هي اهمه ، واشهر الاقوال في بيان اوجه الهمزة الكريمة ، وقد
قمت باستقراءها وتبويبها ، فوجدت من العلماء من اكثر منها حتى عد خمسة وثلاثين
وجها شرحها في اكثر من الف صفحة " ١ " ، ومنهم من عد عشرة اوجه ، كالقرطبي ،
والبعض عد تسعة " ٢ " ، وعد الرماني سبعة ، والقاضي عياض اربعة ،
والباقون ثلثة والبعض عد وجها واحدا او وجهين ، وكل هذه الوجوه على
جانب كبير من التداخل او التشابه ، وانما يدل هذا على سراعجاز القرآن الكريم ،
وهو انه لا تحده الآراء والنظريات ، فهو اوسع واعق ، من كل ما يتصوره
الناس ، ولذلك يقول ابن سراج (وما بلغوا في وجوه اعجازه جزا واحدا من عشر
مشاره) ،

وقبل ان ابين اين يكون الشيخ محمد عبده من هذه الآراء ، والى اي
الآراء اميل ، أرى ان اصنف هذه الآراء وقد وجدتها ترجع الى خمسة اقسام
على النحو التالي :- " ٣ "

القسم الاول :

=====
الاسلوب وما يتصل به . وهذا ينضوي تحته رأى القائلين :
ان الاعجاز في النظم فقط او بالمعنى فقط ، او بهما معا ، او بالكلمة المفردة ،
او بالفصاحة او البلاغة ، الى اخر ما يتصل بالاسلوب . " ٤ "

-
- ١ - كالمسيوطي في معترك الاقتران ، جمعها في مجلدين كبيرين .
 - ٢ - انظر كتاب : حول خصائص القرآن ، محمد بن طوى المالكي ، ص ١٠ - ٢٣ ،
الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .
 - ٣ - انظر كتاب : الاعجاز الفني في القرآن ، لعمر السلاوي ص ٥٥ ، نشر
وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله .
 - ٤ - انظر كتاب : بصائر ندوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز ابادي ،
تحقيق الاستاذ محمد علي النجار ، طبعة القاهرة ١٣٨٣ هـ ، ص (١ : ٩٨) .

وهذا القسم يشمل رأى : الامام الباقلاني ، والجرجاني ، والطبري ،
والخطابي ، والرطبي ، والرافعي ، والرازي ، والقرطبي ، وكثيرين
من المعاصرين .

القسم الثاني :

=====
ما يتصل بالمعنى ، ويندرج تحته رأى القائلين بالاخبار
عن الخيوط المستقبلية ، والاخبار عن قصص الاولين ، واخباره عن احوال بعض
الصحابة ، والمعاصرين ، واشتماله على بعض الحقائق العلمية ، وخلوه من
التناقض ، وصحة معناه ، وموافقته لطريق العقل . . . " ١ "

وهذا يشمل رأى : السيوطي ، والقاضي عياض ، والباقلاني ،
والزركشي ، والقرطبي ، والرافعي ، والغزالي ، ودراز ، وغيرهم
من المعاصرين .

القسم الثالث :

=====
ما يجمع الاسلوب والمعنى معا ، ويدخل تحت هذا القسم
رأى القائلين بالنظم واللفظ والمعنى ، وبالنظم وصحة المعاني وتوالي فصاحة
الفاظ القران . " ٢ "

وهذا يشمل رأى الامام الباقلاني ، والسيوطي ، والطبري ، والقاضي
عبد الجبار ، والرافعي ، ودراز ، ومحمد الغزالي ، والدكتور عائشة بنت
الشاطي " ٣ " وكثيرين غيرهم .

-
- ١ — انظر : بصائر ذوي التمييز (١ : ٩٨) ، والبرهان في علوم القران
(٢ : ٩٥) .
 - ٢ — انظر : بصائر ذوي التمييز (١ : ٦٨) ، والمغني للقاضي عبد الجبار
(١٦ : ٣١٨) .
 - ٣ — انظر : الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق ، للدكتورة عائشة
عبد الرحمن ص ١٢٧ ، دار المعارف بمصر .

القسم الرابع :

===== ما كان خارجا عن الاقسام الثلاثة السابقة • ويدخل في هذا رأى

القائلين : ان القران يدرك بالذوق ، وانه معجز باشوه وهدايته ،

وعده ، وتصويره ، وموضوعيته ، والقول بالصرفة •

وهذا يشمل رأى ، الدكتور محمد البهي ، والشهيد سيد قطب ،

وعبد الرزاق نوفل ، ومحمد الخزالي ، (والنظام ، والمرضى ، والاسفرائيني)

القائلين بالصرفة ، والسيوطي ، والهاقلائي ، والرافعي ، وكثيرين

غيرهم •

القسم الخامس :

===== ما كان مشتملا على بعض الوجوه السابقة دون بعض •

ويندرج تحت هذا القسم رأى القائلين بان الاعجاز يتمثل في مجموعة من الوجوه ،

كالرأى الذى اورده السيوطي ، والقرطبي ، والرواني ، الى اخر ذلك

ما سبق ذكره •

ولكي تتمكن من بيان تحت اى الاقسام يندرج رأى الشيخ محمد عبده ،

اذكر مرة ثانية رأى الشيخ محمد عبده في الاعجاز حتى يمكننا استحضاره ليتأتى لنا

المقارنة بينه وبين الآراء الأخرى •

رأى الشيخ محمد عبده :-

===== وهو يشمل :-

١ - القران معجز من حيث احتواؤه على اخبار الامم السابقة •

٢ - القران معجز من حيث تنبيهه الى ما افسده العلماء من الطل السابقة من

عقائد ، وما خلطوا في احكامه ، وما حرفوا بالتاويل في كتبهم •

٣ - القران معجز من حيث احتواؤه على احكام شرعية توفر مصالح الناس فيتحقق بذلك

العدل والنظام •

٤ - القرآن معجز من حيث احتواؤه على حكم ومواعظ واداب تخشع لها القلوب ،

وتذرف منها العيون .

٥ - القرآن معجز من حيث فصاحته وبلافته .

٦ - القرآن معجز من حيث احتواؤه على بعض اخبار الغيب التي صدقتها احداث

المستقبل .

٧ - القرآن معجز من حيث ظهوره على لسان امي لبث اربعين سنة لم يوصف

بالبلاغة ، ولم يوثر عنه شيء من العلم .

ومن خلال ما ذكره الشيخ محمد عبده يدولي ان مذهبه يذكر بعض وجوه

الاعجاز وينقل البعض ، كغيره من العلماء ، فيكون من اصطب الاراء المندرجة

تحت القسم الخامس .

والتأمل في هذه الراء ، يجد ان كل واحد منها سلك طريقا خاصا وصل به

الى اثبات الاعجاز ، فمهما اختلفت الطرق فقد التقى السائمون في النهاية .

وذلك لان جلال القرآن اعظم من ان يحيط به واحد فظهر لكل واحد منهم

ما فتح الله به عليه . وتجمع من ارائهم المختلفة هذه الراء كلها ، فهي ثمار

جهود جميعهم ، ولا يمكن ان يقال ان بعضها لاح لباحث منهم ثم رفضه ، وانما

وقف كل واحد حيث وقفت جهوده ، ولكن من احصوا البحوث بعدهم وجدوا هذه

الثروة كلها وليس في وسع باحث ان ينكر منها شيئا ، وهي كلها حق ، وصدق ، وغير

ان بعض المتأخرين كان يرى ان الاقتصار على اهمها واشهرها وضوحا يكفي ، ومن

هو لاء الشيخ محمد عبده رحمه الله .

وانذا قبلنا مثل هذه الوضع من امثال الشيخ محمد عبده ، فانه لا ينبغي ان

ينسينا ما فتح الله به على الناس اتوا بعده . فانه ليس في وسعي ان اغفل راي

الشهيد سيد قطب رحمه الله . فهذا الرأى له من الوجاهة ما لا يصح معه اغفاله

بحال من الاحوال . . .

(فالقران معجز من حيث النسق القراني ذاته ، المعتمد على التصوير ،
الاداة المفضلة للتعبير ، وهذا بدوره يودي الى جذب النفس اليه فيؤثر فيها
خوفا واملا ، حتى اذا اخذت حظها منه عادت خاشعة وجللة ، وهكذا في كل مرة
يقرأ فيها القران) .

فأنا اضيفه الى الالوجه التي ذكرها الشيخ محمد عبده ، وذلك للأسباب

التالية :-

اولا :

==== لان القران الكريم استحوذ على جميع العرب ، بل على الانس والجن ،
بنسقه الفريد ، وتصويره الرائع ، وتأثيره في النفوس .
ولقد اجتمع على الاقرار بهذا ، المؤمن والكافر ، من الانس والجن .
قال تعالى : " قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجيبا
يهدى الى الرشاد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا " . " ١ "
وان الذي جعل الجن يقولون عنه : " عجيبا " ، هو الذي جعل الوليد
ابن المغيرة يقول :- (انه يعلو ولا يعلى عليه) .
لا شك ، انه النسق القراني الذي يسحر " ٢ " النفوس .

ثانيا :-

==== لان هذا الوجه من وجوه الاعجاز ، يمكن ان نجده في كل سورة قرآنية ،
وفي قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانك هو الابر " . " ٣ "

١ - سورة الجن الايات (١ - ٢) .

٢ - تأسيا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " وان من البيان لسحرا " .

٣ - سورة الكوثر واياتها ثلاث (٣) .

والقرآن تحدى بمثل هذه السورة ، ولكل سورة نصيبها من التصوير الفني
أما البحث في غير هذا الوجه من أمور أخرى كعلم الغيب ، والتشريع ،
والاعجاز العلمي ، والعددي فإنه يثبت المزية للقرآن مكملاً دون السور
القلائل التي لا غيب فيها ولا تشريع ومع ذلك وقع الإعجاز بها .

ثالثاً :

==== هذا الرأي تشير إليه أول سورة في القرآن الكريم ، سورة الفاتحة التي
حوت مقاصد القرآن الكريم كله ، (وفيها على قصرها تلك الكليات الأساسية في
التصور الإسلامي وتلك التوجيهات الشمورية المنبثقة من ذلك التصور) . " ١ "

١ - في ظلال القرآن ، للشهيد سيد قطب (١ : ٢٦) .

من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، التي ورد ذكرها في القرآن والسنة

=====

ان سرد واستيفاء جميع ما للرسول صلى الله عليه وسلم من معجزات ، مما لا يتأتى تحقيقه ، هنا ، لان الكلام فيه طويل ، ويحتاج الى الكثير من الجهد والوقت ،

وقد افرد بعض العلماء لهذه المعجزات ابوابا خاصة ، والبعض افرد لها كتابا خاصة مما يدل على اهميتها ووقرتها . . . " ١ "

وانا انما اريد ان اقتصر على ذكر بعض هذه المعجزات ، واطلق عليها حسب الحاجة ، وعلى قدر الامكان ، تكلمة للبحث ، لان ما لا يدرك كله لا يترك اقله .

اقول :- للعلماء في تقسيم هذه المعجزات طرق ومذاهب :-

(١) - فقد ذكر صاحب المفني ان المعجزات المنقولة التي ظهرت على يديه عليه

السلام ، على ا ضرب ثلاثة :-

(الاول) : ما تعلم صحته وثبوته اما باضطرار ، واما بالاستدلال .

(الثاني) : ما ظهر واشتهر وعلم عند عوالم الناس وعاشهم .

(الثالث) : ما ينقل نقل الاحاد .

وذكر القاضي عبد الجبار ان ما يصح الاحتجاج به : الاول ،

١ - كما فعل البخارى في باب " علامات النبوة " ، وكذلك صنع مسلم في باب

" معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم " .

وهناك من الكتب : دلائل النبوة للبيهقي ، ودلائل النبوة للطوردي ،

وكتاب : الوفا باحوال المصطفى لابن الجوزي ، وغيرها من الكتب .

وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم انها تزيد على الف ومائتين ،

والثانسي * ١ *

(ب) - وقسمها البعض الى حسية ، عقلية .

والحسية : هي التي تجابه الحس ، وتظهر عجز الانسان عن معارضتها ،

فتقيم للفكر برهاناً ملزماً على نبوة صاحبها .

والمقلية : هي التي تواجه العقل بكل ما فيه من قوى الادراك ،

والاستبطار * ٢ *

والتقسيم الاول انما هو من حيث صحتها وثبوتها وما يصح الاحتجاج به منها

وما لا يصح .

والتقسيم الثاني انما هو من حيث طبيعتها .

وانا اميل الى تقسيمها من جهة المصدر ، فاقسمها الى :

(أ) معجزات ثبتت بنص القران الكريم ، وصریح السنة النبوية .

(ب) معجزات ثبتت في السنة فقط .

واليك من كل قسم معجزتين :-

القسم الاول (أ) :-

=====

المعجزة الاولى : الاسراء الى بيت المقدس .

الاسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس احدى

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التي خبر بها ، وشهد القران بصحتها ،

ووقع التصديق بها من جمع كبير من الناس زمن البعثة .

= قال بعض العلماء : انها تزيد على ثلاثة الاف معجزة تقريبا ، وقد اعنى بجمعها

فحول من الائمة كأبي نعيم ، والبيهقي .

انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى (٦ : ٣٧٦) .

١ - انظر : المغني للقاضي عبد الجبار (١٦ : ٤٠٧) ، الطبعة الاولى

١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

٢ - انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين ص ٥٢ و ٦٤ .

قال تعالى : " سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير " . " ١ " .
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول :

" لما كذبتني قرىش قمت في الحجر ، فجلني الله لي بيت المقدس فطفت اخبرهم
عن اياته وانا انظر اليه " . " ٢ " .

المعجزة الثانية : انشقاق القمر .

=====

وهذه ايضا ، معجزة باهرة من امهات معجزاته صلى الله عليه

وسلم ، لا يكاد يعدلها شيء من معجزاته بعد القرآن الكريم .

قال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل امر مستقر " . " ٣ " .

وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان يريهم آية ، فاراهم القمر شقين حتى راوا " حراء " " ٤ " . بينهما . " ٥ " .

وحادثة انشقاق القمر راها جمع غفير في حينها ، ووقع التصديق بها من

السفارة ، فكانت احدى المعجزات الباهرات . " ٦ " .

-
- ١ - سورة الاسراء آية (١) .
 - ٢ - صحيح ، رواه البخارى ، في باب حديث الاسراء ، كتاب به الخلق .
وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى (٧ : ١٣٩ ، ١٤٠) .
 - ٣ - سورة القمر الايات (١ - ٣) .
 - ٤ - غار حراء ، في اعلى جبل النور بمكة .
 - ٥ - متفق عليه .
 - ٦ - انظر تفسير ابن كثير (٤ : ٢٦١) .

قال ابن كثير : (وقوله تعالى " وانشق القمر " قد كان هذا في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الاحاديث المتواترة بالاسانيد
الصحيحة ، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال :
" خمس قد مضين : الروم ، والدخان ، واللزام ، والبطشة والقمر " . ١
وهذا امر متفق عليه بين العلماء ، وان انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي
صلى الله عليه وسلم ، وانه كان احدى المعجزات الباهرات) . ٢
وان ثبوت حادثة انشقاق القمر بالتواتر - كما ذكر ابن كثير - وقد رويت
احاديشها عن جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ،
وابن عمر ، وطلحة ، وحذيفة ، وجبير بن مطعم ، وغيرهم وهي
تفيد العلم اليقيني بصدق مدعي النبوة ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

-
- ١ - انظر : فتح البارى (٨ : ٤٩٦ ، ٥٧٢) ، وانظرة : فتح القدير
(٤ : ٥٧٣) .
الروم : انتصار الروم وهم اهل كتاب على الفرس وهم عبدة الاوثان ، وذلك
بعد بضع سنين من هزيمتهم .
قال تعالى : " الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفليون
في بضع سنين " .
الدخان : لما دعا الرسول قريشا ، كذبوه فقال : اللهم اعني عليهم بسبع
كسبح يوسف ، فاصابتهم سنة لم تن . شيئا حتى كانوا ياكلون الميتة ، وكان
يقوم احد هم فيرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع والجهد . /
انظر : فتح البارى (٨ : ٥٧٣) .
اللزام : ما لزم المشركين من العذاب في الدنيا والاخرة : / انظر فتح
البارى (٨ : ٤٩٦) ، وانظر : فتح القدير (٤ : ٩٠) .
البطشة : هي يوم بدر ايضا ، قاله الاكثر واختره الشوكاني .
انظر : فتح القدير (٤ : ٥٧٢) .
القمر : المراد الانشقاق الواقع في ايام النبوة ، واليه ذهب الجمهور
من السلف والخلف) .
انظر : فتح القدير (٥ : ١٢٠) .
٢ - تفسير ابن كثير (٤ : ٢٦١) .

القسم الثاني (ب) :—

=====

المعجزة الاولى : نبع الماء من بين اصابعه الشريفة .

فقد ظهر واشتهر ، وتواتر الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سقى

الكثير من الماء القليل . وكان ذلك في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم ، عند

اعزاز الماء وتعذره .

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يضع يده الشريفة في الوعاء الذي به

الماء ، فيفور الماء من بين اصابعه فيشرب القوم ويتزودوا . " ١ "

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية ،

والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة " ٢ " فتوضأ . فجهش الناس حوله " ٣ "

فقال : ما لكم ؟

قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة

فجعل الماء يفور بين اصابعه كأمثال العيون ، فشرينا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟

قال : لو كنا مائة الف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . " ٤ "

يذكر الامام القرطبي ان هذه الحادثة تكررت منه صلى الله عليه وسلم في

عدة مواطن ، امام جمع عظيم ، ووردت من طرق كثيرة ، يفيد مجموعها العلم القطعي

المستفاد من التواتر المعنوي .

ويذكر ايضا انه لم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير الرسول صلى الله عليه

وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه . " ٥ "

١ — انظر : المفني في ابوابه التوحيد والمدل (١٦ : ٤١٣) .

٢ — اناء صغير للشرب .

٣ — اسرعوا تمهيتين لاخذ الماء .

٤ — انظر : صحيح البخارى (باب علامات النبوة) .

٥ — انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦ : ٣٧٨) .

المعجزة الثانية :

اطعام الكثير من يسير الطعام - او تكثير الطعام - وقد وقع هذا في
اماكن متفرقة ، وفي غزواته ، وفي دور جماعة من الانصار وغيرهم ، وقد ظهر نقل ذلك
واشهر . " ١ "

روى البخارى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : انا يوم
الخندي نحفر ، فعرضت كدية " ٢ " شديدة ، فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق .

فقال : انا نازل ، ثم قام ومطنه معصوب بحجر ، ولبيثنا ثلاثة ايام لا ندوق
ذواقا ، فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الممول " ٣ " فضرب فماد كتيها " ٤ "
اهيل او ااهيم " ٥ " .

فقلت : يا رسول الله : ائذن لي الى البيت . فقلت لامراتي : رايت بالنبي صلى
الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر ، فمعدك شيء ؟ قالت : عندى
شعير وعناق " ٦ " . فذهبت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة " ٧ "
ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم ، والعجين قد انكسر " ٨ " ، والبرمة بين

١ - انظر : المشني (١٦ : ٤٠٧ - ٤٢٢) .

٢ - الكدية : صخرة صماء .

٣ - الاداة . التي تستعمل لتكسير الصخور .

٤ - الكتيب : الرمل .

٥ - الاهيل أو الايم : المتفكك الناعم .

٦ - العناق : انثى الماعز دون السنة من عمرها .

٧ - البرمة : الوعاء او القدر .

٨ - لان من اثر التخمير .

الاثاني " ١ " ، قد كادت ان تنفج . فقلت : طمئني لي ، فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان . قال صلى الله عليه وسلم : كم هو ؟ فذكرت له . قال : كثير طيب . قال : قل لها لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور حتى اتي . فقال صلى الله عليه وسلم : قوموا ، فقام المهاجرون والانصار . فلما دخلت على امراتي قالت : ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم . قالت هل سالك ؟ قلت : نعم . فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوا ولا تضاغطوا " ٢ " ، فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه . ويقرب الى اصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويفرف حتى شبعوا ، وبقي بقية . قال : كلي هذا واهدى فان الناس قد اصابتهم مجاعة . " ٣ "

ويروى ان عدد الاكلين ثمانمائة ، وفي رواية للبخاري انهم كانوا الفا . وهذا ببركة رسولنا صلى الله عليه وسلم ، حيث اظهر الله علي يديه هذه الاية الكريمة ، فاكلوا واكلوا ، وشبع وشبعوا وفضلت فضلة . وهذا يدلنا على صدق نبوته ورسالته ، صلى الله عليه وسلم . وروى انه عليه الصلاة والسلام بعد ما اكلوا وشبعوا شهد لله بالوحدانية . ولفسه بالرسالة فقال : اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله . " ٤ " والاحاديث التي تفيد ثبوت المعجزات للرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة ، (تواترت بها الاخبار واستفاضت ، ونقلتها الامة جيلا بعد جيل وخطا عن سلف . . .)

-
- ١ - ثلاثة حجارة ، يوضع القدر فوقها .
 - ٢ - اي لا تزدهموا .
 - ٣ - انظر : صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة الخندق . وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧ : ٢٧٧) .
 - ٤ - انظر : جامع الاصول من احاديث الرسول ، لابي السامدات مبارك بن محمد الجزري ، ابن الاثير الجزري (١٢ : حديث رقم ٨٨٦٧) ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
 - ٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤ : ٢٢٧) .

موقف الشيخ محمد عبده من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :

=====

تحديد موقف الشيخ محمد عبده من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم -

غير القرآن - ، كان مدار جدل بين العلماء من بعده ، أدى الى اضطراب
الناس في الوقوف على المسلك الصحيح الذى سلكه الشيخ محمد عبده في هذا
الموضوع .

هل هو ينكر ما ثبت للرسول صلى الله عليه وسلم من معجزات غير القرآن ؟

ام لا ؟

انقسم الناس الى فريقين :

الفريق الاول : اعتبره منكرا لهذه المعجزات .

والثاني : نفى ان يكون الشيخ محمد عبده منكرا لهذه المعجزات .

واليك البيان :-

الفريق الاول :

===== لقد ذهب هذا الفريق الى ان الشيخ محمد عبده انكر

المعجزات الثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وانه لم يثبت له الا معجزة القرآن
الكريم . اما ما عداها من المعجزات فليست من شأنه ، وليس له اليها من سبيل ،
ويشهد بقوله تعالى " قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين " ، " ١ " .
ويزعم ان هذا من الخصائص العليا له عليه الصلاة والسلام ، فهو لم يخاطب الناس
بما لا يفهمون ، ولم يعاملهم بما وراء حدود العلم الذى يدركه البشر .

وقد مثل هذا الفريق جماعة منهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي "١" ،
والمستشار سالم البهنساوي "٢" .

واليك ما قاله هذان الاستاذان :-

أ :- يقول الاستاذ المستشار سالم البهنساوي في مجلة المجتمع "٣" :

(ان الشيخ محمد عبده اخطأ سهيلاً الدفاع عن الاسلام ، فأنكر

المعجزات النبوية ،

وأول نصوص المعجزات الواردة في القرآن ، متأثراً بأقوال المبشرين والمستشرقين) .

ب :- يقول الاستاذ محمد سعيد رمضان البوطي :- "٤"

(وانك لتقرأ هذا الكلام ، وتجد هذا الاتجاه - وهو اعتقاد ان

النبي صلى الله عليه وسلم لم تسجل له سوى معجزة واحدة هي القرآن ، الذي

تنزل عليه ، اما الخوارق الاخرى مما لا يدركه ويفهمه العقل فقد كان منكراً لها

غير عابئ بها ، ولا ملتفت الى المطالبين بها - في كثير من الكتب الحديثة اليوم

بعد ان تنهاه من قبل افراد معدودون تبنا الدعوة اليه ، والتهشير به ، وارتبطت

اسماؤهم من اجل ذلك بشعار " الاصلاح الديني " الذي شاع لاسباب معينة منذ

ذلك اليوم) . "٥"

لكن من هو هؤلاء الذين ارتبطت اسماؤهم بشعار الاصلاح الذين انكروا

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

١ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٤ ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .

٢ - انظر : مجلة المجتمع الممدد ٣٦٤ ، السنة الثامنة ص ٢٨ .

٣ - مجلة المجتمع ، الممدد ٣٦٤ ، في ٩ رمضان ١٣٩٧ هـ ، السنة

الثامنة ص ٢٨ ، ٢٩ .

٤ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٣ .

٥ - نفس المرجح ص ٢٣٤ .

اجاب البوطي : (وفي سبيل هذا " الاصلاح " جي " بالشيخ محمد عبده ،
واعطيت له مقاليد الامر ، ليقوم باصلاح شامل في ميدان الازهر متبعاً الاساس الذى
اوضحناه) . " ١ " .

وما هو هذا الاساس ؟

اجاب : (انه الاستماعة بمنهج فكرى يغير من تفكير المسلمين تغييراً
يقصدهم من هذه الشدة في التمسك بالدين والتضحية من اجله والاعتماد عليه وحده ،
ويجعلهم يلتقون مع الفكر الاوروبى في اوسع قدر ممكن من سبل الحياة) . " ٢ " .
ويتابع حديثه قائلاً :

(وكان من نتيجة ذلك تنصيب الشيخ " مصطفى المراغى " شيخاً للجامع
الازهر ، وهو الذى يقول في تقريره ، وتقدمه لكتاب " حياة محمد " " ٣ " :
(لم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة الا في القوان وهي معجزة عقلية) .
وتلصيق " محمد فريد وحدى " رئيساً لتحرير مجلة الازهر - نور الاسلام -
وهو الذى يقول فيها تحت عنوان : (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) -
اننا نحرس فيما نكتبه في هذه السيرة على ان لا نسرف في كل ناحية الى ناحية الاعجاز ،
ما دام يمكن تحليلها ، بالاسباب العادية حتى ولو بشيء من التكلف
(وما هو الا ان تسلم هؤلاء وغيرهم مراكزهم الجديدة حتى بدأ التبشير
بالمنهج الجديد في فهم العقيدة الاسلامية ، وهو المنهج الذى يهدف الى تجاهل
كل المسائل النسيبية التى لا تقع تحت مجهر العلم التجريبي المحسوس ، وفي مقدمتها

١ - نفس المرجع ص ٢٣٧ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٣٤ .

٣ - انظر كتاب : حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل ، الطبعة ١٣ ، ١٩٦٨ م .

مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، تقرير الشيخ محمد مصطفى المراغى .

ص (ك ، ل) .

المعجزات على اختلافها

(فقد رأينا كيف يكتب الشيخ محمد عبده في ابحاث العقيدة على طريقة غريبة عجيبة ، يخرج فيها على اجماع المسلمين ، ودهيات العقيدة الصحيحة رأيناه كيف ينتهي في تفسير سورة الفيل التي تأويل صريح الاية بان المقصود بطير الابل ، وحجارة السجيل ، انما هو ماء الجدرى " ١ " وتأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة الواضحة المعنى ، ثم قل لي كيف يتأتى ان يؤمن بمخيمات القران التي هي اعظم غرابة بكثير من قصة الفيل ، من يعمد الى نص القران فيقول طير الابل والحجارة التي تربى بها ، بدء الجدرى ؟ " ٢ "

• ه • ا

الفريق الثاني :

===== هذا الفريق من العلماء نفي ما قيل عن الشيخ محمد عبده ، بهذا الخصوص ، ولم يثبت عندهم نص يدينه ، وعلى عكس الفريق الاول ، فقد كتبوا عن حياة الشيخ محمد عبده ، وتمرض بعضهم لمعتقده " ٣ " ، دون ان يشيروا الى شيء من هذا القبيل ، بل عدوه زعيما من زعماء الاصلاح و ورائد الفكر المصري ، ورائد اللون الادبي والاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر . ولم يذكر واحد من هؤلاء " ٤ " انه انكر معجزات المصطفى صلى الله عليه وسلم .

١ - انظر : تفسير جزء عم ص ١٢٠ ، وسأذكر بعد قليل النص الكامل لقصة

الفيل .

٢ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٨ ، الهامش .

٣ - في مقتطفات قصيرة ، لا كما هو في مثل هذا البحث .

٤ - امثال : رشيد رضا ، والمعقود ، وعثمان امين ، ومحمد حسين

الذهبي ، . . . وغيرهم .

جراحة في التأويل

=====

أقول : هذا الذي اختلف فيه العلماء ، وتباعدوا ، يستحق تحقيرا علميا
وموضوعيا ، من غير تحيز الى فريق دون فريق ، وذلك احقا للحق ، وابطالا
للباطل .

لانه ما من مجلس ، ولا منتدى ، يذكر فيه الشيخ محمد عبده ، الا ويذكر
اسمه مرتبطا بانكاره للمعجزات ، خاصة قصة سورة الفيل ، والتفسير الذي ذهب
اليه فيها .

ولقد عرضت الموضوع على الاستاذ المشرف ، فأبدي رغبته في البحث ،
والكتابة وتحقيق المسألة بدقة وامانة ، وكان له في ذلك رأى " ١ " ، اذكره بعد
قليل .

واحب قبل ان ابين الرأى في تفسير الشيخ محمد عبده ، لسورة الفيل ، ان
اعقب على كلام الفريق الاول ، فأقول :-

أ - الا أؤيد ان الشيخ محمد عبده انكر المعجزات ، يشهد لهذا ان
الشيخ محمد عبده يكذب الذين ينكرون المعجزات من اول وهلة بلفظ " زعم "
ويتهمهم بالتهور .

فيقول :- (وزعم الذين لا يجهون المعجزات من المشهورين (٠٠٠) . " ٢ "

ويؤكد ان (فلق البحر كان من معجزات موسى عليه السلام) . " ٣ "

-
- ١ - انظر : بحوث كتابية ، للدكتور سليمان دنيا ، لم تطبع بعد .
 - ٢ - انظر : تفسير المنار (١ : ٣١٥) .
 - ٣ - انظر : تفسير المنار (١ : ٣١٤) .

فانما كان لا ينكر معجزات موسى عليه السلام ، فكيف ينكر معجزات صاحب
الرسالة الاسلامية ، نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .
ويقول : وقد قلنا في رسالة التوحيد : (ان الخوايق الجائزة عقلا - اى
التي ليس فيها اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما - لا مانع من وقوعها بقدرة الله تعالى
في يد نبي من الانبياء) . " ١ ")
(ويقول :-

(فمتى ظهرت المعجزة وهي مما لا يقدر عليه البشر ، وقارن
ظهورها دعوى النبوة علم بالضورة ان الله ما اظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يديه ،
وان كان هذا العلم قد يقارله الانكار مكابرة) . " ٢ ")

ب - لم يخرج الشيخ محمد عبده فيما كتب في امور العقيدة على اجماع
المسلمين " ٣ " ، بل كان يعتمد في كثير من ارائه وافكاره على اقوال بعض المفسرين
المشهورين المشهود لهم بالورع والتقوى من السلف الصالح ، كحكمة مثلا " ٤ "
كما سنرى .

وقد بينت في الباب الاول " ٥ " ان الشيخ محمد عبده ، كان يعول على
عقله كثيرا ، ومع ذلك كان يلتقي مع السلف في كثير من مسائل العقيدة ، ذلك
لان العقل الصحيح يلتقي مع النص الصريح .

-
- ١ - انظر : تفسير المنار (١ : ٣١٤) .
 - ٢ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠٢) .
 - ٣ - الا في بعض الامور ، كانكار الملائكة ، والجن ، وتأويل معناهما ،
وسياتي بيانه
 - ٤ - وعن يعقوب بن عتبة . ورواية ابن جرير الطبري تحتاج الى تحقيق ، لانه كثيرا
ما يكتب من غير تفريق بين صحيح وغيره ، فهو يجمع الاقوال ويضعها بين يدي
القارى .
 - ٥ - انظر الباب الاول ، الفصل الاخير ، في بيان منهج الشيخ محمد عبده في
الاستدلال والبحث .

ج - لا يلزم ، بل لا يحق ان نأخذ الشيخ محمد عبده بذنب لم

يقترفه .

وما قاله المراغي ، او محمد فريد وجدى ، او محمد حسين هيكل او غيرهم
من تلاميذه ، ليس حجة عليه ، خاصة وان احدا لم ينسب هذا الراى اليه ،
فكيف يجوز ان نلزمه بقول لم يقله وقد قرر العلماء ان لازم المذهب ليس بمذهب ،
فهل يكون مذهب الصديق مذها ؟ وهو القائل في رسالة التوحيد ، فيما يجب
على المؤمن من بالانبياء ان يعتقد :-

(وان يؤمن بانهم مؤيدون من العناية الالهية بما لا يعهد للمقول ،
ولا للاستطاعة البشرية ، وان هذا الامر الفائق لمفهوم البشر هو المعجزة) * ١ *

د - اما قصة الفيل ، وتأويل صريح - الاية في قوله تعالى : " وارسل
عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم ككصف مأكول " ، * ٢ *
فاليك ما قاله الاستاذ سليمان دنيا ، حفظه الله ، وجزاه خيرا ...
قال :-

(ليس في وسمي ان ان اتجاهل ما وجه الى الشيخ " محمد عبده " من نقد ، فقد يكون حقا ، ولا ان اخذ به ، فقد يكون باطلا .
وقد رايت ان استعرض مواضع النقد من كلامه فافحصه واتبين مدلولاته
ومراميها ، منصفا غير متحيز ، وماحبا متفهما ، غير مدافع ولا مهاجم ، حتى اذا
حصلت النفس على المعنى الذى يخلب على الظن انه اليه قصد ، وعلى المدلول
الذى لا يكون هنالك ما هو اقرب الى عبارته منه ، عدت الى المآخذ والاعتراضات ،
فان وجدت لها سبيلا تدخل منه الى هذا المدلول وذلك المعنى ، سايرتها .

١ - رسالة التوحيد ص ٨٩ .

٢ - سورة الفيل الايات (٣ - ٥) .

وتابعتها ، ووقفت الى جانبها ، واظنت موافقتي لها ، وانضماني لاصحابها ،
جأ في الحق واهله .

وان وجدت غير ذلك ، اخذت السبيل عليها ، ورددتها على اعقابها ،
وسينت انما ارادت ما لا يراد ، وتطلعت الى ما لا سبيل اليه . ايضا جأ في الحق
واهله .

فان العلم هو الحق ، ومن فرق بين العلم والحق ، فليس هو من العلم
ولا من الحق في شيء .

وحيث ان الناقدين والمعتضدين على الشيخ " محمد عبده " ، قد جعلوا

تفسيره لسورة " الفيل " قطب الرحا الذي يدور حوله تقدمهم واعتراضهم ، حتى
انهم اعتبروه بسببه (خارجا على اجماع المسلمين ودهيات المقيدة الصحيحة) . " ١ " .
وسوغوا لانفسهم ان ينفوا عنه الايمان بالغيب - دون ان يدلوا على مواضع
هذا النفي من كلامه - بل قياما على ما له من تأويل في سورة " الفيل " .

فيقول قائلهم : (وتأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة ، الواضحة المعنى ،
ثم قل لي كيف يتأتى ان يؤمن بمشنيات القران التي هي اعظم غرابة بكثير من قصة
الفيل ، من يعمد الى نص القران فيها ، فيؤول طيرا الابليل ، والحجارة
التي تربي بها ، بدءا الجدرى) . " ٢ " .

أقول : - لما كان تفسير الشيخ " محمد عبده " لسورة الفيل هو منطلق
الخلافا بينه وبين خصومه ، وهو الاصل الذي تفرج عنه كل ما عداه من خلافا ،
فقد وجدت انه من الضروري - بناء على المنهج الذي بدا لي انه الطريق الصحيح
للفصل في هذه الخصومة ، من النظر في كلام الشيخ محمد عبده اولا ، نظرة

١ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ،

ص ٢٣٧ .

٢ - انظر : نفس المرجح ص ٢٣٨ .

فاحصة مفهومة ، ومحايده ، ثم النظر في الاعتراضات بهد فهم المعترض عليه ،
ليمكن الحكم الصحيح بقبولها ، او ردها - ان ادرس بعناية ، ومع القارئ ،
عبارات الشيخ محمد عبده التي فسرها سورة الفيل ، ان قد نيط بهذا التفسير
فصل الخطاب في ادانته او براءته .

ودعني اخذ هذا التفسير عبارة بعبارة ، وجزأ جزأ ، حتى يسهل
بخه وتطيله .

يقول الشيخ " محمد عبده " :

(السورة الكريمة تعلمنا ان الله سبحانه يريد ان يذكر نبيه ، ومن
تبلغه رسالته ، بعمل عظيم من اعماله الدالة على عظيم قدرته ، وان كل قدرة
دونها فهي خاضعة لسلطانها ، وانه القاهر فوق عباده ، لا يمنعهم منه عزة ،
ولا يخاص عليه منهم قوة ، ذلك العمل العظيم هو ان قوما ارادوا ان يتمزروا
بفيلهم ليغلبوا بعض عباده على امرهم ، ويصلوا اليهم بشر واذى ، فاهلكهم
الله ورد كيدهم ، واهطل تدبيرهم ، بعد ان كانوا في ثقة بحدودهم وعددهم ،
فلم يفدهم ذلك شيئا . . . " ١)

١ - واليك نص كلام الشيخ محمد عبده فيها بعد هذا :-
يقول :- (وكان يمكننا ان نكتفي بذلك المعنى من الايات ، ولا نزيد عليه
ادنى تفصيل ، وهو كاف في الاعتبار والمعطة ، كما اكتفينا بذلك في اصحاب
الاخدود ، لكن في هذه السورة يجوز لنا التفصيل ، لان واقعة الفيل في
ذاتها - كما ورد في هذه الايات - معروفة متواترة الرواية ، حتى انهم
جعلوها مبدأ تاريخ يحددون به اوقات الحوادث ، فيقولون : ولد عام الفيل
وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل ، ونحو ذلك .
ومتواتر من الواقعة هو ان قائدا جهشيا - ممن كانوا قد غلبوا على
اليمن - اراد ان يعتدى على الكعبة المشرفة ، ويهدمها ، ليمنع العرب من =

فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت . . . اهلكه الله واهلك قومه قبل ان يدخل مكة ، وهي نعمة من الله فمربها اهل مكة - على وثنيهم - حفظا لبيته ، حتى يرسل من يحميه بقوة دينه ، صلى الله عليه وسلم . . .)
اقرا هذا ، ثم اقرا ما كتبه ابن كثير في تفسير هذه السورة ، قال ،
- اول ما قال - :

(هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش ، فيما اصرف عنهم من اصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ، ومحو اثرها من الوجود ، فأبادهم الله ، وارغم اناقمهم ، وخيب سعيهم ، واضل علمهم ، وردهم

= الحج اليها ، اوليقهرهم ، وينزلهم ، فتوجه بجيش جرار الى مكة لذلك ، واستصحب معه فيلا او فيلة كثيرة ، زيادة في الارهاب وحشر الخوف الى القلوب ولم يزل سائرا يغلب من يلاقيه حتى وصل الى الشمس (موضع قرب مكة في طريق الطائف مات فيه " ابو رغال " دليل صاحب الفيل) بالقرب من مكة ، ثم ارسل الى اهل مكة يخبرهم انه لم يأت لحربهم ، وانما اتى لهدم البيت ، ففرغوا منه ، وانطلقوا الى شعف الجبال ينتظرون ما هو قاعل .
وفي اليوم الثاني نشأ في جند الجيش داء الجدري والحصبة . قال

عكرمة : هو اول جدري ظهر ببلاك العرب .
وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث : ان اول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاك العرب ذلك العام .

وقد فعل ذلك الهواء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحه هولوا هارين ، واصيب قائد الجيش الحبشي ، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة ، وانملة انملة ، حتى انصدع صدره ومات في صنعاء .

هذا ما اتفقت عليه الروايات ، ويصح الاعتقاد به ، وقد بينت لنا هذه -
السورة الكريمة ان ذلك الجدري او تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح .

فيجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الامراض ، وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الريح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد دخل في مسامه ، فثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه . وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر .

وان هذا الحيوان الصغير - الذي يسمونه الان بالميكروب - لا يخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها الا بارثها ، ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عقاب مغرب ، ولا ان يكون له الوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ، فله جند من كل شيء . وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته ، فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت ارسل الله طيه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى او الحصبة ، فاهلكته واهلكت قومه قبل ان يدخل مكة . وهي نعمة من الله غمر بها اهل حرمه - على وثنياتهم - حفظا لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم .

وان كانت نعمة من الله طحت بأعدائه اصحاب الفيل الذين ارادوا الاعتداء على البيت دون جرم اجترمه ولا ذنب اقترفه .

هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة ، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ان صحت روايته .

ومما تعظم به القدرة ان يؤخذ من استمزا بالفيل - وهو اضخم حيوان

من ذوات الاربع جسما - ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر ، حيث ساقه القدر . لا ريب عند العاقل ان هذا اكبر ، واعجب

وابهر (٥٠١ هـ)

انظر / تفسير سورة الفيل ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٥٢٧ - ٥٢٩) .

بشخصية ، وكانوا قوما نصارى ، وكان دينهم ان ذاك اقرب حالا مما كان عليه قريش ، من عبادة الاوثان ، ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لصحت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانه في ذلك العام ولد على اشهر الاقوال ، ولسان حال القدرة يقول :

لم ينصركم يا معشر قريش على الحجة لخيرتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت المتيق الذي سنشرقه ونعظمه ، ونوقره ، وبمئة النبي الامي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء) . " ١ "

اقرا هذا وذاك ، وقرر الاتفاق في الفكرة بين الرجلين ، والمتأخر هو الذي تأثر بالمقدم طبعا .

x x x

ثم ان ابن كثير ، لم يسم حادثة الفيل معجزة ، بل سماها ارهاصا ، والشيخ محمد عبده اتفق مع ابن كثير في المعنى الذي سماه ابن كثير ارهاصا ، وان لم يطلق عليه نفس الاسم ، وذلك حيث يقول :

(وهي نعمة من الله غرّبها اهل حرمة - على وثنيّتهم - حفظا لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم) .

وابن كثير على حق ، ان لم يسم حادثة الفيل معجزة : لان المعجزة

هي ما يظهره الله على يد مدعي النبوة تصديقا لدعواه .
ثم ان تفسير الشيخ محمد عبده لسورة الفيل يشتمل :

أ :- على ثبوت " الفيل " الذي ورد في النص القراني :

١ - حيث يقول : (ان يحمزوا بفيلهم) .

- ٢ - ويقول : (لان واقعة الفيل) •
- ٣ - ويقول : (فيقولون ولد عام الفيل) •
- ٤ - ويقول : (ويقولون حدث كذا لستين بعد عام الفيل) •
- ٥ - ويقول : (واستصحب معه فيلا او فيلة) •
- ٦ - ويقول : (ان يؤخذ من استعز بالفيل) •

ب : - وعلى ثبوت " الطير " الذي ورد في النص القرآني :

- ١ - حيث يقول (٠٠٠ حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة
فق عظيمة من الطير) •
- ٢ - وحيث يقول (لك ان تمثد ان هذا الطير ٠٠٠) •
- ٣ - وحيث يقول (وان كثيرا من هذه الطيور) •
- ٤ - وحيث يقول (على ان يكون هذا الطير) •
- ٥ - وحيث يقول (فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت ارسل الله
عليه من الطير) •

ج : - وعلى ثبوت " الحجارة " التي وردت في النص القرآني :

- ١ - حيث يقول : (نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش) •
- ٢ - وحيث يقول : (وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم
اليابس) •

٣ - وحيث يقول : (مقادير الحجارة) •

د : - وعلى صيرورة ابرهة وجيشه كالمصف المأكول ،

- ١ - حيث يقول (فكان لحمهم يتناثر ويتساقط) •
- ٢ - وحيث يقول (واصيب صاحب الجيش ولم يزل يسقط لحمه قطعة
قطعة ، وانطة انملة حتى انصدع صدره ومات في
صنعاء) •

٣ - وحيث يقول (فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم

وتساقط لحمه) .

هـ : - وعلى ثبوت " ابرهة وجيشه " - اصحاب الفيل - الذين وردوا في النص القرآني :

- ١ - حيث يقول (ان قوما ارادوا ان يتعززوا بفيلهم) .
- ٢ - وحيث يقول (فأهلكم الله ورد كيدهم) .
- ٣ - وحيث يقول : (وما تواتر من الواقعة هو ان قائدا جشيا - ممن كانوا قد غلبوا على اليمن - اراد ان يعتدى على الكعبة المشرفة ، ويهدمها ليمنع العرب من الحج اليها ، اوليقهرهم وينذلهم (. . .) .

x x x x

وهذه الامور الخمسة - الفيل ، والطير ، والحجارة ، والمصف المأكول ، وابرهة وجيشه -

هي الاركان المادية المحسوسة التي وردت في النص القرآني :
ففي قوله تعالى :

- (الم تركيف فعل بك بأصحاب الفيل) .
 - ذكر للفيل وللجيش الذي صحب الفيل معه .
- وفي قوله تعالى :

- (الم يجعل كيدهم في تضليل) .
 - ذكر لهزيمة اصحاب الفيل .
- وفي قوله تعالى :

(وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف
مأكول) .

• ذكر للطير ، والحجارة ، والنهي التي انتهى اليها الفيل واصحابه .

x x x x

وهكذا يكون الشيخ محمد عبده قد ذكر اركان واقعة الفيل ، كما ذكرها

• القرآن لم ينقص منها شيئا .

ولكن بقي ان يقال : كيف اهلكت حجارة السجيل ابرهة وجيشه ؟

ولكي تبين ذلك نعود الى السورة مرة اخرى .

يقول الله تبارك وتعالى :

(الم تركيف فعل بك بأصحاب الفيل ” .

وهذه الآية تنبه من يتأني منه النظر والفكر الى التعجب مما فعل الله

” بأبرهة ” وجيشه ، فالله هو الذي فعل بهم ما سيدكر بعد .

(الم يجعل كيدهم في تضليل ” .

فالله هو الذي فوت عليهم غرضهم ، وخيب امالهم .

” وارسل عليهم طيرا ابا بيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول ”

وهو جل شأنه الذي ارسل عليهم طيرا تحمل حجارة ترميهم بها ،

• وهو الذي جعلهم كالعصف المأكول

وماذا كانت مهمة الطير ؟

• كانت مهمة الطيران تحمل الحجارة من حيث اراد الله وتقذفهم بها .

وماذا كانت مهمة الحجارة ؟

• كان مهمة الحجارة ان يصيرهم الله بها كالعصف المأكول .

ولكن كيف صيرتهم الحجارة كالعصف المأكول ؟

هذا ما تركت الآية بيانه : ولانه جانب في الواقعة يتطلع العقل الى

معرفة لتم له معرفة الواقعة من جميع جوانبها ، راج يتلمس السبيل لمعرفة هذا

• الجانب

فيروي ابن كثير :

١ - عن ابن اسحق قوله (وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف ،

والبلسان ، مع كل طائر ثلاثة احجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران

- في رجليه ، امثال الحمض والمدس ، لا يصيب منهم احد الا هلك ، وليس
كلهم اصابت ، وخرجوا هاربين يتدرون الطريق) •
- ٢ - وعن الواقدي (انه لما تمهتوا لدخول الحرم ، وهبوا الفيل ، جعلوا لا
يصرفونه الى جهة من سائر الجهات ، الا ذهب فيها ، فاذا وجهوه الى الحرم
رض وصاح فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم طيرا بابيل ، اى
قطعا قطعا ، صفرا ، دون الحمام ، وارجلها حمر ، ومع كل طائر
ثلاثة احجار ، وجاءت فحلفت عليهم ، وارسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا) •
- ٣ - وعن محمد بن اسحق قال (جاؤا بفيلين ، فاما المسمى بمحمود فروض ،
واما الاخر فشجع فحصب) •
- ٤ - وعن وهب بن منبه قال (كان معهم فيلة ، فاما محمود وهو فيل الملك
فروض ليقتدى به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تشجع فحصب ، فهربت بقية
الفيلة) •
- ٥ - وعن عطاء بن يسار (قال عطاء وغيره ليس كلهم اصابه المذاب في الساعة
الراهة ، بل منهم من هلك سريعا ، ومنهم من جعل يتساقط اعضوا اعضوا
وهم هاربون ، وكان ابرهة ممن تساقط اعضوا اعضوا حتى مات ببلاذ خشم) •
- ٦ - وعن ابن اسحق قال (فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل
واصيب ابرهة في جسده ، وخرجوا به معهم ، يسقط انملة انملة ، حتى
قدموا صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن
قلبه فيما يزعمون) •
- ٧ - وعن يعقوب بن عتبة قال (انه حدث انه اول ما رويت الحصى والجدرى
بارض العرب ذلك العام) •
- ٨ - قال ابن كثير : (وهكذا - اى كما روى عن يعقوب بن عتبة - روى عن
عكرمة من طريق جبير) •

هكذا تتزاحم الافكار والاراء متواردة على الجانب الذي ذكرت ان الايات

القرانية لم تبينه ، شارحة وموضحة .

فيقول قائلون . ان الطير كانت تحمل في مناقيرها ، وارجلها حجارة في

حجم العدى ، والحمى ، تقذف بها على جيش ابرهة ، وكلما اصاب حجر رجلا

اهلكه .

وفي بعض الروايات ان الحجر كان اذا سقط على راس الرجل خرج من دبره .

ويقول آخرون : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى ، وان وطأة هذا

المرض على ابرهة وجيشه كانت شديدة الى حد ان اجسادهم كانت تتساقط جزءا جزءا ،

وغضوا غضوا ، عقب الاصابة مباشرة ، مما لم يصمد له نظير قط . حتى ان

الفيلة التي لا ينال الحديد من جلودها ، فعل بها هذا المرض الافاعيل .

واختلاف الروايات على هذا النحو ، في امر الهلاك يدل على ان الراء فيه

وليدة الاجتهاد ، والسمع من ليس السماع عنه حجة ملزمة .

ومن هذا الباب المفتوح دخل الشيخ محمد عمده ، وهو ولوع بتمحيص الراء

والتخير من بينها ، والقى بدلوه في الدلاء ، ولكن في نفس المياه التي يستقي

منها غيره ، ولم يخرج عن نطاقها ، فتابع وهب بن منه ، ويعقوب بن عتبة ،

وعكرمة ، ومحمد بن اسحق في احدى الروايات ، مؤثرا رأيهم بأن الهلاك كان بسبب

الحصبة والجدرى .

وكما بينا ان الايات القرانية تركت كيفية الهلاك لم توضحها ، فان اصحاب

راى الحصبة والجدرى تركوا العلاقة بين مرض الحصبة والجدرى وبين الحجارة التي

ارسلها الطير على الجيش فتشأ منها المرض ، ولم يوضحوها ، ولم يبينوا كيف

نشأ مرض الحصبة والجدرى بسبب الحجارة .

وهنا يتقدم الشيخ محمد عمده ليسد هذه الثغرة ، التي توجد في ثنايا

الرأى الذي بدأه : وهب بن منه ، ويعقوب بن عتبة ، وعكرمة ، ومحمد بن

اسحق - في احدى الروايات - ولم يتموه ، فيقول :
(فيجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب الذي
يحمل جراثيم بعض الامراض ، وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس
الذي تحمله الرياح فيملق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد ، دخل
في مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم وتساقط لحمه ،
وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد
اهلاكه من البشر ، وان هذا الحيوان الصغير - الذي يسمونه بالميكروب -
لا يخرج عنها - اى عن جند الله - وهو - اى الميكروب - فرق وجماعات
لا يحصي عددها الا بارئها ، ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين
على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عنقاء
مغرب ، ولا ان يكون له اللون خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ،
وكيفية تأثيرها ، فله جند من كل شيء :

وفي كل شيء له اية : تدل على انه الواحد
وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته ، فهذا الطاغية الذي اراد ان
يهدم البيت ، ارسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى او الحبة ،
فاهلكته واهلكت قومه قبل ان يدخل مكة) .

فالشيوخ محمد عبده يجوز ان يكون الطير الابليل - التي روى ابن
اسحق في شأنها انها امثال الخطاطيف والبلسان . وذكر الواقدي انها دون
الحمام - هي من جنس البعوض او الذباب ، ولا مانع من ذلك ، فان اسم
الطير الوارد في سورة الفيل ، كما يجوز ان يقع على امثال الخطاطيف والبلسان
وعلى ما دون الحمام ، كما ذكر ابن اسحق والواقدي ، يجوز ان يقع على البعوض
والذباب ، فان الله جل شأنه يقول :

" وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم " . " ١ "

فكل ما يطير بجناحيه طائر ، والذباب والبعوض مما يطير بجناحيه .
وان قد فهم الشيخ محمد عبده من الطير المذكور في السورة ، ذلك
الجنس . فلا عليه ان يفهم ان الحجارة شيء في مكثة هذا الجنس من الطير ان
يحملة .

كما ذهب ابن اسحق الى ان الحجارة مثل الحمض والعدس ، لما فهم ان
الطير في مثل حجم الخطاطيف ليناسب بين الحامل والمحمول . لذلك قال الشيخ
محمد عبده :

(يجوز ان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله
الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات - يعني التي هي من جنس البعوض او
الذباب -) .

فيكون محصل ما قاله الشيخ محمد عبده عن (الذباب والبعوض - والجراثيم
- والطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل الذباب والبعوض -) .

ان الله سلط الذباب او البعوض ، او كليهما ، على ابرهة وجيشه ،
حاملة في ارجلها وعلى اجنحتها ، كلا من جراثيم الامراض ، والطين المسموم اليابس ،
فأصابت اجساد الجيش ، حيث دخل الطين المسموم في مسامها ، فآثرت فيها القروح
التي تؤدي الى فساد الاجسام ، وتساقط لحمها ، كما ان الجراثيم عملت عملها
الخاص بها فأصابت الاجسام بمرض الحمى والجدري .

وهكذا اصطلح الطين المسموم ، والجراثيم ، التي حمل كلا منها البعوض
والذباب ، على اهلاك ابرهة وجيشه ، فكان ما اراد الله لهم من الفكال الذي لم
يحصل نظيره لغيرهم ، حفاظا على بيته المعظم ، واعدادا للمناخ صالح لدعوة نبيه
المكرم .

هذا هو تصوير حادثة الفيل - كما وردت في تفسير جزء عم للشيخ محمد
عبد - وهو تصوير لا يخرج عن نطاق النص القرآني ، مع ما ورد عن السلف
الصالح في تفسيره . ليس للشيخ محمد عبده شيء فيه سوى هذه الاضافة التي
ربطت بين ما ورد في الاية القرآنية الكريمة من قوله تعالى :
" وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف
ماكول " .

ومين ما قاله - وهب بن منبه ، ويعقوب بن عتبة ، وعكرمة ، ومحمد بن
اسحق في - احدى رواياته - من ان الهلاك كان بسبب الحسبة والجدرى .
وهذه الاضافة التي اضافها الشيخ محمد عبده هي في الواقع تفسير
للتفسير ، لا تفسير للايات ، فانها وضحت قول هؤلاء الجهابذة الاعلام -
عكرمة وصحبه - من ان مرض الحسبة ، والجدرى اهلك ابرهة وجيشه .
وجرائم هذا المرض تأتي عن طريق طيور كالذباب والبعوض ، ففسر الطير
الوارد في الاية ، بها . وهو تفسير لا يوجد ما يبرر انكاره . ثم فسر الحجارة بما
يتناسب مع هذا النوع من الطير ، فتناسقت الامور ، وناسب الحامل المحمول .
وان ترتب هذا الاثر العظيم ، من هلاك ابرهة وجيشه بصورة لا يعرف
التاريخ لها شيئا ، حيث تم ساعة تأهبهم للغزو ، وتم بصورة تركتهم كالعصف
الماكول ، على اسباب ضعيفة واهية ، من ذباب ، وبعوض ، وميكروبات ،
وغبار ، وتشير الرياح ، هو وجه من اوجه الاعجاز الذي تقف العقول امامه حيرى
ذاهلة : فان ترتب الاثار العظام على بساطت الاسباب ، ادخل في العظمة والمبرة ،
وادل على كمال القدرة ، ولذلك يضرب الله المثل على ضعف الطغاة الجبارين من
المتنرددين على انبيائه ورسله ، بمجزهم عن مقاومة اضعف مخلوقاته فيقول عز من
قائل :

" يا ايها الناس ضرب مثل فاستموا له ان الذين تدعون من دون الله لن

يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب " ١ " .

ويقول تعالى :

" فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات

مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين " ٢ " .

ويشير الشيخ محمد عبده الى هذا المعنى بقوله :

(ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطافين على ان يكون

الطير في ضخامة روموس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عنقاص مغرب ، ولا ان

يكون له الوان خاصة به ، ولا على مصرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ،

فله جند من كل شيء) وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته .

فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت ارسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه

مادة الجدري او الحصبة ، فأهلكته واهلكت قومه ، قبل ان يدخل مكة) .

ويقول :

(وان كثير من هذه الطيور الضميمة — والاشارة الى ما سبق في قوله

" يجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البهوض او الذباب الذي يحمل

جراثيم بعض الامراض " .

— يمد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر .

وان هذا الحيوان الصغير — الذي يسمونه بالميكروب لا يخرج عنها —

والضمير راجع الى " اعظم جنود الله " — وهو فرق وجماعات ولا يحصي عددها

الا بارئها — اي لان فرق وجماعات جراثيم امراض الجدري مثلا غير فرق وجماعات

١ — سورة الحج آية (٧٣) .

٢ — سورة الاعراف آية (١٣٣) .

جراثيم مرض التيفود مثلا وهكذا) .

فالشـيخ محمد عبده يشير الى ان الطيور الضعيفة من امثال الذباب والبعوض ،
وان الحيوانات الصغيرة مما يسمى بالجراثيم من امثال جراثيم الحسبة والتيفود ، كل
ذلك من جنود الله العظيمة التي يهلك بها الطغاة والجبارين .
والطيور الضعيفة في عبارته التي مثل لها بالذباب والبعوض غير الحيوانات
الصغيرة التي سماها الجراثيم ، كجراثيم الحسبة والجدرى ، بدليل قوله في نفس
العبارة السابقة :

(فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت ارسل الله عليه من الطير ما

يوصل اليه مادة الجدرى والحسبة) .

فالامرابين من ان يلتبس على من ادعوا ان الشيخ محمد عبده يفسر الطير
المذكور في السورة بجراثيم الامراض . انه لم يفعل ذلك ، وليس في كلامه ما يفيد
من قريب او بعيد .

x x x

وقد يقول قائل : ما حاجتنا الى ان نهتم بالتنسيق بين عناصر الواقعة

وجعلها مترابطة ترابطا عقليا ، ونقول :-

ان مرض الجدرى الذي جعل عكرمة هلاك جيش ابرهة حصل بسببه حمل
جراثيم طير من شأنه ان يعيش في المناطق الممطرة ، الالهة بهذه الجراثيم ،
مثل الذباب والبعوض ، وان الرياح ساقطت هذا الذباب ، وساقطت له غبارا مسموما
علق بأرجله ، وان الذباب القى ما معه من جراثيم وغبار مسموم على ابرهة وجيشه
فاهلكته .

لم لا نقول : ان الله ابتداء في هذا الوقت فخلق طيرا واحجارا وجراثيم ،
وساق كل ذلك الى اعدائه فاهلكهم . اذا المأان في المعجزات ، وما يجري مجراها

ان تكون على خلاف العادة • وهذا التنسيق الذي ذكرتموه ، يقرب الحادثة من العاديات ، ويجعلها كأنما هي جارية على سننها •

والجواب : ان النص القرآني بخصوص كيفية الهلاك مجمل ، ولذلك اختلف السلف فيه : بين قائل : ان هلاك جند العدو كان بسبب الاحجار تسقط على رؤوسهم فتخرج من اديبارهم •

وقائل : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى •

وان الخلاف في ان يكون الطير من جنس الخطاطيف او من جنس الذباب

ايضا محتمل ، فاسم الطير يقع على كل منهما •

واذا ذهبنا مع من يقول : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى ، وهو قد سكت عن تفسير الطير ، وبيان مقدار الحجارة ، فتفسير ما سكت عنه بما لا يلباه النص ولا يبطل الاعجاز ولا ينافيه ، لا مانع من قبوله •

وحيث الاعجاز لا يقتضي ان تكون كل الملائكات مخالفة للعادة • ففي غزوة

الاحزاب ، ارسل الله الرياح على الكفار فاقتلعت خيامهم وكأنت قدورهم ، وصيرت

مقامهم غير مستطاع • وكان الله قادرا على ان يقطع خيامهم ، ويكأ قدورهم من

غير ريح ، فان قلع الرياح للخيام ، وكأها للقدور امر معتاد • ولكن الاعجاز

كان في ان تهب الرياح في هذا الوقت ، وان يقتصر هبوبها - كما ورد في الحديث

- على الاماكن التي نصب الاعداء فيها خيامهم ، وان يستمر هبوبها حتى يتعذر

بقاؤهم ، واستقرارهم ، فيولوا هاربين ، فتسكن وتهدأ • ذلك هو الاعجاز •

وقد كان الله سبحانه يسقط الامطار تحت مواقع اقدام المسلمين حتى لا تخوص

في الرمال • وهو قادر على تثبيت الرمال تحت اقدامهم من دون المطر ، ولكن نزول

المطر تحت اقدام المسلمين وحدهم مقدار الحاجة ، دون ان يصير سيولا ، وتكسحهم

وتكسح امتعتهم ، هو الاعجاز •

فكذلك الحال فيما نحن بصدده ، زه يتحدى البيت الحرام من تهيات له اسباب

النصر والخلب ، من كثرة العدد وقوة العدد ، ثم يهني الى غايته معلنا عن هدفه

• يهزم كل من يتعرض له في الطريق ، ويأسر منهم من يستعمله ، دليلا عليه ،
ويصطحب معه فيلة يريد ان يستعملها في هدم البيت ، يوطئ السلاسل في اعناقها ،
ويطوق اطرفها باركان الحوائط ، ثم يزجرها ، فتقتلع الحوائط من اساسها حائطًا
حائطًا ، ثم يكر راجعا فائزا منتصرا ، بعد ان يكون قد ترك البيت ركاما واحجارا ،
هكذا سولت له نفسه •

(فلما انتهى هذا الطاغية - ابرهة - الى " المغمس " ، وهو قريب

من مكة نزل به ، واغار جيشه على سرح اهل مكة من الابل فأخذه ، وكان في
السرح مائتا بعير لعبد المطلب ٠٠٠ وبعت ابرهة من يأتية بأشرف قريش ،
ويخبرهم بانه لم ينجى لقتالهم الا ان يصدوه عن البيت ، فدلوه على عهد المطلب ،
فقال عبد المطلب بعد ان عرف من امر ابرهة ما أياسه من حربه : والله ما نريد
حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم ، فان يمنعه
منه فهو بيته وحرمه ، وان يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه •
فقال له رسول ابرهة : تعال معي اليه : فلما راه ابرهة اجله ،
ونزل عن سريره وجلس معه على البساط ، وقال له : ما حاجتك ؟ فقال
عبد المطلب : ان حاجتي ان ترد علي ما نعتي بهمير اصابتها قومك • فقال له
ابرهة : لقد كنت اعجبيني حين رايتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني • اتسأل
لن ارد عليك ما نعتي بهمير اصابتها منك ، وتترك بيتا هو دينك ودين اباك قد جئت
لهدهم ، ولا تكلمني فيه • فقال له عبد المطلب : اني اثارب الابل •
وان للبيت ما يهينعه ، قال ابرهة : ما كان ليمنع مني ، قال عبد المطلب :
انت وذاك •

ويقال انه ذهب مع عبد المطلب جماعة من اشرف العرب فعرضوا على ابرهة

ثلث اموال تهامة على ان يرجع عن البيت ، فأبى عليهم • فامر عبد المطلب اهل

مكة بالخروج منها والتحصن في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش (١) *
وانتهى الامر بين ابرهة وجيشه من ناحية ، وبعد المطلب ومن معه من
العرب من ناحية اخرى ، على هذه الصورة : اعلن ابرهة الحرب على البيت
ومن يدافع عنه ،

فقال العرب لابرهة انه لا قبل لنا بحريك ، ووكلوا الدفاح عن البيت الى رب
البيت ، وصعد العرب فوق الجبال ، هربا من ابرهة .
فلما اصبح الصباح كان ابرهة على تمام الالهة بجيشه ، وعدده ، وتوجهوا
والفيلة تقدمهم نحو الكعبة ، فابى الله على الفيلة ان تتحرك ، فهرب منها ما برك ،
وما الجاه الضغط الى الحركة اصابته الحصبة فهلك .

ولما لم يعتبر الجيش بما اصاب الفيلة وحاول السير لدخول مكة ، اخذ الله
عليه الطريق ، وحال بينه وبين ما يريد ؟
وماذا فعل الله بهم ؟ هل ارسل لهم جيشا من الملائكة تطاردهم ؟

او جيشا من الجن ؟ او انزل عليهم كسفا من السماء ؟ او اطبق عليهم الاخشبين ؟
لا ، انهم اهون من ذلك كله .

ان الله اراد ان يحقر من شانهم ، فارسل عليهم من ابسط جنده ،
واضعف خلقه . لكن كان لهذا الجند الضعيف فيهم من الاثر ما جعلهم عبرة
للمعتبرين ، وهزاة للمستهزئين .

ارسل عليهم طيرا اباييل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف

ماكول .

وسواء كانت الطير في حجم الخطاطيف او في حجم الذباب والبعوض ، وسواء
كانت الحجارة في حجم الحمص او العس ، او كانت دون ذلك مما يعلق في ارجل
الذباب ، واجنحته ، وسواء كان الهلاك بسبب اختراق الحصى اجسادهم من
رؤوسهم الى ادبارهم ، او بسبب الجدرى والحصبة التي حمل جراثيمها الذباب ،
سواء كان الذي وقع هو هذا او ذاك ، فان النتيجة انهم صاروا بسبب ذلك كورق -

الشجر الذي اكلت منه الدواب ما يصلح لها ، وتركت ما لا يصلح ، وصيرورة جسم
الانسان الى ما يشبه العصف المأكول ، بسبب العذاب ، يفيد ان العذاب
قد فتت الجسم تفتيتا ، وسحقه سحقا ، وكان ذلك بين هشية وضحاها . وحسبي
الله بيته .

ذلكم الاعجاز ذلكم الاعجاز

x x x x

واعود الى الشيخ محمد عبده ، فأقول :

اولا :

==== ان هذا الذي ذكرناه بخصوص تفسيره لسورة الفيل - مع خلوه مما ورد
عليه من الاعتراضات والماخذ - فان الشيخ محمد عبده لا يدعي انه احسن ما
يقال ، ولا انه يجب الاخذ به وترك ما عداه ، بل يقول : انه راي يجوز
فهمه ، ويجوز الاخذ به ، وقد مرت بنا عبارته التي صدر بها البحث وابتداه
بها ، وهي قوله :

(فيجوز لك ان تمتد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب . الخ)

واقول :

ثانيا :

==== ان من يقول :

(ان الشيخ محمد عبده يكتب في ابحاث العقيدة على طريقة غريبة عجيبة ،

يخرج بها على اجطاح المسلمين ، وبه هيات العقيدة الصحيحة) .

يظلمه ، ويتجاوز الحق والواقع ، ان لم يكن لديه وقائع غير واقعة الفيل .

واقول :

ثالثا :

==== ان من يقول :

ان الشيخ محمد عبده (ينتهي في تفسير سورة الفيل الى تأويل
صريح الاية بان المقصود بطير الالبابيل ، وحجارة السجيل ، انما هو
وباء الجدري) .

• لم يقرأ تفسيره ، او لم يفهمه .

واقول :

رابعا :

==== ان من يقول عن الشيخ محمد عبده :

(تأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة الواضحة المعنى ،
ثم قل لي كيف يتأتى ان يؤمن بمفاهيم القران التي هي اعظم غرابية بكثير من
قصة الفيل ، من يعمد الى نص القران فيها فيقول طيرا الالبابيل والحجارة
التي تربى بها بداء الجدري) .

• يعني ما يشبه ان يكون حقا ، على باطل صرف .

اما الباطل الصرف ، فهو القول بان الشيخ محمد عبده يفسر الطير الالبابيل
والحجارة بمرض الجدري .

واما ما يشبه الحق فهو ان الشيخ محمد عبده فسر الملائكة بالقوى الطبيعية
وهي غيب (١٠٠ هـ)

====

الباب الرابع : "السممات"

=====

يشتمل هذا الباب - بعد التعريف بالسممات على ما يلي :-

- اولا : رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن •
ثانيا : رأى الشيخ محمد عبده في الحقائق الخيبيية ، مما يكون بعد الموت •
وتنحصر هذه الحقائق في ثلاثة امور ، هي :-

(الامر الاول) : ما يتعلق بالموت ، وهذا يفضى تحته :

- ===== أ : فتنة القبر ، وسوءه •
ب : عذاب القبر ، ونعيمه •

(الامر الثاني) : ما يتعلق بالساعة واشراطها ، وهذا يشمل اهم ، واشهر

===== ايات الساعة ، وهي :-

- أ : الدخان •
ب : الدجال •
ح : الدابة •
د : طلوع الشمس من مغربها •
هـ : نزول عيسى بن مريم •
و : ياجوج وماجوج •
ز : خسف بالمشرق •
ح : خسف بالمغرب •
ط : خسف بجزيرة العرب •
ي : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم •

(الامر الثالث) : ما يتعلق بيوم القيامة واحداثه ، ويندرج تحت هنا :

=====

- أ : بداية يوم القيامة •
ب : البعث والحشر •

- ح : الشفاعة والحوض •
- د : العرض •
- هـ : الحساب •
- و : الجزاء •
- ز : الميزان والوزن •
- ح : الصراط والمرور عليه •
- ط : الجنة والنار والخلود في كل منها • " ١ "

١ - انظر الكتب التالية ، بتصرف :-

- ١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٧ - ٤٨٦ ،
٥٦٤ - ٥٦٦ •
- ٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٠٦ - ٦٢٣) ،
(٢ : ٦٢٩ - ٦٣٣) •
- ٣ - الايمان ، اركانه ، حقيقته ، نواقضه ، للدكتور محمد
نعيم ياسين ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م •
ص ٥٨ - ٩٨ •
- ٤ - كبرى اليقينيات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
ص ٣٠٣ - ٣٦٧ •
- ٥ - العقيدة الاسلامية ، واسمها ، للاستاذ عبد الرحمن حبنكة
(٢ : ٣٠٠ - ٣٧١) ، الطبعة الاولى •
- ٦ - العقائد الاسلامية ، للاستاذ سيد سابق ص ٢٣٧
وما بعدها •

تمهيد :

===== "١" هي الامور التي لا تثبت الا بالسمع ، والنقل عن

الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالمعاد ، والحساب ، والميزان ، والجزاء ،

والشفاعة ، والصراف ، والثواب والعقاب في الجنة او النار ، ... وغير ذلك من

الامور التي لم تصل الانسان الا عن طريق الخبر اليقيني ، ولم تحدث بعد ،

وهي لا تزال محجوبة عنه ، ولا يعلم كتبها الا الله تعالى .

والامور السمعية ، لا سبيل للعقل البشري الى معرفتها قبل ان يرد

الخبر بشأنها ، من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومع ذلك فان الخبر ، عندما ورد بشأنها لم يطلب من العقل ان يعرف

شيئا عن حقيقتها لمجزه عن ادراك ذلك .

لذلك ، فان على الانسان ان يؤمن بوجود الله عز وجل اولا وقبل كل

شيء ، وان يؤمن ببعثة الرسل الكرام ، ومخاتمتهم سيدنا محمد عليه افضل الصلاة

والسلام . وان القرآن هو كلام الله انزله على رسوله .

فاننا امن بذلك حق الايمان ، وانتهى بطبيعة الحال الى الايمان بكل

الحقائق الغيبية ، التي وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .

١ - ذهب بعض علماء العقيدة الى ان مباحث العقيدة تنقسم الى اربعة اقسام :
الهيئات ، نبوات ، كونيات ، غيبيات . والكونيات تشمل الملائكة والجن ،
اما الغيبيات فتشمل بقية الامور السمعية كالمعاد ، والجزاء ، والصراف ... الخ
/ انظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٦ .

وذهب البعض الى تقسيمها الى : الهيئات ، نبوات ، روحانيات ،

سمعيات ، كما فعل الشهيد حسن البنا رحمه الله . حيث قال :

القسم الثالث : الروحانيات ، وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي

كالملائكة عليهم السلام ، والجن .

القسم الرابع : السمعيات ، وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية ،

والحياة الآخوية ، وعلامات القيامة ... الخ

/ انظر مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ص ٤٣٤ ، دار الشهاب ،

القاهرة .

وهذه التقسيمات من اصطلاحات وفنون العلماء ، ولا مشاحة في الاصطلاح .

١ - رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن :

وهذا يشمل :

أ : رايه في الملائكة .

ب : رايه في الجن .

واتكلم عن رايه في الملائكة ، اولاً .

أ : رأى الشيخ " محمد عبده " في الملائكة . " ١ "

يوءمن الشيخ محمد عبده ، بالملائكة ، ويؤمن بانهم ركن من اركان الدين -
الايمان - كما ورد في حديث جبريل عليه السلام ، قال " يا محمد : اخبرني عن
الايمان ، قال : ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ،
والقدر . . . الخ " . " ٢ "

- ١ - الملائكة جمع ملك بفتح اللام . قيل : مخفف من مالك ، وقيل مشتق من
الالوكة وهي الرسالة على قول سيهويه والجمهور . واصله لأك . وقيل :
اصله الملك بفتح الميم وسكون اللام . وهو الاخذ بقوة .
وقال جمهور اهل الكلام من المسلمين : الملائكة اجسام لطيفة اعطيت
قدرة التشكل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السموات .
انظر : فتح الباري لابن حجر (٦ : ٢٣٢) .
وانظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٧٩) .
- ٢ - متفق عليه . انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ١٥٧) .
وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١ : ٩٦) .
رواه مسلم عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ورواه البخاري عن ابي هريرة
رضي الله عنهم .

- وهم خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب . " ١ "
- وهذا يعني - عند الشيخ محمد عبده - انه لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لانه لا يعلم تاويل ذلك - اى حقيقة لفظ الملائكة الا الله تعالى . " ٢ "
- وحسب الانسان ان يؤمن بما ورد في الشرع عن طوائفهم ووظائفهم
- فقد ورد في الايات والاحاديث ما يدل على ان وظائفهم محدودة .
- قال تعالى : " يسبحون الليل والنهار لا يفترون " . " ٣ "
- وقال تعالى : " وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون " . " ٤ "
- وقال تعالى : " والصفات صفا فالزاجرات زجرا " . " ٥ "
- وقال تعالى : " والنازعات غرقا والناشطات نشاط والسابحات سبحا فالسابحات سبعا فالدبريات امرا " . " ٦ "

(على قول من قال ان المراد بها الملائكة الى غير ذلك مما يدل على انهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، ورد في الاحاديث انهم الساجد دائما ، والراكع دائما الى يوم القيامة) . " ٧ "

- اما الشيخ محمد عبده فانه لا يقر قول من قال ان المراد بالنازعات ، والناشطات ، والسابحات ، والسابحات ، والمدبرات - الملائكة .
- ويرى ان المراد بذلك : الكواكب السيارة ، او السيارات من كواكب واقمار " ٨ "

-
- ١ - انظر تفسير المنار (٢ : ١١٣) .
 - ٢ - انظر تفسير المنار (٣ : ١٦٧) .
 - ٣ - سورة الانبياء اية (٢٠) .
 - ٤ - سورة الصافات اية (١٦٦) .
 - ٥ - سورة الصافات اية (١٦) .
 - ٦ - سورة النازعات الايات (١ - ٥) .
 - ٧ - تفسير المنار (١ : ٢٥٩) .
 - ٨ - انظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣١٩) .

رأيه في جبريل عليه السلام :

===== يو من الشيخ " محمد عبده " بالملك جبريل

عليه السلام ، وقد اثبت الشيخ محمد عبده هذا في كثير من كلامه ، عند تفسير بعض الايات . " ١ "

لكنه ينكر ان يكون " روح القدس " الوارد في الايات الكريمة هو : جبريل

يقول الشيخ محمد عبده :

(واما روح القدس فهو روح الوحي الذي يؤيد الله تعالى به انبياءه في

عقولهم ، ومعارفهم وهو ، هو المراد بقوله تعالى :

" وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان " . " ٢ "

وهو المراد بقوله تعالى :

" واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس " . " ٣ "

ويطلق عليه روح القدس : لان التعليم الذي يكون به قدس .

اولانه يقدر النفوس .

كما يطلق عليه " الروح الامين " : لان النبي الموحى اليه يكون على

بينة من ربه فيه يأمن معها التلبس فيما يلقي اليه .

قال تعالى : " نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين " . " ٤ "

والشيخ محمد عبده لا يقبل كلام جمهور المفسرين في ان المراد " بروح

القدس " هو جبريل عليه السلام .

١ - انظر تفسير المنار (١ : ٣٩٣)

وانظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٤٢) .

٢ - سورة الشورى اية (٥٢) .

٣ - سورة البقرة اية (٨٧) .

٤ - سورة الشعراء اية (١٩٣) .

يقول " ١ " : ذهب جمهور المفسرين الى ان المراد " بروح القدس " الملك
المسمى " جبريل " الذي ينزل على الانبياء ، ومنه يستمدون الشرائع عن الله
تعالى ، وهو على حد قولهم " حاتم الجود " . " ٢ "

وللشيخ محمد عبده راي في الملائكة الموكلة بحمل التابوت ، الوارد ذكره
في قوله تعالى في سورة البقرة : " وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
فيه سكينه من ربكم وبقيه ما ترك ال موسى وال هارون تحمله الملائكة " . " ٣ "

قال الشيخ محمد عبده :

وقوله تعالى : " تحمله الملائكة " يحتمل وجهين :

- (احدهما) : ان المراد بالملائكة صور الكرويين " ٤ " وقد وضع التابوت عليهم .
- (ثانيهما) : ان البقرتين اللتين حملتا التابوت كانتا تسيران مسخرتين بالهام
الملائكة .

وقد قال الشيخ محمد عبده هذا ، بعد ان اورد النص الكامل لهذه

القصة كما جاءت في سفر الخروج . " ٥ "

-
- ١ - تفسير المنار (١ : ٣٧٧) .
 - ٢ - هذا خطأ من الشيخ محمد عبده ، فان جمهور المفسرين لا يقولون " حاتم
الجود " ، والذي قاله هو الزمخشري ، فقد فسره قوله تعالى " وايدناه
بروح القدس " بالروح القدس كما تقول حاتم الجود ، ورجل صدق .
/ انظر : مختصر تفسير ابن كثير (١ : ٨٧) .
 - ٣ - سورة البقرة اية (٢٤٨) .
 - ٤ - الكرويين : ورد في الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج (وتصنع
كرويين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرف الغطاء) بمعنى تماثيل
على صورة حيوانات لها اجنحة كما ذكر الشيخ محمد عبده . /
/ انظر تفسير المنار (٢ : ٤٨٣) .
 - ٥ - انظر : تفسير المنار (٢ : ٤٨٤) .
وانظر : تفسير الطبري (٥ : ٣٣٦) .

على ان رأى الشيخ محمد عبده في هذه الامور هو دون ماله بصددها في
مواضع اخرى ، فمثلا قال في شرحه على نهج البلاغة عند قول الامام علي رضي الله
عنه ، (وان نؤمن بالملائكة ٠٠٠) . " ١ " .
قال الشيخ محمد عبده :

(جعل الملائكة اربعة اقسام) :

(الاول) : ارباب العبادة ومنهم الراكع والساجد ، والصابغ ، والمسيح ٠٠٠
(والقسم الثاني) : الامناء على وحي الله لانبياؤه ، والالسنة الناطقة في افواه
رسله ، والمختلفون بالاقضية الى العباد ، بهم يقضي الله على
من شاء بما شاء .

(والقسم الثالث) : حفظه العباد : كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ونفوسهم
يخفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب ، ولولا ذلك لكان
العطب الصق بالانسان من السلامة .

(القسم الرابع) : حطة المرش : كأنهم القوة العامة التي افاضها الله في
العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه ،
مركزه ، وحدوده ، مسيره في مداره ،
فهي المختركة له ، النافذة فيه ، الاخذة من اعلاه الى اسفله ،
ومن اسفله الى اعلاه . ٠ ٠ هـ

ومثلا قال في تفسير قوله تعالى :

" وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم بما لا تعلمون ،
وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انهتوني باسماء هؤلاء ان كنتم

صادقين ، قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا ادم
انهيهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وان قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر وكان من الكافرين " ١ " .

قال الشيخ محمد عبده :

(اما الملائكة فيقول السلف فيهم انهم خلقوا لخيرنا الله تعالى
بوجودهم وبيعض علمهم فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم
فنفوض علمها الى الله تعالى) " ٢ " .

واما الخلف فقد فصل الشيخ محمد عبده في بيان مذاهبهم فقال :

• منهم من تكلم في حقيقة الملائكة ووضع لهم تعريفا .

• ومنهم من امسك عن ذلك .

وقد اتفقوا على انهم يدركون ويعلمون " ٣ " .

وقال :

(فعلمنا ان السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به

شؤون المخلوقين ، وصحة ملائكته عما لا يليق بهم من الاعتراض او الانكار ، فلا فرق

في هذه النتيجة بين تفويض وتسلم ، وتأويل وتفهم ، والله بكل شيء عليم) " ٤ " .

ولان الشيخ محمد عبده كان يعول على العقل كثيرا في فهم القران الكريم ،

خاصة الايات التي يعجز العقل عن الخوض فيها ، بل لا يجوز له ان يخوض فيها البتة .

فانا نجد الشيخ محمد عبده يقحم نفسه في الخوض في الملائكة فيؤولها تأويلا بعيدا ،

١ - سورة البقرة الايات (٣٠ - ٣٤) .

٢ - تفسير المنار (١ : ٢٥٤) .

٣ - انظر : تفسير المنار (١ : ٢٥٥) .

٤ - تفسير المنار (١ : ٢٥٧) .

فجعل الملائكة قوى لا تعقل " ١ " اودعها الله في الطبيعة •

وقد خالف الشيخ محمد عبده بذلك التأويل منطوق الايات ، ومفهومها ،
وما فهمه المسلمون وغيرهم من اهل الشرائع والمطل من ان الملائكة عباد الله ، لا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون •

وفيه ايضا مخالفة لما قرره سابقا من ان الملائكة خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ،
وهم من عالم الغيب ، وانهم طوائف ، لكل طائفة وظيفة محددة •
وانه لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لانه لا يعلم تأويل ذلك - اى حقيقة
لفظ الملائكة - الا الله •

واليك النص الكامل لكلام " الشيخ محمد عبده " ، وقد ذكره الشيخ

" رشيد رضا " في تفسير المنار ، في الجزء الاول ، صفحة (٢٦٧ - ٢٦٩) ،
تحت تفسير قول الحق سبحانه وتعالى :

" وان قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من

الكافرين " • " ٢ "

قال رشيد : (قال الاستاذ) •

(وذهب بعض المفسرين مذها اخر في فهم معنى الملائكة وهو : ان

مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من انماء نبات ، وخلق حيوان ،

وحفظ انسان ، وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو اذق من ظاهر العبارة •

وهوان هذا النوع في النبات لم يكن الا بروح خاص ، نفخه الله في البذرة فكانت به هذه

الحياة النباتية المخصوصة •

وكذلك يقال في الحيوان والانسان •

فكل امركلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده •

١ - انظر : تفسير المنار (١ : ٢٧٠) •

٢ - سورة البقرة اية (٣٤) •

فانما قوامه بروح الهي سمي في لسان الشرع ملكا .

ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسم هذه المعاني " القوى الطبيعية "

اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة ، او قوة يظهر اثرها في الطبيعة .

والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو ان في باطن الخلقة امرا هو ملاحظها ، وهـ

قوامها ، ونظامها ، لا يمكن لعاقل ان ينكره ، وان انكر غير المؤمن بالوحي

تسميته " ملكا " وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة .

او انكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته " قوة طبيعية " او " ناموسا طبيعيا "

لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع .

فالحقيقة واحدة ، والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ، وان كان

المؤمن بالغيب يرى للارواح وجودا لا يدرك كنهه .

والذي لا يؤمن بالغيب يقول : لا اعرف الروح ، ولكن اعرف قوة ، لا

افهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله علام يختلف الناس ؟ وكل يقرب وجود شيء غير

ما يرى ويحس ، ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ، ولا يصل بعقله الى ادراك كنهه .

وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالغيب — وقد اعترف بما غيب عنه —

لوقال : اصدق بغيب اعرف اثره ، وان كنت لا اقدره قدره ، فيتفق مع

المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ، ويحظى بما يحظى

به المؤمنون ؟

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عندما يهيم بامر فيه وجه للحق ،

او للخير ، ووجه للباطل ، او للشر ، بأن في نفسه تنازلا ، كأن الامر فيها قد

عرض على مجلس شورى ، فهذا يورد ، وذاك يدفع ، واحد يقول : افعل واخر

يقول : لا تفعل ، حتى ينتصر احد الطرفين ، ويترجح احد الخاطرين .

فهذا الشيء الذي اودع في انفسنا ، ونسميه قوة وفكرا ، وهو في الحقيقة معنى

لا يدرك كنهه ، وروح لا تكتنه حقيقتها ، لا يحدد ان يسميه الله " ملكا " او

يسمي اسبابه ملائكة ، او ما شاء الله من الاسماء .

فان التسمية لا حجر فيها على الناس ، فكيف يحجر فيها على صاحب
الارادة المطلقة ، والسلطان النافذ ، والعلم الواسع ؟
(ثم قال الشيخ رشيد رضا) :

قال الاستاذ الامام ما معناه : فاننا صح الجرى على هذا التفسير ،
فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الاية الى ان الله تعالى لما خلق الارض ،
ودبرها بما شاء من القوى الروحانية ، التي بها قوامها ، ونظامها ، وجعل
كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ، ولا يتعدى
ما حدد له من الاثر الذي خص به ، خلق بعد ذلك الانسان ، واهب له قوة
يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى ، وتسخيرها في عمارة الارض ،
ومجر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير ،
وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حد له ، والتصرف الذي لم يعط لغيره ،
خليفة الله في ارضه . لانهم اكمل الموجودات في هذه الارض .

واستثنى من هذه القوى ، قوة واحدة عبر عنها ب " ابليس " ، وهي ؛
" القوة التي لزمها اللهم بهذا العالم لزا " ، وهي التي تميل بالمستعد للكمال ،
او للكامل الى القصر ، وتعارض مد الوجود لترده الى العدم ، او تقطع
سبيل البقاء ، وتعتمد بالموجود الى الفناء ، او التي تعارض في اتباع الحق ،
وتصد عن الخير ، وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها
خلافته ، فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ،
تلك القوة التي ضللت اثارها قوما ، فزعموا ان في العالم اليها يسر الى البشر ،
وما هي باله ، ولكنها مخنة اليه لا يعلم اسرار حكمته الا هو .

ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من
ذلك ، والعمدة على اطمئنان القلب ، وركون النفس الى ما ابصرت من الحق .

• ه • ا

هذا هو ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في تأويل معنى الملائكة عليهم

السلام .

محمد :

فماذا عن قصة خلق ادم عليه السلام ؟

وماذنا عن جعل خليفة في الارض ؟ ، وكيف يفسد فيها ؟

وماذنا عن تعليم ادم الاسماء كلها ؟ وعرض الاسماء على الملائكة ؟

وما معنى سجود الملائكة عليهم السلام ، لادم ، واباء ابليس واستكباره عن

السجود ؟

يميل الشيخ محمد عبده الى تقرير : التمثيل ، والتخييل في القصة .

يقول :

(وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب ، هكذا :

ان اخبار الله الملائكة بجعل الانسان خليفة في الارض هو عبارة عن تهيئة

الارض ، وقوى هذا العالم ، وارواحها التي بها قوامه ، ونظامه لوجود نوع من

المخلوقات يتصرف فيها ، فيكون به كمال الوجود في هذه الارض .

وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الارض لانه يعمل باختياره ،

ويعطي استعدادا في العلم والعمل لا حد لهما ، هو تصوير لما في استعداد

الانسان لذلك ، وتمهيد لبيان انه لا ينافي خلافته في الارض .

وتعليم ادم الاسماء كلها : بيان لاستعداد الانسان ليعلم كل شيء في

هذه الارض ، وانتفاعه بها في استثمارها .

وعرض الاسماء على الملائكة ، وسؤالهم عنها ، وتنصلهم في الجواب :

تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الارواح المدبرة للعوالم محدودا لا

يتعدى وظيفته .

وسجود الملائكة لادم : عبارة عن تسخير هذه الارواح ، والقوى له ،

ينتفع بها ، في ترقية الكون ، بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك .

واباء ابليس واستكباره عن السجود : تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع روح

الشر ، وابطال داعية خواطر السر ، التي هي مآثر التنافس والتخاصم ،

والتعدي والافساد في الارض ، ولولا ذلك ، لجا على الانسان زمن يكون فيه

انفراد كالملائكة ، بل اعظم ، او يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري) . " ١

"وقف مع رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة":

=====

اقول :

في هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، موضع تعقيب :

فأولاً :

==== ما ذكره بخصوص الايمان بالملائكة ، وانه ركن من اركان الدين ، وانهم

خلق روحاني عاقل ، قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب ، لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لان ذلك مما استأثر الله بعلمه . وحسب الانسان ان يؤمن بما ورد في

الشرع عن ظوائفهم ووظائفهم

كل هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، مسلم ، فان الملائكة خلق

من مخلوقات الله ، موصوفون بصفات ، حددها الشرع الحكيم ، ولهم وظائف خاصة

بهم وان الايمان بهم واجب ، والعلم بوجودهم بما هو معلوم من الدين بالضرورة

هناك جميع المسلمين ، وسأرى ذلك بعد قليل حين نتحدث عن رأى السلف في

الملائكة ، بعد هذه المناقشة مباشرة .

ثانياً :

==== ما ذكره الشيخ محمد عبده بخصوص جبريل عليه السلام ، ونفيه ان يكون

هو روح القدس ، والروح الامين ، غير مسلم ، لانه مذهب جمهور المفسرين :

قال الامام ابن كثير : هو جبريل عليه السلام . " ١ "

قال الزهري : وهذه الآية " نزل به الروح الامين " " ٢ " كقوله تعالى : " قل من

كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله صدقاً لما بين يديه " " ٣ "

١ - انظر مختصر تفسير ابن كثير (٢ : ٦٥٩) .

٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

قال الصابوني : تفسير الروح الامين بجبريل قاله غير واحد من السلف : ابن

عباس وقتادة والسدي ، والضحاك ، وغيرهم . " ١ "

قال الامام ابن كثير رحمه الله : " ٢ "

والدليل على ان " روح القدس " هو جبريل عليه السلام ، ما قال البخاري :

عن ابي هريرة ، عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضع لسانه بن

ثابت " ٣ " منبرا في المسجد ، فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم ايد حسان بروح القدس كما نافح عن

نبيك " .

وفي بعض الروايات : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان :

" اهجم - او هاجمهم - وجبريل معك " .

وفي شعر حسان ، قوله :

وجبريل رسول الله فينسا
وروح القدس ليس به خفا

وعن ابن مسعود : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ان روح القدس نثت في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها واجلها

فاتقوا الله واجملوا في الطلب " . " ٤ "

وحكي القرطبي عن مجاهد ، القدس : هو الله تعالى ، وروحه جبريل .

هذا هو مذاهب جمهور المفسرين ، وقد اعترف الشيخ محمد عبده به ،

ونقله عنهم ، لكنه خالفهم فيه ونذهب الى ان روح القدس هو روح الوحي الذي

يؤيد الله تعالى به انبياءه في عقولهم ، ومعارفهم .

ثالثا :

==== ما ذكره الشيخ محمد عبده بخصوص قوله تعالى " تحمله الملائكة " ، -

عن التابون - غير مسلم ايضا ، وفيه نقل عن التوراة ، كما ذكرت سابقا .

والصحيح هو ما قاله جبرالامة ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :

(جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والارض حتى وضعت بين يدي طالوت)

١ ج نفس المصدر ونفس الصفحة .

٢ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير (١ : ٨٦ و ٨٧) .

٣ - شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ - الحديث رواه ابن جبان في صحيحه عن ابن مسعود ، وقد مر فيما مضى .

والناس ينظرون) " ١ "

وقال السدي : اصبح التابوت في دار طالوت ، فامنوا بنبوته " شمعون " ،

وظاعوا طالوت " ٢ "

ومعلوم انه لا يجوز النقل عن كتب اليهود ، لانها محرفة ، فاذا جاء فيها

ما يخالف ما في القران ، رفضناه .

اما اذا جاء فيها ما يوافق القران ، فلا نصدقه ولا نكذبه ، وحسبنا ان

نقول انما بما عند الله .

رابعا :

==== ما ذكره الشيخ محمد عبده ، في تفسير ايات سورة البقرة ، السابقة ،

وهو :

تاويل الملائكة ، بالقوى الطبيعية ، والميل الى تقرير التمثيل في القصة . . .

الى اخر ما ذكره في تفسير المنار معزوا اليه ، ومنسوبا له . بعيد ومردود لانه

يؤدى الى تعطيل الشريعة الاسلامية ، وفيه صرف الالفاظ عن ظاهرها من غير

قرينة تدعو الى ذلك .

ويبدو ان الشيخ محمد عبده كان متأثرا بالمعتزلة حين سلك هذا المسلك

في التاويل ، بل فاقهم وجاوزهم ، وتحيف من حق النصوص ، والخب في تقدير

قيمة العقل ، بغرض اقناع منكري الملائكة بوجودهم بتعبير ما لوف عندهم تقبله

عقولهم على نحو يبدو فيه متأثرا بالخزالي كما ذكر رشيد رضا " ٣ "

١ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير (١ : ٢٢٤) .

٢ - انظر : نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ - انظر : تفسير المنار (١ : ٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(اقول) :

وايضا : باشارات الصوفية ، وتاويلات الباطنية ، ونظريات الملاحدة

المتفلسفة ، وضلال المتكلمة ، فهم اصل القول بالتاويل على هذا النحو . . .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(وهذا القول ونحوه ، ليس من اقوال المسلمين ، واليهود ، والنصارى

وانما هو من اقوال الملاحدة المتفلسفة ، الذين يجعلون " الملائكة " قوى النفس

الصالحة ، " والشياطين " قوى النفس الخبيثة ، ويجعلون سجود الملائكة طاعة

القوى للمقل ، وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للمقل ، ونحو ذلك من " ٢ "

المقالات التي يقول اصحاب " رسائل اخوان الصفا " ١ " وامثالهم من القرامطة الباطنية ،

ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة ، والمتعمدة .

" ٣ " لها

وقد يوجد نحو هذه الاقوال في اقوال المفسرين التي لا اسناد يعتمد عليه)

١ - اخوان الصفا : طائفة باطنية ، تنتسب الى الاسماعيلية من الشيعة ، ولها

مجموعة بحوث في الفلسفة ، والطبيعة ، . . . ، حوت افكارا معادية

للاسلام ، باسم الدين ، والتشيع المخالي ، فادعوا ان لظواهر القرآن بواطن

تجرى مجرى اللب من القشر ، وانها توهم الاغبياء صورا ، وتفهم الفطناء

رموزا وشارات الى حقائق خفية .

٢ - القرامطة من الفرق الباطنية الضالة ، مقصودهم الالحاد ، وتعطيل الشرائع

ومخاطبة كل فريق بما يوافق رايه ، ويلتقون مع ملاحدة المتفلسفة في القول

بالمهين قد يعين العقل ، والنفس ، وينكرون النبوات ويقولون انها جاءت عن طريق

الفيض ، ويقولون بالامام المعصوم ، ويؤمنون بالتناسخ .

انظر كتاب : القرامطة ، تأليف الامام عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق محمد

الصباغ المكتب الاسلامي ، المطبعة الرابعة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٧ م .

بيروت ، دمشق .

٣ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣٤٦) .

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٣ .

وبناء عليه : فان من ينكر الملائكة اصلا ، كافر باجماع المسلمين .
وانذا اول احد الملائكة على نحو يوهى الى انكار وجودها فقد ضل ضلالا بعيدا .
قال تعالى : " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا
بعيدا " . " ١ "

ولما كان الامر يتعلق بركن من اركان الدين - الايمان - فهو جد

خطير - .

وكان البعض قد اتخذ بهذا التأويل على هذا النحو الذى جوزه الشيخ

" محمد عبده " ، ومنهم : المرحوم " عبد الوهاب النجار " في كتابه

" قصص الانبياء " . " ٢ "

١ - سورة النساء اية (١٣٦) .

٢ - انظر : قصص الانبياء ، لعبد الوهاب النجار ص ٢٠ ، ٢١ ، مطبعة

المدني " ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

يقول فيه : (ينكر بعض الناس وجود احياء من الملائكة ، فيؤول الكلمات

الدالة على وجود هذا الصنف من الموالم بان الملائكة هي قوى النظام

والنواميس الخاضع لها العالم . . .

هذا الفريق من الناس يرى راي الماديين الذين لا يشعرون الا ما

وقع تحت حسهم ، ولا يقرون بشيء وراء المادة . فحذا خذوهم ليقال انه

راق مثلهم ، وعمد الى صريح القران يؤوله حتى يجمع بين الايمان بالله

والقران ، ويجحد الملائكة .

وقد يكون هؤلاء المنكرون للملائكة ، قد غرهم ما كتبه استاذنا الامام

في تفسيره من تأويل الملائكة على وجه لم ينكره الماديون ومن نزع منزعهم .

فان الامام رحمه الله لم ينكر الملائكة كما ينكرون . وانما يعمد الى

التأويل لمن ينكر عالم الغيب ، ويجحد الملائكة ، وقد اورده على انه

مذهب اخر لبعض المفسرين في فهم معنى الملائكة ، وذلك لتقريب المعنى

الى اذهان الجاحدين من الماديين وغيرهم . (كما ذكر رشيد رضا) . =

وقد صادفت صعوبة في فهم مراد الشيخ محمد عبده في موضوع الملائكة . . .
فقد عرضت الموضوع على الاستاذ المشرف ، وذكرت ذلك له .
ومن حسن الحظ ان كان عنده بحث مكتوب حول هذا الموضوع فاعطاني اياه ،
وقد وجدت فيه ضالتي المنشودة . . .

فهاكموه :-

(لم يكتب الشيخ محمد عبده عن الملائكة - فيما اعلم - بحثا مستقلا ،
ولم يخصص لها دراسة يفرد بها ، كما فعل مثلا بالنسبة للنبوة ، والوحي ،
والمعجزة .

وانما جاء كلامه فيها تبعا لكلامه في موضوعات ورد ذكرها فيها ، ولذلك
يظن من يريد ان يعرف رايه في هذه المسألة ان يتتبع الموضوعات التي تعرض الشيخ
" محمد عبده " لها بالشرح والبيان ، وكان للملائكة ذكر فيها :

ومظان ذلك هو القرآن الكريم الذي ذكر الملائكة في ايات من سور شتى .
والشيخ محمد عبده فسر من القرآن الكريم ما اتسع له وقته ، منه : ما هو
مسطر بقلمه - كتفسير جزء عم المنسوب اليه - .
ومنه ما هو وارد في " تفسير المنار " للشيخ محمد رشيد رضا . معزوا اليه
، ومنسوبا له .

وثابت ان الشيخ " محمد عبده " كان له دروس في التفسير ، وكان له
تلامذة يحضرون هذه الدروس ، ويتلقون عنه اراءه في العقيدة وغيرها ، وكان الشيخ
رشيد رضا بين هؤلاء التلامذة ، وكان اشد هم حرصا عليها واهتماما بها ، كما كان
اشد هم قربا الى نفس الشيخ محمد عبده ، وكان الشيخ محمد عبده معجبا به ،

= وعلى الجملة : فاني ارى ان فهمهم على الوجه الذي بينت - كما قال السلف -
هو ما يجب على المؤمن اعتقاده ، فاذا وجد منكر لهم ، قرينا له المعنى على
الوجه الذي اورده الاستاذ الاطم رحمه الله (١٠ هـ)
اقول : هذا الذي ذهب اليه النجار غير مقبول ، لان الاسلام ليس بضاعة تعرضها
على الناس حتى يقبلوا ما يفهمون ، ويتركوا ما لا يفهمون ، وكان النجار يقول لهم :
اذا لم تعجبكم بضاعتنا هذه ، فعندنا غيرها ، وغيرها . . . وهكذا . وهو كلام
نرفضه ولا نقبله ، لان الاسلام واضح ومفهوم .

• كما هو معجبا بشيخه

وكما يقال : ان القاء الشيخ محمد عبده لدروس التفسير في الازهر كان استجابة لرغبة الشيخ رشيد رضا الذي كان لاراء الشيخ محمد عبده وافكاره في نفسه من الرفعة والسمو ما جعلها - من وجهة نظره - جديدة بالتدوين والنشر .

ولذلك منذ بدا الشيخ محمد عبده يشرح القران الكريم ويفسره ، دروسا

لتلامذته في الازهر ، بدأ الشيخ رشيد رضا يكتب ويؤلف .

فكان من عملها معا هذا التفسير المسمى ب " تفسير المطار " .

لكن لم يكن الشيخ رشيد رضا مجرد كاتب يسطر ما يقوله الشيخ " محمد

عبده " . . . انه كان مؤلفا ، يفكر بعقله ، ويكتب بقلمه ، لكن كان اهم مرجع

استقى منه وعول عليه ، هو افكار شيخه التي كان يسطرها احيانا بعبارة شيخه

واحيانا بعبارة هو ، كما كان يضيف اليها احيانا بيانا من عنده يؤيدها به ،

ويوضحها ، كما كان يقرن بها اراء كبار العلماء ، كالغزالي وابن تيمية ،

تمضيدها لشيخه ، بل انه كان يستدرك على شيخه ، ويخالفه احيانا .

هذا التفسير - اذن - هو اهم واوثق ما يمكن ان يعول عليه الباحث

عن راي الشيخ محمد عبده في الملائكة .

ومن اوسع ما ورد في هذا التفسير ، بخصوص الملائكة ، ما جاء في تفسير قوله

تعالى :

" وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من

يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا

تعلمون .

وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان

كنتم صادقين .

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم .

قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب

السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون •

وان قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من

الكافرين " ١ " •

وفي التمهيد الذى ساقه الشيخ رشيد بين يدي تفسير هذه الايات ،

قال : " ٢ " •

(وقد ذهب الاستاذ - يعني شيخه - الى ان هذه الايات من

المشابهات التى لا يمكن حملها على ظاهرها ، لانها بحسب قانون التخاطب :

اما استشارة : وذلك محال على الله تعالى •

واما اخبار من سبحانه للملائكة واعراض منهم ومحااجة وجدال ، وذلك

لا يليق بالله تعالى ايضا ولا بملائكته ، ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف

الملائكة بانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون •

وقد اورد الاستاذ مقدمة تمهيدية لفهم القصة فقال ما مثاله :

اجمعت الامة الاسلامية على ان الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات • وقد قام

البرهان العقلي والبرهان النقلى على هذه العقيدة ، فكانت هي الاصل المحكم

في الاعتقاد الذى يجب ان يرد اليه غيره ، وهو التنزيه ، فاذا جاء في نصوص

الكتاب او السنة شيء ينافي ظاهرة التنزيه ، فللمسلمين فيه طريقتان :

(احدهما) : طريقة السلف ، وهي التنزيه الذى ايد العقل فيه النقل ،

كقوله تعالى : " ليس كمثل شي " • " ٣ " •

وقوله عز وجل : " سبحان رب العزة عما يصفون " • " ٤ " •

١ - سورة البقرة الايات (٣٠ - ٣٤) •

٢ - تفسير المنار (١ : ٢٥١) •

٣ - سورة الشورى اية (١١) •

٤ - سورة الصافات اية (١٨٠) •

وتفويض الامر الى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك • مع العلم بان الله يعلمنا بضمون كلامه ما نستفيد به في اخلاقنا واعمالنا واحوالنا ، ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ، ويصورها لمخيلاتنا •

(والثانية) : طريقة الخلف ، وهي التأويل ، يقولون :

ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا يخرج شيء

منها عن المعقول •

فاذا جزم العقل بشيء ، وورد في النقل خلافه ، يكون الحكم العقلي القاطع

قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهرة ، ولا بد له من معنى موافق يحتمل عليه ،

فينبغي طلبه بالتأويل •

قال الاستاذ - يعني شيخه - :

وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله

تعالى ، وصفاته ، وعالم الخيب •

وانا نسير في فهم الايات على كلا الطريقتين ، لانه لا بد للكلام من

فائدة يحتمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) •

وفي هذا النص يقرر الشيخ محمد عبده :

(اولا) : ان الايات الواردة في الملائكة وسجودها لادم ، واباء ابليس

السجود له ... الخ ، هي من قبيل المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها •

(ثانيا) : طريقتي السلف والخلف :

فيقول عن طريقة السلف انها تنزيه الله جل شاناه عن مشابهة الحوادث

وتفويض الامر الى الله في فهم ما يرد بشأنه في النصوص ، مما له في الحوادث

نظير •

ويقول عن الخلف انهم يؤولون ويقولون ان قواعد الدين الاسلامي ، وضعت

على اساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول ، فاذا جزم العقل بشيء ، وورد

في النقل خلافه ، يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ،

- ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .
- (ثالثا) : انه على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى ، وصفاته وعالم الخيب .
- (رابعا) : انه سيسير في شرح الايات على كلا الطريقتين ، لانه لا بد للكلام من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى . وفي هذا الذي ذكره الشيخ محمد عبده ، موضح لتعقيب :
- فأولا : ما ذكره بخصوص الداعية التي تحمل الباعث على صرف الالفاظ الواردة عن الله تعالى او عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، عن معانيها المتبادرة منها الى معان غيرها .
- وان هذه الداعية هي جزم العقل بأن المعاني المتبادرة من الالفاظ لا يمكن ارادتها منها .
- كل هذا الذي ذكره مسلم ، فان هذه الداعية اذا توفرت ، تقتضي ما دعت اليه من صرف الالفاظ عن المعنى الظاهر منها الى معنى اخر يناسب المقام .
- لكن التأخي بين النقل والعقل على هذه الصورة ، مأخوذة به عند السلف ، ولم ينفرد به الخلف . فابن تيمية يقرر في كتابه : " درر معارض العقل والنقل " ، ان الدليلين القطعيين لا يمكن ان يتعارضوا ، فاذا حصل تعارض بين الادلة ، فانه يكون : بين قطعي وطني او بين ظنيين .
- ويقرر انه اذا حصل التعارض بين قطعي وطني ، اخذ بالقطعي ، عقليا كان او نقليا ، وترك الظني نقليا كان او عقليا .
- وهذا يفيد انه اذا قطع العقل بشي ، وجاء النص على خلافه ، فان النص يؤول لينزل على مقتضى العقل ، لان النص في هذه الحال لا بد ان يكون ظنيا ، ضرورة عدم تعارض القطعيين .
- وقد حكى الشيخ رشيد رضا - بعبارته - هذا التقرير ، ونسبه الى ابن تيمية ، ولكنه لم يسم الكتاب الذي احتواه .

(ثانيا) : لكي يتم له ما ادعاه من ان الايات متشابهات لا يمكن حملها على

ظاهرها ، لابد ان يكون ما ورد في الايات من الفاظ :

الملائكة ، وابليس ، والسجود ، الخ ، مما يستحيل عند العقل حمله على

معانيه الظاهرة التي ذكرها مفسروا القرآن الكريم في كتبهم ، ونقلها لاحقهم عن

سابقهم ، لتتوفر الداعية التي تقتضي صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى اخر .

ولو خرب البت في هذه القضية الى ما بعد تفسير الايات .

(ثالثا) : يقول في تصوير مذهب الخلف :

ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا يخرج

شيء منها عن المعقول ، فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم

العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يزداد به ظاهره ، ولا يد له من معنى موافق

يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

وقد تقدم بيان ان طريقة السلف لا تقدم للعقل شيئا ياباه ، وينفر

منه ، حتى يسوغ الاعراض عنه والبحث عما سواه .

ولا يضح ذلك نستعرض جزئية ندير القول حولها .

فمثلا : لما قال الله تعالى : " يد الله فوق ايديهم " . " ١ "

قال السلفي : ان اليد التي تكون للانسان ، واليد التي تكون للقط ، واليد

التي تكون للذئب ، الخ . لا تليق واحدة منها ان تسند الى الله .

فيده مخالفة لسائر الايدي ، كما ان ذاته مخالفة لسائر الذوات .

وكما اننا لا نعرف حقيقة ذاته ، لا نعرف حقيقة يده ، فله يد لا كالايدي

وقال الخلفي : ليس لله يد ، لان اليد موضوعة للجارحة التي يبطش بها

الحيوان ، او لخصوص التي يبطش بها الانسان - تبعا لوجه النظر المختلفة

حول قضية الوضع - وشيء من هذه الاعضاء لا يليق بالله ، فاخرج بالكلمة عن

نطاق ما وضعت له ، الى نطاق اخر يناسب المقام • وهو القوة ، فالقوة هي معنى يد الله •

ومن هذا البيان يتضح ان المذهبين مختلفان :

(فأحدهما) : يستبقي دلالة اللفظ ويقول :

ان لله يدا تناسب كمال ذاته ، وكمال صفاته •

(والثاني) : يفرغ لفظ اليد من معناه الظاهر ، ويطوره بمعنى اخر هو القوة ويقول :

ليس لله يد ، بل له قوة •

وانا جازلي ان اتقدم بالشرح خطوة من عندي ، بعد استئذان الطرفين

كليهما ، فان استصوبها ، فمن فضل الله ، وان رفضها فأنا غير متمسك بها ، لانها اجتهاد قصدت به الايضاح ، تلك الخطوة هي :

اني اتصور ان اليد - عند السلف - في ضوء البيان السابق : هي اسم

ذات ، كالوجه ، والعين ، والاصبع •

وعند الخلف : هي اسم معنى لان القوة معنى •

وانا تقرر هذا اقول :

هل توفرت الداعية التي تقتضي صرف اللفظ عن المعنى الذي اراده

السلف ، الى معنى غيره ؟ •

وهل ذلك المعنى الذي اراده السلف مستحيل عند العقل ؟ فان

ادعى استحالته فما هو دليل الدعوى ؟

ان المستحيل معنى اخر غير ما ذكره السلف ، معنى يفهم من كلمة اليد

عندما تضاف للانسان ، او الذئب ، او القط ... الخ ، لكنه لا يفهم منها اذا

اضيفت الى الله ، واذن فلا اشكال ولا تأويل •

(وايضا) : نقول ان هذه النتيجة التي انتهينا اليها في البند الثالث من ان

معنى اليد عند السلف يختلف عن معناه عند الخلف ، وان هذا الاختلاف يرجع

الى اختلاف الطرق التي سلكها الفريقان •

هذه النتيجة تجعلنا نقف حائرين امام قول الشيخ محمد عبده في النص

السابق : (وانا نسير في فهم الايات على كلا الطريقين : لانه لا بد للكلام

من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) •

فلعل الشيخ محمد عبده يريد ان يقول : انه يسير على احدى الطريقتين

في بعض المسائل ، ويسير على الطريقة الاخرى في بعضها الاخر •

ولكن ما هو الاساس الذي على مقتضاه يوزع المسائل ، فيجعل بعضها منها

من نصيب طريقة ، وبعضها اخر من نصيب طريقة اخرى ؟

ام انه لا يلزم ان يكون هناك اساس يعتمد التوزيع عليه ، وانما هو

التنوع وارضاء شهوة العقل بتمكينه من سلوك كل السبل •

ولكن اذا كان سلوك الطريقتين ممكنا في المسائل ، فما هو المبرر لسلوك

طريق الخلف ، وشرط سلوكه غير محقق ، فانهم اشترطوا لـ صرف اللفظ عن

ظاهرة ان يكون العقل قد جزم بعدم امكان ارادة المعنى الظاهر • والحكم

بامكان الطريقتين يعني ان ارادة المعنى الظاهر ممكنة وغير مستحيلة ، اذ لو كانت

ارادة المعنى الظاهر مستحيلة ، لما صح القول بامكان الطريقتين •

بقيت كلمة اخيرة اقولها تعليقا على ما ورد في النص من انه (لا بد للكلام

من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) •

فان هذه العبارة ربما تشعر بان صاحبها يرى ان جانب التفويض في مذهب

السلف يفرغ الكلام المتشابه من المعنى ، ويخليه من الفائدة •

وكيف يتصور ذلك ومذهب السلف يبقى للكلام معناه الاصلي الذي يتبادر

للذهن منه اول ما يسمع ، فيحصله السامع ويستفيده ، لكن مع رعاية مقتضى الحال •

كما اذا قيل :

اغتنى الطفل ، فان الذهن ينصرف الى نوع من الغذاء يناسب

الطفل • وهو لبن امه •

فان قيل : اغتذى الرجل ، انصرف الذهن الى نوع من الغذاء ،

مما جرت العادة بان يتناوله الكبار كل في بيته .

كذلك اذا قيل :

" الرحمن على العرش استوى " . " ١ "

انصرف ذهن السلفي الى نوع من الجلوس يناسب الله جل

وعلا .

وان قيل : استوى الرجل ، انصرف ذهنه الى نوع اخر من الجلوس .

يختلف عن الاول . مما يناسب الرجل ، ولا يناسب الله جل وعلا . كما انصرف

الذهن الى نوع من الغذاء في حال يختلف عن نوع اخر منه في حال اخرى ،

بقريئة المقام ، وان كان الكل غذاء . فكذا الجلوس .

فالتفويض لا يفرغ الالفاظ من المعاني ، ولكنه فقط ينه الى ان المعنى

المراد لا يفهم من جهة خصوصيته ، وان فهم من جهة عمومته ، كما قال الامام

مالك رحمه الله : الجلوس معلوم ، والكيف مجهول . - والله سبحانه

وتعالى اعلم - .

وارجوان لا اكون قد اتهمت نفسي فيما لا ينهني للمؤمن ان يقحم نفسه فيه ،

ولكنه علم الكلام الذي يكره المؤمن على ما لا يريد احيانا .

ننتقل بعد ذلك - مع تفسير المنار - الى شرح آيات الملائكة . ولن

اتبع كل ما قيل في شرح الآيات فان ذلك يطول ، وليس من غرضنا ، ولكني سأخذ

منه فقط ، ما يتعلق بالملائكة وما ارتبط بهم ، مما كان موضوع التاويل او تفويض .

ويسوق الشيخ رشيد رضا بين يدي شرح الآيات ، رأى السلف والخلف

في الملائكة فيقول :- " ٢ "

١ - سورة طه آية (٥) .

٢ - تفسير المنار (١ : ٢٥٤) .

(قال شيخنا في الازهر ما مثاله :

اما الملائكة فيقول السلف فيهم : انهم خلق اخبرنا الله تعالى بوجودهم
، وبعض عملهم ، فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم
، فنفض علمها الى الله تعالى .

فاذا ورد ان لهم اجنحة ، نوؤمن بذلك ، ولكننا نقول : انها ليست

اجنحة من الريش ونحوه ، كأجنحة الطيور ، ان لو كانت كذلك لرايناها .

واذا ورد انهم موكلون بالصوامل الجسمانية ، كالنبات والبحار ، فاننا نستدل

بذلك على ان في الكون عالما اخر ، الطف من هذا العالم المحسوس ، وان له

علاقة بنظامه واحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا ، بل يحكم بإمكانه ، ويحكم

بصدق الوحي الذي اخبر به) .

واذا كان الشيخ محمد عبده ارجح العلم بمذهب السلف في الملائكة ، الى

ما ورد بشأنهم في الكتاب والسنة ، فقد اوجز في القول ، واصاب في الراى .

فلعل ما ورد في الكتاب والسنة بخصوص الملائكة هو — في راى الشيخ محمد

عبده ، وفي الواقع — مذهب السلف .

فهم المخلوقات الذين قال الله فيهم — بين ما قال — :

((ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين)) . " ١ "

((شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط)) . " ٢ "

((ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون

يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)) . " ٣ "

((الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير)) . " ٤ "

١ — سورة البقرة اية (١٧٧) .

٢ — سورة ال عمران اية (١٨) .

٣ — سورة النحل الايات (٤٩ — ٥٠) .

٤ — سورة الحج اية (٧٥) .

- ((ان يوحى ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سألقي في قلوب الذين
كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان)) • " ١ "
- ((وجاء ربك والملك صفا صفا)) • " ٢ "
- ((وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين)) • " ٣ "
- ((يصرح الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة)) • " ٤ "
- ((ان تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين)) • " ٥ "
- ((الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع
يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير)) • " ٦ "
- ((وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)) • " ٧ "
- ((ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون)) • " ٨ "
- وقال صاحب العقيدة الطحاوية : " ٩ "
- (ثم قد ثبت بالنصوص ان الملائكة كتبت القول ، والفعل ، وكذلك النية
لانها فعل القلب فدخلت في عموم " يعلمون ما تفعلون ") •
ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " قال الله عز وجل : اذا هم

-
- ١ — سورة الانفال اية (١٢) •
 - ٢ — سورة الفجر اية (٢٢) •
 - ٣ — سورة الزمر اية (٧٥) •
 - ٤ — سورة المعارج اية (٤) •
 - ٥ — سورة الانفال اية (٩) •
 - ٦ — سورة فاطر اية (١) •
 - ٧ — سورة الانفطار الايات (١٠ — ١٢) •
 - ٨ — سورة فصلت اية (٣٠) •
 - ٩ — شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٠ •

عبدى بسيرة فلا تكتبوها عليه ، فاذا عملها فاكتبوها عليه سيئة ، واذا هم عبدى
بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها عشرا *
وقال صلى الله عليه وسلم " قالت الملائكة : ذاك عبد يريد ان يعمل سيئة - وهو
ابصريه - فقال : ارقبوه ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وان تركها فاكتبوها له
حسنة ، انما تركها من جرائي " " (١" ٠٠٠)

ويطول بنا القول لو اردنا استقصاء ما ورد بشأنهم عن الله عز وجل ، في
الكتاب والسنة ، وهذا الذي ذكرناه يكفي لان يعطينا فكرة عنهم ، يمكن تلخيصها
في انهم : " ٢ "

(مخلوقات عاقلة مدركة ، تظهر للانسان احيانا في صورة مادية ، وتخفى

عن ادراكه احيانا ، وانها تقوم باعمال عظيمة - حسب امر الله لها - لا يقوى
الانسان على القيام بمثلها ، وانها واقفة عند حدود ما يأمرها الله به ، لا تخالفه)
هذه صورة مجملية ، تستخلص بالنظرة العاجلة فيما ورد بشأنهم من نصوص .

ولا شك ان للملائكة سمات اخرى ، وخصائص امتازوا بها ، تتحدد بها
شخصياتهم الحقيقية التي هم عليها ، في الواقع ، ونفس الامر ، يعلمها من اوتوا من
العلم ما لم يوت امثالنا . وندع ما لا نعلم ، ونكتفي بما نعلم ، ونقدم هذه الصورة
الاجمالية للشيخ محمد عبده ، على انها صورة الملائكة عند السلف .

ولا شك ان الشيخ محمد عبده ، يقبل منا هذه الصورة على انها مذهب
السلف في الملائكة ، لانها استمدت من اصول قال هو عنها انها تحكي مذهب السلف
في الملائكة .

وننتقل بعد ذلك مع الشيخ محمد عبده الى مذهب الخلف في الملائكة ، فنجده

يقول :-

-
- ١ - متفق عليه .
 - ٢ - سيأتي تفصيل وجود الملائكة ، ووظائفهم ، وطوائفهم بعد هذا العرض
مباشرة .

(واما الخلف فمنهم من تكلم في حقيقة الملائكة ، ووضح لهم تعريفاً ،

ومنهم من امسك عن ذلك •

وقد اتفقوا على انهم يدركون ، ويحلون •

والقصة على مذهبيهم وردت مورد التمثيل ، لتقريب من افهام العامة ما تفيدهم

معرفة من حال النشأة الادمية ، وما لها من المكانة والخصوصية) • " ١ "

ويلح الشيخ محمد عبده على قضية التمثيل هذه ، بالنسبة للملائكة ، فيكررها

ويؤكد لها في مواضع من الكتاب •

يقول :

(وقد علم مما تقدم ان كل هذه الاقوال والمراجعات والمناظرات يفوض

السلف الامراء الى الله تعالى في معرفة حقيقتها ، ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها ،

وقد تقدم بيان ذلك •

واما الخلف فيلجأون الى التأويل ، واملثل طريقه في هذا المقام التمثيل •

وقد مضت سنة الله في كتابه بأن يبرز لنا الاشياء المعقولة في قوالب العبارات اللفظية ،

ويحكي لنا المعارف المعقولة بالصورة المحسوسة ، تقريباً للافهام ، وتسهيلاً

للاعلام ، وذلك انه عرفنا بهذه القصة قيمة انفسنا ، وما اودعته فطرتنا مما نمتاز

به على غيرنا من المخلوقات) • " ٢ "

ويقول :

(ان هذه الايات من التشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها ،

لانها بحسب قانون التأويل :

اما استشارة وذلك محال على الله •

واما اخبار منه تعالى للملائكة ، واعتراض منهم ، ومحاولة وجدال ، وذلك

١ — تفسير المنار (١ : ٢٥٥) •

٢ — تفسير المنار (١ : ٢٦٤) •

لا يليق بالله تعالى ايضا ، ولا بملائكته ، ولا بجامع ما جاء به الدين من وصف
الملائكة بانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون) . " ١ " .
والسبب الذي يذكره الشيخ محمد عبده لتبرير عدم امكان حمل الايات على
ظاهرها ، لا اراه كافيا ، ولا مقنعا ، لانه ساق وجهين ذكر ان حمل الايات
على ظاهرها ينحصر فيهما ، وردهما جميعا وانتهى الى الحكم بعدم امكان حمل
الايات على ظاهرها .

هذان الوجهان هما :

ان تكون مكاشفة الله الملائكة بما ازمعه من خلق آدم ، وتبوئه عرش
الخلافة في الارض ، استشارة منه تعالى لهم ، واستئناس برايهم ، تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا .

او تكون اخبارا ، لا استشارة ، ولكن الملائكة صدر منهم من الاعتراض والمحاجة
، والمجادلة ، ما لا يليق ان يواجه به الله احد من خلقه ، وما لا يليق بالملائكة
انفسهم ان يتورطوا فيه ، وهم من هم في كمال الادب مع خالقهم ، بمقتضى شهادته
حولهم .

ولا شك ان هذين الوجهين ، بصورتيهما هاتين مرفوضان .
لكن ، الا يمكن ان يكون الذي صدر من الملائكة — بعد اخبار الله لهم بما
ازمعه في شأن آدم — استفسارا ، واستفهاما ، لا اعتراضا ، ومحاجة وجدالا ؟
والاستفهام الذي يكون باعثة الدهشة ، والاستغراب يأخذ احيانا صورة
الاعتراض من غير ان يكونه .

خصوصا والشيخ محمد عبده يذكر — بين ما يذكر — ان الملائكة عانت من جنس
ما تسأل عنه ، ما يجعلها تستغرب تكراره .

وازيد انا على ما قاله الشيخ محمد عبده مما يصح ان يدخل في مجال ما
يشير له هشة الملائكة واستغرابهم ، ان لهم دورا يقومون به مع من اخبرهم الله بأنه
يخلقه في الارض ، ويؤتاه هو وذريته عرش الخلافة فيها ، ذلكم الدور هو ما بين
الاسلام انهم يقومون به مع بني آدم من حفظهم ورايتهم ، وكتابة اعمالهم ، وايقاع
العقوبات بهم ، وقبض ارواحهم . . . الخ مما يدخل في نطاق المهام المنوطة
بهم نحو آدم وذريته .

فسؤال يكون مثارة كل هذا ، لا يد ان يكون له في نفس صاحبه كبير عناية
واهتمام ، قد يوهمان من لا يكون واقفا على حقيقة حالهم انه اعتراض ، لا استفهام .
على اني اقول للشيخ محمد عبده : اذا كنت ترفض ان يكون ما يفيد
ظاهر الايات امرا واقعا صدر من الملائكة فعلا ، لانه لا يليق بالله ولا بهم — كما
تقول — فكيف تقبله تمثيلا لحالهم مع خالقهم ؟

وهل يجوز ان يمثلهم الله قائمين بدور تجاهه لا يليق بهم ولا به ؟
وهل يكون هذا التمثيل حقا او باطلا ؟
وهل ابراز الكائن في صورة لا تتفق مع ما هو عليه في الواقع ، يكون طريقا
لايضاح حاله ، واطهاره ، او لاخفائه وابهامه ؟ وقد ذكر الشيخ محمد عبده
ان من فوائد ذكر الله قصة الملائكة لعباده ، ان يعلمهم احسن الاسوة بهم .
فأين هي الاسوة الحسنة في تصوير الله لهم بصورة الممتعض على ربه ؟
اللاجوج في جداله وحججه ؟

الا ان الشيخ محمد عبده قد تورط بهذا القول فيما لا يحسن صدوره من

مثله .

وادع هذه المسألة لانظر في مسألة اخرى تتعلق بقول الشيخ محمد عبده :
(وقد علم مما تقدم ان كل هذه الاقوال والمراجعات والمناظرات يفوض السلف الامر
الى الله تعالى في معرفة حقيقتها ، ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها) .

فهذا القول عن السلف بخصوص مراجعة الملائكة لله في شأن آدم الا اراه

تصويرا صحيحا لمذاهبهم .

فان السلف لا يفوضون في كل شيء ، ولا يقولون عن كل آيات القران انها

• متشابهة •

ولقد اتهمت نفسي بازاء اصرار الشيخ محمد عبده على ان السلف يؤولون

آيات الملائكة ، فرجعت الى بعض كتب السلف فوجدت الامرفيها كما كان في

• نفسي من قبل •

ويظهر ان قضية التفويض ، والمشابهة ، تتخذ وسيلة لصرف الايات عن

معانيها الى معان تراء منها ، فلهذا الموقف ، موقف مشابه بالنسبة لآيات

البعث الجسماني " ١ " حين قال عنها - الشيخ محمد عبده - وهو يصدده

الدفاع عن ابن سينا لما اتهم بانكار البعث الجسماني - : ان آيات البعث

الجسماني من المتشابهة ، ليخلص ابن سينا مما اتهم به " ٢ " ، ولكن هيئات •

ويخلص لنا مما تقدم :

أولاً : === ان السلف يقولون عن الملائكة :

(انهم كائنات عاقلة مدركة ، تظهر للانسان احيانا في صور مادية ،

وتخفي عن ادراكه احيانا ، وانها تقوم - حسب امر الله - بأعمال عظيمة لا

يقوى على مثلها الانسان ، وانها واقفة في تصرفاتها عند اوامر الله ، لا تتعداها) •

ثانياً :

=== ان الخلف يقولون عن الملائكة :

(انها كائنات تدرك وتمقل) •

ثالثاً :

=== ان الشيخ محمد عبده يوافق على ان ما قلناه عن السلف بخصوص الملائكة ،

١ - سيأتي ، بعد قليل ، في هذا الباب ان شاء الله •

٢ - انظر مقدمة كتاب " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين " •

تحقيق د • سليمان دنيا •

هو رأى السلف ، وان ما قلناه عن الخلف بخصوص الملائكة هو رأى الخلف .
نعم يوافق الشيخ محمد عبده على هذه الاقوال ، لان البحث الذى
اوصل اليها ، تم وفق توجيهاته ، وعلى هدى ارشاداته .
واذا ادركنا النظر - بعد طول بحث - الى ما توصل اليه السلف ،
وما توصل اليه الخلف ، في شأن الملائكة ، لم نجد بينهما كبير فرق ، بل ربما
لم نجد فرقا اصلا .
واذا كان الشيخ محمد عبده ، قد قرر انه يسير على طريقة السلف ،
وطريقة الخلف " ١ " ، فالظن به ان يكون واقفا عند نقطة التقائهما ، راضيا عن
اتفاقهما ، فمعد الصباح يحمد القوم السرى .
ولكن الشيخ محمد عبده ، لم يقف حيث توقفوا ، ولم ينته حيث انتهوا ،
بل ظل يسير ، ويتخذ السير ، ولكن الى اين ؟
لا ندري فلنسرعه .
يقول الشيخ محمد عبده :

(وذهب بعض المفسرين - كذا - مذهبها اخر في فهم معنى الملائكة ،
وهو ان مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال ، من انماء نبات وخلق
حيوان ، وحفظ انسان وغير ذلك ، فيه ايماء الى الخاصة - كذا - بما هو مادق
من ظاهر العبارة) . " ٢ "

وهذا النص يفيد ان الشيخ محمد عبده يرى ان هناك - وراء مذهب
السلف والخلف في الملائكة - مذهب اخر . وان هذا المذهب يسوق الى الخاصة

١ - وقد بينت هذا في الباب الاول ، الفصل السادس ، وفي الباب الثانى
عند الحديث عن الصفات الخيرية .
٢ - تفسير المنار (١ : ٢٦٢) .

من اهل العلم بدين الله معنى في الملائكة يخاير الممنيين اللذين شرحهما من قبل
وعزاها الى السلف والخلف ، اللذين يعتبران بطريق العقابلة لمذهب الخاصة ،
مذاهب للامة .

ويستمر في القول فيفسر هذا المذهب قائلا :

(وهو ان هذا النحوي النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله في البذرة ،
فكانت به هذه الحياة النباتية ، وكذلك يقال في الحيوان والانسان) .
فالروح الخاص الذي نفخه الله في النبات فكان به ذلك النوع الخاص الذي
يتميز بخصائص عن غيره من الكائنات ، والروح الخاص الذي نفخه الله في الحيوان
فكان به ذلك النوع الخاص الذي يتميز بخصائص عن غيره من الكائنات ، والروح
الخاص الذي نفخه الله في الانسان فكان به ذلك النوع الخاص الذي يتميز
بخصائص عن غيره من الكائنات : هذه الارواح — عند اصحاب هذا المذهب —
هي الملائكة .

وهذه الارواح المنبثة في الكائنات ، والتي يقول اصحاب هذا المذهب انها
المعنى المراد من لفظ الملائكة ، الوارد في لسان الشرح ، هي نفسها التي تسمى
بلسان العلم " القوى الطبيعية " .

يقول الشيخ محمد عبده :

(ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف ، يسمي هذه المعاني القوى

الطبيعية) .

والشيخ محمد عبده يؤكد التقاء لفظ " القوى الطبيعية " ولفظ

" الملائكة " ، على معنى واحد ، واتفاقهما في الدلالة على شيء واحد ، فيقول :

(والامر الثابت الذي لا نزاع فيه ، هو ان في باطن الخليقة امرا هو مناطها ،

وهو قوامها ونظامها ، لا يمكن لعاقل ان ينكره ، وان انكر غير المؤمنين بالوحي تسميته

ملكا . او انكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته : " قوة طبيعية " او ناموسا

طبيعيا • فالحقيقة واحدة ، والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات) •
فحقيقة القوى الطبيعية ، وحقيقة الملائكة واحدة ، عند اصحاب هذا المذهب
- فيما يرى الشيخ محمد عبده - وهو يرى ان ليس في هذا المذهب ما ينكره ،
الا استعمال اسم لم يرد به الشرع • وهذا الانكار - فيما يرى الشيخ محمد عبده
- انما هو من طرف جماعة من المؤمنين لم يكشفوا بعلم ما كوشف به الخاصة •
هكذا يصور الشيخ محمد عبده هذا المذهب الذي يسميه هو واصحابه مذهب

الخاصة ، ولهم الحق ان يصوروا مذاهبهم بما يشاؤون ، لكن لا حق لهم ان
يصوروا مذهب غيرهم بما لا يشاء اصحابه •

فالاختلاف بين السلف والخلف ، وبين اصحاب هذا المذهب ليس واقفا
عند حد التسمية بل يتجاوزها الى المسمى •

فالسلف والخلف ربما يقرون بالارواح المنبثة في قوام النبات ، والحيوان
والانسان ، والتي صار كل واحد منها ما هو •

وهم يقرون جزما بالكائنات المدركة العاقلة القائمة بانفسها ، والتي ذكرنا
من خصائصها سابقا ما ذكرنا ، وهذه - عندهم - هي الملائكة •

وهم يقرون بالمهاينة التامة بينهما ، فالملائكة التي عنها الشرع ، بهذا
اللفظ ليست في شيء من القوى الطبيعية ، وليست القوى الطبيعية في شيء من
الملائكة •

هذا هو مذهب السلف والخلف واضحا لاخفاء فيه ، فمن اراد ان يكون

منهم فليعتقد عقيدتهم ، ومن اعتقد غير عقيدتهم فليس منهم •

واكرران السلف والخلف لا ينكرون ما في النبات والحيوان والانسان من القوى
المنبثة في قوامها مما بها حياتها وامتيازها عن غيرها من الكائنات ، فالله خلق هذه
القوى ، وخلق الملائكة ، وهما غيران مختلفان ، اشد الاختلاف ، متباينان اشد
التباين •

فالملائكة كائنات حية ، عاقلة مدركة ، قائمة بنفسها ، منها ما كان يحصل

القرية بمن فيها على جناحه ، ويطير بها في الجوالى مسافات بعيدة ، ثم يلقي بها على الارض منكسة ، فتهلك ويهلك من فيها .

اين من هذه الكائنات قوى منبهة في قوام النبات والحيوان والانسان وتقوم بوظائفها فيها كما تقوم قوة الابصار بالعين ، وكما تقوم قوة السمع بالاذن ، وكما تقوم قوة الشم بالانف ، بل كما تقوم قوة الكهرباء بالحديد .

ان هذه القوى وان كان لها دخل في حياة ما تقوم به ، لكنها ليست مما يوصف بالحياة ، فلم يعهد ان يقال : ان قوة النمو القائمة بالنبات والحيوان والانسان ، حية .

لكن الشيخ محمد عبده يبي الا ان يخلق على هذه القوى من نعوت الجلال ما يجعلها اهلا لتصديق الناس بانها الملائكة التى وردت في الكتاب والسنة ، فيقول :

(هذه القوى التى نرى اثارها في كل شي ، يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل ادق الباحثين في بحثه عنها الا الى اثار تجل اذا كشفت ، وتقل بل تضحل اذا حجبت ، وهي التى يدور عليها كمال الوجود وسها ينشأ الناشء ، وسها ينتهي الى غايته الكامل ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل .
الاست اشعة من ضياء الحق ، ليست اجل مظهر من مظاهر سلطانه ، الا تمد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت اثارها من عالم الشهادة ، الا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها لا تدرك كنهه ، لاحتجابه بما تتصوره من حياتنا واختيارنا ؟) " ١ " .

وانا نقول للشيخ محمد عبده :

هب انها حية مختارة ، وانها ذلك الذى ذكرته عنها ، واكثر منه ، لكنها ليست الملائكة ، ولا الملائكة اياها . لان ما ذكره الله ورسوله عن الملائكة لا ينطبق عليها ، فنحن نؤمن بها ونؤمن بالملائكة ، ولا نقول انها هي الملائكة .

لكن هذا لا يمنع من ان نعترف للشيخ محمد عبده بأنه طوى عن الناس
استار الجهل التي كانت تحجبهم عن ادراك هذه الاشياء التي هي من عظيم خلق
الله ، وانها في الذكاء ، ونفاذ البصيرة ، وقوة المعارضة ، ونصاعة البيان ،
ما هو .

كذلك نقول . وكذلك قال معاصروه ، ولكنهم ايضا قالوا ، كما نقول :

ان القوى الطبيعية شيء ، والملائكة شيء اخر .

ويضيق الشيخ محمد عبده ذرعا بهذا الاصرار على مخالفته ، فيتهمكم

بالمخالفين ويرميهم بالجمود .

وبصور الشيخ رشيد رضا هذا الموقف ، قائلا : " ١ "

(ان غرض الاستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالاياء وبالاشارة

— كذا — اقناع منكري الملائكة بوجودهم ، بتعبير ما ألوف عندهم تقبله عقولهم ،

وقد اهتدى به كثيرون ، وضل به اخرون ، وزعموا انه جعل الملائكة قوى لا تعقل

فرد عليهم كتابة ، بما نصه بحروفه :

" ولست احيط علما بما فعلت المادة والتقاليد في نفس بعض من يظنون انهم

من المتشددين في الدين . ان ينفرون من هذه المعاني كما ينفروا من المضى او

المخدجون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم . وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ،

ويتثبتون بأوهام ما ألوف لهم ، تثبت اولئك المضى والمخدجين ، بأضر طعام

يفسد الاجسام ، ويزيد السقام .

لا اعرف ما الذي فهموه من لفظ " روح او ملك " ، وما الذي يتخيلونه

من مفهوم لفظ " قوة " .

ليس الروح في الادي مثلها هو الذي يظهر لنا في افراد هذا النوع ،

بالمقل والحس والوجدان والارادة والعمل ، واذنا سلبيه سلبيها ما يسعى بالحياة ؟

اوليست القوة هي ما تصدر عنه الاثار فيمن وهبت له ؟

فاذا سمي الروح - لظهور اثره - قوة ، او سميت القوة - لخفاء

حقيقتها - روحا ، فهل يضر ذلك بالدين ، او ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟ (٠٠٠٠)

ثم ينتقل من وصف المخالفين بالجمود على العادة والتقاليد ، الى تحديدهم

واظهار عجزهم عن فهم ما يعتقدون ، فيقول :

(لو ان مسكينا من عبدة الالفاظ ، من اشداهم ذكاء ، وازوهبهم لسانا ، اخذ

بما قيل له ، : ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل ، ثم تطلع عقله الى

ان يفهم :

معنى نورانية الاجسام ، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا ،

بدون ان يقوم بجسم اخر كثيف ، ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح ، او سلك

الكهرباء .

ومعنى قابلية التشكل ، وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من

الصور المختلفة حسبما يريد ؟ وكيف يكون ذلك ؟

الا يقع في حيرة ، ولو سئل عما يعتقد من ذلك ، الا يحدث في لسانه

من الحقد ما لا يستطيع حله ؟

اليس مثل هذه الحيرة يعد شكاً ؟) .

ثم يتهمكم ويسخر فيقول :

(افلا تزعم ان لله ملائكة في الارض ، وملائكة في السماء ؟

هل عرفت اين تسكن ملائكة الارض ؟ وهل حددت امكنتها ، ورسمت مساكنها ؟

وهل عرفت اين يجلس من يكون منهم عن يمينك ، ومن يكون عن يسارك ؟

هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام ، او توهنك اذا هجمت عليك

الاهام ؟

فلو ركننا الى انها قومي او ارواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك ،

وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك ، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم ، كيلا

يوحشك بما يد هشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك ، من وجوه تعرفها ،

افلا يكون ذلك اروح لنفسك ، وادعى الى طمأنينة عقلك ؟

افلا تكون قد ابصرت شيئا من وراء حجاب ، ووقفت على سر من اسرار الكتاب ؟

فان لم يكن في نفسك استعداد لقبول اشعة هذه الحقائق ، وكنت ممن

يو من بالغيث ، ويقول " امنا به كل من عند ربنا " فلا ترم طلاب العرفان بالرب

ما داموا يصدقون بالكتاب الذي امننت به ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته .

وهم في ايمانهم اعلى منك كمبا ، وارض منك برسبهم نفسا .)

الا ان هذه الاقوال لتشعرنا بالاسى على ما كان يعاني الشيخ محمد عبده

من ضيق ، ولكنها لم تشعرتنا بميل او رغبة في ان نترك السلف والخلف جميعا في

امرا جمعوا عليه ، ونواقفه على ما يقول .

ويسدل الستار ، والشيخ محمد عبده في جانب ، والسلف والخلف

جميعا في جانب اخر (ا هـ " ١)

١ — انتهى كلام الاستاذ المشرف ، وقد نقلته بنصه بحروفه ، لعدم استطاعتي

التصرف فيه .

رأى السلف والخلف في الملائكة :

=====

جرى السلف والخلف من المسلمين في فهمهم للملائكة ، وغيرهم من الغيبيات

على قاعدة ، سليمة ، واضحة ، هي :

• الا تزيد بشيء في امر الغيبيات التي قص الله علينا طرفا من خبرها .

وان نقف عند حدود النص ولا نتعداه ، لانه كاف بذاته لا ثبات ما يعرض له

من امور .

والمؤمن الصادق يقربكل ما اخبر به الخالق جل وعلا من شأن الملائكة

مجلا او مفصلا ، ولا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ، ولا يتكلف البحث عما

لم يطلع الله منهم ، ولا يخوض فيه ، بل يقول " امنا به كل من عند ربنا " ١ ،

لان هذا هو المقصود ، والمطلوب معرفته ، ولو علم الله ان هناك خيرا او فائدة

او حاجة في الزيادة او الايضاح او التفصيل ، لفعل سبحانه ، وفصل .

وغاية ما على المسلم ان يعترف بوجود الملائكة ، ويؤمن بصفاتهم التي

وردت في النصوص الصحيحة . ويصدق بطوائفهم ووظائفهم التي اخبرنا بها الخالق

سبحانه ، ودونها السلف والخلف من المسلمين على النحو التالي :

١ - وجودهم

=====

دل على وجود الملائكة الخبر الصادق عن الخالق سبحانه ، والحديث الصحيح

عن نبيه عليه افضل الصلاة والسلام .

فأما الوارفي القران عن الله تعالى : قوله " آمن الرسول بما انزل اليه من

ربه ، والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا

سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " ٢ .

١ - سورة ال عمران اية (٧) .

٢ - سورة البقرة اية (٢٨٥) .

وقوله تعالى : " ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا

انه لا اله الا انا فاتقون " ١

وقوله تعالى : " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضالا

بعينه " ٢

ولقد جاء الحديث عن الملائكة في القرآن بمناسبة مختلفات في نحو خمس

وسبعين آية ، من نحو ثلاثة وثلاثين سورة ٣

واما الوارد من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقوله صلى الله

عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي اخرجه مسلم عن عن عمر بن الخطاب رضي الله

عنه واخرجه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عندما نزل جبريل عليه السلام

على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن الايمان ، فقال الرسول صلى الله

عليه وسلم ؟

" الايمان : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وتؤمن بالقدر

خيره وشره " ٤

كما جاء في الاحاديث الصحيحة ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قابل

بعض الملائكة .

وفي مقدمة الاحاديث المثبتة لذلك احاديث بدء الوحي ، ونزوله على

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه الاحاديث متواترة في معناها ٥

١ - سورة النحل آية (٢) .

٢ - سورة النساء آية (١٣٦) .

٣ - انظر : العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٦) ، الطبعة الاولى .

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ١٥٧) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري

(١ : ٩٦ ، ٩٧) .

٥ - انظر : العقيدة الاسلامية ، واسسها (٢ : ٧) .

فوجود الملائكة اذا ، ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن ان يلحقه شك

• اريب

ومن هنا كان انكار وجودهم كفرا باجماع المسلمين ، بل بنص القران الكريم

يقول الاستاذ عبد الرحمن حبنكة :

(والعلم بوجود الملائكة مما هو معلوم من الدين بالضرورة عند جميع

المسلمين) • "١"

ان الملائكة عليهم السلام ليسوا ضربا من الالهام ، ولا نوعا من تخيلات

الاحلام ، كما انهم ليسوا عقولا مجردة ، ولا من معاني النفوس البشرية "٢" •

وانما هم عالم حقيقي الوجود ، غيبي عن العيان المشهود • "٣"

قال المحققون من اهل العلم والمعرفة :

(ومجمل الايمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بان الله تعالى خلق

عالم اسماه ب " الملائكة " ، وهم :

ارواح قائمة في اجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل ، بأشكال مختلفة

بإذن الله تعالى) • "٤"

١ - نفس المصدر ونفس الصفحة •

٢ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ١٢٧) •

٣ - انظر كتاب : الايمان بالملائكة عليهم السلام ، بقلم عبد الله سراج الدين ،

الطبعة الاولى ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م ، ص ٣ •

٤ - انظر : المرجع السابق ص (١٠ ، ١٣) •

وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ : ٢٣٢) •

وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٧٩) •

في شرح جلال الدين الدواني على المعائد العضدية •

وقد مر معنا ان الشيخ محمد عبده ، تهكم وسخر من اصحاب هذا

القول ، وايضا فهو لا يقبل ما جاء في بعض النصوص ان الملائكة تتمثل بصور

واشكال جثمانية مختلفة ، - كما سنرى بعد قليل - ، لانها - حسب =

• قوله - من عالم غير عالم الابدان • =

يقول :

- (فلا يصح ان تتمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا ،
- لان هذه لو اتصلت بارواحنا ، فانما تتصل بها من طرق اجسامنا ،
- ونحن لا نحس بشيء يتصل بابداننا لا عند الوسوسة ، ولا عند الشعور
- بداعي الخير من النفس ، فاذن هي عالم من غير عالم الابدان قطعا) •
- انظر : تفسير المنار (١ : ٢٦٧) •

٤٢ : صفاتهم الخفية

=====

اقول : - بناء على ما مضى -

فانا لا نستطيع ان نعرف كل شي عن صفات الملائكة ، لان الله سبحانه

لم يخبرنا من هذه الصفات الا النذر القليل .

وحسبنا في الحقيدة الاسلامية ان نعرف هذه الصفات ، بالقدر الذي

وردت به النصوص دون زيادة ، او نقصان . . .

واليك بعضا من صفاتهم :

١ : اخبرنا الخالق سبحانه انهم خلقوا قبل " ادم " عليه السلام ، من نور :

قال تعالى :

" واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة . . . " ١

ففي هذه الاية دليل خلق الملائكة قبل ادم عليه السلام .

والدليل على انهم خلقوا من نور ، ما اخرجهم مسلم عن عائشة رضي الله عنها ،

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ٢ : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق

الجان من ماج من نار ، وخلق ادم مما وصف لكم " ٣ . .

١ - سورة البقرة اية (٣٠) .

٢ - اخرجهم مسلم ، وانظر : فتح الباري (٦ : ٢٣٢) .

٣ - اي كما وصفه الله تعالى في مواضع متعددة من الكتاب الكريم . فأخبر سبحانه

في موضع انه خلق من تراب قال تعالى : " ان مثل عيسى عند الله كمثل

ادم خلقه من تراب " (ال عمران : ٥٩) ، اشارة الى الجسد الاول .

وفي موضع اخر اخبر تعالى انه خلقه من طين ، قال تعالى " وبدأ

خلق الانسان من طين " ، (السجدة : ٧) ، اشارة الى الجمع بين

التراب والماء .

وفي موضع ثالث اخبر تعالى انه خلقه من طين لازب ، قال تعالى :

فهم اذا (مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي ، يدرك بالحواس الانسانية ،
وانهم ليسوا كالجن ، ولا كالبشر ، مظهرون من الشهوات الحيوانية ، ومنزهون
عن الاثام والخطايا ، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها غيرهم ،
غير ان لهم القدرة على ان يتخللوا بصور البشر باذن الله تعالى) . " ١ "

فقد ثبت في بعض الاحاديث الصحيحة ان جبريل عليه السلام اتى الى
مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، على صورة انسان مجهول الشخصية ، كما
في حديث عمر السابق .

فقد ذكر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هيئة رجل شديد بياض الثياب ، شديد
سواد الشعر وانه جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم واسند ركبتيه
الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيته ، ثم سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن
الاسلام والايمان والاحسان ، وعلامات الساعة ، ثم انصرف ، فقال الرسول
صلى الله عليه وسلم لاصحابه : " اتدرون من السائل ؟ قالوا : الله ورسوله
اعلم . قال : فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم " .
وكما اخبر الله عز وجل عن جبريل عليه السلام انه اتى مريم عليها السلام في
صورة بشرية ، قال تعالى :

" واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم
حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا " . " ٢ "

= انا خلقناهم من طين لازب " (الصافات : ١١) ، اشارة الى الطين المستقر على
حالة من الاعتدال ليصلح لقبول التصوير .

واخبر تعالى في موضع اخر انه خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، ومن
صلصال كالفخار ، اشارة الى يسه . ثم نبه سبحانه على تكميل هذا الانسان
بنفخ الروح فيه .

فقال تعالى " فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " .

(سورة ص : ٧٢) (سورة الحجر : ٢٩) .

١- المقائد الاسلامية ، لسيد سابق (ص ١١١) .

٢- سورة مريم الايات (١٦ - ١٧) .

كما ثبت انه اتى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم على صورة انسان معلوم ٥

وهو : " دحية الكلبي " " ١ " رضي الله عنه •

وتدل النصوص في مجموعها على ان جبريل عليه السلام كان يأتي النبي صلى

الله عليه وسلم بصور واشكال مختلفة ، حسب المناسبة التي اقتضتها تلك الحالة

بأمر من الله •

فجاء يوم بني قريظة بصورة محارب عليه السلاح ، كما في الصحيحين عن

عائشة رضي الله عنها •

ومن ذلك تمثل الملك بصورة ابرص ، واقترع ، واعصى ، حيث ارسله الله

الى ثلاثة من بني اسرائيل : ابرص ، واقترع ، واعصى ، اراد الله ان يتليهم :

ايشكرون نعمة الله عليهم ام يكفرون ، ويجحدون •••

وهذه القصة وردت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه • " ٢ "

ولا يلزم من تمثل الملك بصورة من الصور البشرية ان تناله الاحكام البشرية

من اكل وشرب ، ونوم ، ونعاس ••• الخ

ولذلك : لما تمثلت الملائكة بصورة رجال ، ودخلوا على الخليل عليه

الصلاة والسلام ، وقدم لهم الطعام ••• لم يتناولوا منه شيئا • " ٣ "

قال تعالى :

" هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما

قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بمجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون

فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وشروه بخادم عليم " • " ٤ "

١ — دحية بن خليفة الكلبي ، احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وقد كان رجلا وسيما ، جميل الصورة ، حسن الهيئة •••

٢ — انظر : فتح الباري (٦ : ٥٠١) / وانظر : رياض الصالحين ص ٥٦ •

٣ — انظر كتاب : الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام ، لاحمد

عبد الوهاب ص ٢٣ و ٢٤ ، الطبعة الاولى ، دار النهضة العربية •

٤ — سورة الذاريات الايات (٢٤ — ٢٨) •

ب : ومن صفاتهم الخلقية ايضا ان منهم اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع او اكثر من ذلك كما قال الله تعالى :

" الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى

وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير " ١ " .

وقد اخبر الشيخان عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، راي جبريل عليه السلام له : ستمائة جناح " ٢ " .

وفي حديث طويل عن ابي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم :

" ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتصقون اهل الذكر ، فاذا وجدوا

قوماً يذكرون الله تنادوا ، " هلموا الى حاجتكم " .

قال صلى الله عليه وسلم : " فيخفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا " ٣ " .

ج : وتدل النصوص التالية على ان للملائكة صفات اخرى لا تختص بالخلقة .

قال تعالى : " لن يستنكف المسيح ان يكون يكون عبدا لله ولا الملائكة

المقربون " ٤ " .

وقال تعالى : " عليها ملائكة غلاظ شدادا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون

ما يؤمرون " ٥ " .

وقال تعالى : " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه بل عباد مكرمون لا

يسبقونه بالقول وهم بامره يمسلمون " ٦ " .

-
- ١ - سورة فاطر اية (١) .
 - ٢ - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى (٦ : ٢٤٢) ، وروى ايضا في كتب الصحاح ، عن ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها .
 - ٣ - انظر : رياض الصالحين ص ٦٣٥ .
 - ٤ - سورة النساء اية (١٧٢) .
 - ٥ - سورة التحريم اية (٦) .
 - ٦ - سورة الانبياء اية (٢٦) .

وقال تعالى : " وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسنون يسبحون الليل والنهار لا يفترون " ١ " ٠ "

وقال تعالى : " ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون " ٢ "

وقال تعالى : " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويسألون " ٣ " ٠ "

وقال تعالى : " تصبح الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة " ٤ "

وقال تعالى : " ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " ٥ " ٠ "

وقال تعالى : " ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة " والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " ٦ " ٠ "

فهذه النصوص القرآنية ، وما ورد من احاديث صحيحة تؤيدها " ٧ " تدل في مجموعها على ان لله تعالى ملائكة ، خلقهم لعبادته ، وهم ليسوا بالبشر : فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، ولا يتزوجون ، وهم مطهرون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها

-
- ١ - سورة الانبياء الايات (١٩ - ٢٠) .
 - ٢ - سورة الاعراف اية (٢٠٦) .
 - ٣ - سورة الزخرف اية (١٩) .
 - ٤ - سورة المعارج اية (٤) .
 - ٥ - سورة الرعد اية (١٣) .
 - ٦ - سورة النحل الايات (٤٩ - ٥٠) .
 - ٧ - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى (٦ : ٢٣٢) .

البشر • رضي الله عنهم اجمعين • " ١ "

هذا هو ما اخبرنا به الله تعالى عن هذه المخلوقات الكريمة • من
صفات خلقية وخلقية • لا يسعنا انكار شي منها • او الاستهتار به • ولا
السؤال عنه ما لم يرد به عن الله كلام • لانه لو كان في العلم به نفع للناس لما
حجب الله عنهم معرفته • • ولفصل لهم القول فيه وهو الرحيم بهم الغفور
لذنوبهم • لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون •

١ - بتصرف : انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١١ : ٢٣٠ - ٢٣٥) •

٣ - اصناف الملائكة ، ووظائفهم

=====

لا يفوتني - قبل ان اذكر مذهب السلف ، وجمهور العلماء ، في طوائف
الملائكة ووظائفهم - ان انبه القارئ الى ان الشيخ محمد عبده ، ذهب في
تعليقاته على " نهج البلاغة " للامام " علي " رضي الله عنه ، في صفحة
(٢٧) ، مذهباً بعبداً ، فسرفيه الملائكة الموكلين بحفظ العباد ،
والملائكة الموكلين بحمل العرش ، ب " القوى " ، على النحو التالي :-

قال : حفظة العباد : كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ونفوسهم ،

• يحفظ الله الموصولين بها من الممالك والمعاطب

وقال : حملة العرش : كأنهم القوة العامة التي افاضها الله في

العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه . .

واني ارى في الكلمة السابقة ، التي كتبها الاستاذ المشرف ، - جزاء

الله خيراً - الرد الكافي على هذا المذهب الذي ابتدعه الشيخ محمد عبده ،

واتى به من عند نفسه ، بعد ان رفض الوقوف عند النتيجة التي توصل اليها السلف

والخلف في الملائكة ، - كما سبق -

ولا اريد ان اكرر ما قاله الاستاذ سليمان دنيا - المشرف - ، فقد

كفى الله المؤمنين القتال •

واريد ان اترك القارئ وحده - بناء على ما قاله السلف ، والخلف ،

وما قرره الاستاذ المشرف - ليرى بنفسه كيف مال الشيخ محمد عبده الى التمثيل ،

في قوله عن حفظة العباد : (كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ، ونفوسهم . . .)

وكيف عطل كثيراً من النصوص الشرعية ، في قوله عن حملة العرش : (كأنهم

القوة العامة التي افاضها الله في العالم الكلي . . .) •

الا ترى الى الشيخ محمد عبده ، هنا ، كيف مثل ، وعطل ، وصرف

الالفاظ الواضحة المفهومة ، عن ظاهرها ، من غير قرينة تدعو الى ذلك ؟
لا شك ان حقيقة القوى غير حقيقة الملائكة ، فالقوى شيء ، والملائكة
شيء آخر ، ولا يجوز للشيخ محمد عبده ان يؤكد التقاء لفظ " قوى " ولفظ
" الملائكة " على معنى واحد ، واتفاقهما في الدلالة على شيء واحد ...
من اجل ان يفتن منكري الملائكة بوجودهم بتمبير ألفوف عندهم يقبله
عقولهم - كما قال رشيد - .

فالمسألة ليست مالة تلاعب بالالفاظ حتى يقنع الشيخ محمد عبده بعض
المضبووعين بالثقافة الغربية ، ...

ولكنها مسألة فهم مراد الله ، ومراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لفظ " الملائكة " والمعنى الحقيقي لحفظة العباد ، وحملة العرش ...
انها مسألة عقيدة ...

والايمان بها ركن من اركان الدين ...
واليك مذهب السلف والخلف في اصناف الملائكة ، ووظائفهم ، مستخلصا
من النصوص الشرعية الواردة في الملائكة عليهم السلام ...
يقول الامام ابن القيم رحمه الله تعالى :

(والملائكة الموكلة بالانسان من حين كونه نطفة الى اخر امره ،
لهم وله شأن آخر :

فانهم موكلون بتخليقه ، ونقله من طور الى طور ، وتصويره ، وحفظه
في اطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه وعمله ، واجله ، وشقاوته وسعادته ،
وملازمته في جميع احواله ، واحصاء اقواله وافعاله ، وحفظه في حياته ، وقبض
روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وناظره .

• وهم الموكلون بعذابه ونعيمه ، في البرزخ ، وبعد البحث .

• وهم الموكلون بعمل الات النعيم والعذاب .

- وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله ، والمعلمون له ما ينفعه ،
والقاتلون الذابون عنه •
وهم اولياؤه في الدنيا والاخرة •
وهم الذين يمدونه بالخير ، ويدعونهم اليه ، وينهونه عن الشر
ويحذرونه منه •
فهم اولياؤه وانصاره ، وحفظته ومعلموه ، وناصحوه ، والداعون له ،
والمستغفرون له •
وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ، ويصلون عليه ما دام يعلم
الناس الخير ، ويشرونه بكرامة الله تعالى في منامه ، وعند موته ، ويوم بعثته •
وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الاخرة •
وهم الذين يذكرونه اذا نسي ، وينشطونه اذا كسل ، ويثبتونه اذا
جزع •
وهم الذين يسعون في مصالح دنياه واخرته •
فهم رسل الله في خلقه وامره ، وسفراؤه بينه وبين عباديه ، تنزل
بالامر من عنده ، في اقطار العالم ، وتصعد اليه بالامر) • " ١ " •
وقد جاءت النصوص الشرعية تبين طوائف الملائكة وبعض وظائفهم •••••
وفيما يلي طائفة من تلك النصوص : " ٢ " •

-
- ١ - اغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (٢ : ١٢٥ و ١٢٦) ، تحقيق محمد
سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ / وانظر شفاء
العليل ، له ايضا ص ١٩ - ٢٤ •
٢ - انظر - بتصرف عن :
العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ١٨) / شرح العقيدة الطحاوية ص
٣٣٥ / الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام ، احمد عبد
الوهاب ص ٢٣ - ٣١ / اصول الايمان ، تاليف الامام ابي عبد الله
محمد بن عبد الوهاب ، الموجود ضمن مجموعة الحديث ، الناشر مكتبة
الرياض الحديثة ص ٢٠٩ - ٢١٤ •

١ - قال تعالى - مبينا اكابر الملائكة ، ومنهم جبريل عليه السلام ، ومنوها ببعض وظائفه - :-

- " من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين " ١٠
- " وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين هلى قلبك لتكون من المنذرين " ٢
- " فان الله هو مولاة وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير " ٣
- " انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين " ٤

٢ - وقال تعالى :- مبينا الصنف المختص بحمل العرش -

" وانشقت السماء فبهى يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش

ربك فوقهم يومئذ ثمانية " ٥

ومبينا : الحافين حول العرش :-

" وترى الملائكة طاقين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي

بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين " ٦

قال الامام ابن كثير في قوله تعالى : " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " :

اي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة .

وروى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى ، من حملة العرش : ان ما

-
- ١ - سورة البقرة اية (٩٨) .
 - ٢ - سورة الشعراء الايات (١٩٢ - ١٩٤) .
 - ٣ - سورة التحريم اية (٤) .
 - ٤ - سورة التكويد الايات (١٩ - ٢٠) .
 - ٥ - سورة الحاقة الايات (١٦ - ١٧) .
 - ٦ - سورة الزمر اية (٧٥) .

بين شحمة اذنه الى طاقه مسيرة سبعمائة عام " ١ " .
وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية "
قال : ثمانية صفوف من الملائكة " ٢ " .

٣ — وعن ملائكة الجنة ، وهم الذين اطلق القران عليهم اسم الخزنة :
قال تعالى : " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زموا حتى اذا جاؤوها وفتحت
ابوابها وقال لهم اخزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين " ٣ " .
وقال تعالى : " جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام طيبكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار " ٤ " .

٤ — وعن ملائكة النار " الزبانية " ، والمشرفين على العذاب في جهنم ، وعن
" مالك " رئيسهم ، قال تعالى :
— " كلا لكن ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع نادية ،
سندع الزبانية " ٥ " .
— " وما ادراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، طيبها تسمة عشر ،
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة . . . " الاية " ٦ " .
— " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما تكون " ٧ " .

-
- ١ — رواه ابو داود : انظر : مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٥٤٣) .
 - ٢ — انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار محمد علي الصابوني ، الطبعة
السابعة (٣ : ٥٤٣) .
 - ٣ — سورة الزمر اية (٧٣) .
 - ٤ — سورة الرعد الايات (٢٣ — ٢٤) .
 - ٥ — سورة العلق الايات (١٥ — ١٨) .
 - ٦ — سورة المدثر الايات (٢٧ — ٣١) .
 - ٧ — سورة الزخرف اية (٧٧) .

٥ — والملائكة الموكلون ببني آدم اصناف ، ولكل صنف منهم عمله كما اذكر
ابن القيم .

وفيما يلي طائفة منهم وردت بهم النصوص :

أ : — منهم الموكلون بفتح الارواح في الاجنة ، وكتابة مستقبل اعمالها ، واجالها
وارزاقها ، وسعادتها او شقاوتها .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو الصادق المصدوق :

" ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقه
مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله اليه ملكا فيؤمر بالسبح كلمات :
فيكتب عمله ، واجله ، ووزقه ، وشقي او سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح . . .
الى اخر الحديث " . ١

ب : — ومنهم الملائكة الموكلون بمراقبة اعمال المكلفين وحفظها واحصائها وتسجيلها ،

وكتابتها في صحف الاعمال ، وعندهم القدرة على علم جميع ما يفعله الناس

من خيرا او شر ، فيحصونه احصاء تاما ، من غير سهوا او نسيان . . .

قال تعالى : " ان يلقى المتلقين عن اليمين وعن الشمال قصيد ما يلفظ من قول

الا لديه رقيب عتيد " . ٢

وقال تعالى : " كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون

ما تعملون " . ٣

ج : — ومنهم المعقبات وهم الحفظة الذين يحفظون الناس بامر الله من شر الاشرار ،

الخفي او الظاهر . . . فلا يصيب الانسان شي منها الا ما قدره الله

١ — متفق عليه .

٢ — سورة قى الايات (١٧ — ١٨) .

٣ — سورة الانفطار الايات (٩ — ١١) .

وقضاه "١"٠٠٠

قال تعالى : " له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله "٢"٠

د : — ومنهم ملائكة الموت الموكلون بقبض الارواح ، والذين هم رسل الله للقيام

بهذه المهمة .

قال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت

توفته رسلنا وهم لا يفرطون "٣"٠

وقال تعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون "٤"٠

وقال تعالى : " والنازعات غرقا والناشطات نشطا "٥"٠

٦ : — الملائكة الموكلون بامور اخرى في هذا العالم المشهود ، وقد اطلق عليهم

القران : " الصافات " ، " الزاجرات " ، " الذاريات "٠٠٠ الخ "٦"٠

قال تعالى :

" والذاريات ذروا ، فالحملا تورا ، فالجاريات يسرا ،

فالقسمات امرا "٧"٠

وقال تعالى : " والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا "٨"٠

١ — انظر : تفسير ابن كثير (٤ : ٤٩٧) / وانظر : اضواء البيان ،

للسنقيطي (٩ : ١٥٨) : / وانظر فتح القدير ، للشوكاني (٥ : ٤١٩) .

٢ — سورة الرعد اية (١١) .

٣ — سورة الانعام اية (٦١) .

٤ — سورة السجدة اية (١١) .

٥ — سورة النازعات الايات (١ - ٢) .

٦ — انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ : ٣٠٢) .

٧ — سورة الذاريات الايات (١ - ٣) .

٨ — سورة الصافات الايات (١ - ٣) .

وقد اورد طائفة من المفسرين انها زمر من الملائكة . " ١ "

وايضا دل الكتاب والسنة على انه سبحانه ، وكل بالجيال ملائكة ،

وبالسحاب ملائكة ، وبالمطر ملائكة . . . " ٢ "

(ولا ينافي هذا ما يلاحظ في الكون من قوانين واسباب يرتبط بعضها

ببعض ، لان هذه القوانين ، والاسباب انما هي مخلوقات من مخلوقات الله ،

والملائكة موكلة بها ايضا ، وموكلة برعايتها ، كما ترى المخلوقات الاخرى ، ولولا

ارادة الله في حفظ هذه الاسباب والقوانين ، ولولا قدرة الله في تسخير الملائكة

للحفاظ عليها فان العقل لا يستلزم ابداء بقاءها على هذه الاماكن الطويلة في انتظامها

وتناسقها) . " ٣ "

وجملة القول :

فان السلف والخلف جميعا يؤمنون بوجود الملائكة ، وبنصقاتهم ،

ونظراتهم ووظائفهم على الصورة التي سهقت من غير تاويل .

وان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، بعيد عن مذاهبهم ،

ومخالف له . . .

ومن العجيب ان يصدر مثل هذا التاويل عن عالم مسلم مثل الشيخ

محمد عبده ، وما هي الا قفلة ، نسأل الله ان يسامحه ويعفو عنه .

١ - انظر تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حقي الهزسوى ، دار الفكر (١٠ : ٣٦٤)

وانظر التفسير الكبير للمسي بالبحر المحيط ، مكتبة ومطابع النهضة

(٨ : ٤٠٤) .

وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي ، الطبعة الاولى (٢٦ : ١١٤)

(٣٠ : ٣٦٤) .

وانظر الكشاف للزمخشري (٤ : ٢١٢) / وانظر تفسير القرطبي ، دار

الشعب (٨ : ٦٩٨١) .

وانظر تفسير ابي السعود ، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم

(٥ : ١٩٦) . ، مطبعة السعادة ، مكتبة الرياض الحديثة .

٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٥ و ٣٣٦ .

و اغاثة اللهقان (٢ : ١٢٠) .

٣ - الايمان ، اركانه ، حقيقته ، نواقضه ص ٢٩ .

ب :- رأى الشيخ محمد عبده في " الجن " :

=====

لم يكتب الشيخ محمد عبده عن الجن - فيما اعلم - بحثاً مستقلاً ، ولم
يخصص لها دراسة يفرد بها ، كما فعل مثلاً بالنسبة للنهضة ، والمعجزة ، ...
وانما جاء كلامه فيها تبعاً لكلامه في موضوعات ورد ذكرها فيها .
ولذلك يضطر الباحث عن رأى الشيخ محمد عبده في الجن ان يتتبع
الموضوعات التي تعرض الشيخ محمد عبده لها بالشرح والبيان ، وكان للجن ذكر
فيها .

ومظان ذلك هو القرآن الكريم الذي ذكر الجن في آيات من سور شتى .

واليك ما وجدته من كلام له في هذه المسألة :

يقول الشيخ محمد عبده :

(ونؤمن بالجن ، ونقول انه لا يعلم تأويل ذلك : اى حقيقة

ما تؤول اليه هذه اللفظة - الا الله .

والراسخون في العلم وغيرهم في هذا سواء ، وانما يعرف الراسخون

ما يقع تحت حكم الحس ، والعقل ، فيقفون عند حدهم ، ولا يتناولون الى معرفة

حقيقة ما يخبر به الرسل عن الجن ، لانهم يعلمون انه لا مجال لحسهم ، ولا

لعقلهم فيه ، وانما سهيله التسليم ، فيقولون : امثابه كل من عند ربنا (١)

ويذكر " بلنت " ٢ - صديق الشيخ محمد عبده - ان الشيخ محمد

عبده كان يعترف بوجود الجن ، ويقول : ان احداً من الناس لم يرههم ، وليس

١ - تفسير المنار (٣ : ١٦٧) .

٢ - الصديق الحميم للشيخ محمد عبده ، هو " كرومر " ، وقد كان " بلنت " ،

مستشرقاً عاش في مصر ، وعرف الكثير عنها وعن اهلها ، وكتب مذكراته

فيها ، وكان قد اشرف الشيخ محمد عبده ، وكتب الكثير عنه . . .

في الامكان ان يعرف شيئا عنهم " ١ "

ومن اوسع ما ورد في تفسير المنار ، بخصوص الجن ، ما جاء في تفسير

قوله تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر

وكان من الكافرين " ٢ "

وقوله تعالى : " ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه

الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم

ولا مننهم قليمتكن اذان الانعام ولا مننهم قليمتين خلق الله ومن

يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا " ٣ "

اولا : يقول الشيخ محمد عبده في تفسير الاية الاولى ، ما معناه :

(فاذاصح الجرى على هذا التفسير — يعني تفسير الملائكة بالقوى الطبيعية

فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الاية الى ان الله تعالى لما خلق الارض ، ودبرها

بما شاء من القوى الروحانية ، التي بها قوامها ، ونظامها ، وجعل كل صنف من

القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ، ولا يتعدى ما احده له من

الاثرا الذي خص به ، خلق بعد ذلك الانسان واعطاه قوة يكون بها مستعدا

للتصرف بجميع هذه القوى ، وتسخيرها في عمارة الارض ، وعبر عن تسخير هذه

القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير ، وجعله بهذا الاستعداد

الذي لا حد له ، والتصرف الذي لم يعط لغيره ، خليفة الله في ارضه ، لانه

اكمل الموجودات في هذه الارض .

١ — ذكر " بلنت " هذا البراى للشيخ محمد عبده في مذكراته عن يوم ٣٠ يونيو

سنة ١٩٠٣ م ، بلندن .

انظر الاعمال الكاملة للامام ، نقلا عن مجلة : كوكب الشرق في ٨ سبتمبر سنة

١٩٣٢ م .

٢ — سورة البقرة اية (٣٤) .

٣ — سورة النساء الايات (١١٧ — ١١٩) .

واستثنى من هذه القوى ، قوة واحدة عبر عنها بـ "ابليس" وهي :
القوة التي لزمها الله بهذا العالم لزاما ، وهي التي تميل بالمستعد للكمال ،
او بالكمال الى النقص ، وتعارض مد الوجود لترده الى المدم ، او تقطع سبيل
البقاء ، وتمود بالموجود الى الفناء ، او التي تعارض في اتباع الحق ، وتصد عن
الخير ، وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافة ،
فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ، تلك القوة
التي ضللت اثارها قوما ، فزعموا ان في العالم لها يسى اله الشر ، وما هي باله ،
ولكنها محنة اله لا يعلم اسرار حكمته الا هو .

ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من
ذلك ، والعمدة على اطمئنان القلب ، وركون النفس الى ما ابصرت من الحق) " ١"
ويميل الشيخ محمد عبده الى تقرير التمثيل والتخييل في رفض ابليس السجود
لادم ، فيقول :

(وان ابناء ابليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع
روح الشر ، وابطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع ، والتخاصم
والتعمدى والافطاد في الارض .

ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه اقراده كالملائكة ، بل اعظم ،
او يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري) " ٢"

ثانيا : يقول الشيخ محمد عبده في تفسير الاية الثانية :
" وان يدعون الا شيطانا مريدا " ، الى اخر الاية ، (اي وما
يدعون الا شيطانا مريدا .

١ — تفسير المنار (١ : ٢٦٩) .

٢ — تفسير المنار (١ : ٢٨١) .

قالوا : الشيطان يطلق على العامر " ١ " الخبيث من الجن والانس ،

والمريد والمارد : المتعمى من الخيرات

اي انهم ما يدعون الا ذلك الشيطان المرید المطمون الذى هو داعية الباطل

والشر في نفس الانسان ، بما يوسوس في صدره ويمده ويمنيه ، كما بينه قوله

تعالى : " وقال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا " .

والنصيب المفروض : هو ما للشيطان في نفس كل احد من الاستعداد للشرك

الذى هو احد النجدين في قوله تعالى " وهديناهم النجدين " . " ٢ "

فهذا هو عون الشيطان على الانسان ، وهو ظم في الناس حتى المعصومين ،

ولكن اخبرنا الله تعالى انه ليس له سلطان على عباد المخلصين ، فاذا هو زين

لهم شيئا ، لا يغلبهم على عمله .

فما من انسان الا ويشعر من نفسه بوسوسة الشيطان ، فان لم يكن بالشرك

فبالمصيبة والاصرار عليها ، او الرياء في العبادة) . " ٣ "

ثالثا : يرد الشيخ محمد عبده الاحاديث الواردة في بعض صفات الشيطان الخلقية

==== ويمتبرها من قبيل التمثيل والتصوير .

يقول :

(وكل ما اوردوه في خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره وجثومه على

الصدر او القلب ، ونحو ذلك — فهو من التمثيل والتصوير) . " ٤ "

رابعا :

==== يرى الشيخ محمد عبده ان ابليس فرد من افراد الملائكة ، ولا فرق بين

الجن والملائكة .

١ — معناه الفاسد ، والمولى ، والشرس

٢ — سورة البلد اية (١٠) .

٣ — انظر الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٢٧٥) .

٤ — نفس المرجح (٥ : ٢٧٥) : / وانظر تفسير المنار (١ : ٤٣٨ ، ٤٣٩) .

يقول في تفسير قوله تعالى " فسجدوا الا ابليس " :
(اى سجدوا كلهم اجمعون الا ابليس ، وهو فرد من افراد الملائكة
كما يفهم من الاية ، وامثالها في القصة ...

وليس عندنا دليل على ان بين الملائكة والجن فصلا جوهريا يميز احدهما
عن الاخر ، وانما هو اختلاف اصناف عندما تختلف اوصاف ...

فالظاهر ان الجن صنف من الملائكة (١)

وفي هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، موضع لتعقيب :

فأولا :

====
ما ذكره بخصوص الملائكة ، وانه يصح تفسيرهم بالقوى الطبيعية ، وان
ابليس واحد من تلك القوى التي لزمها الله بهذا العالم لزا... الخ ،
كل هذا الذى ذكره غير مسلم ، فان هذا التاويل بعيد ، وفيه تعطيل
للنصوص الشرعية وفيه مخالفة لمنطوق الايات ومفهومها ...

وقد سبق الرد على هذا ، في النص الذى نقلته عن الاستاذ سليمان دنيا -
المشرف على الرسالة - عند الحديث عن رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ،
وما يقال في الرد عليه هناك ، يمكن ان يقال هنا .

ثانيا :

====
لكي يتم الرد على ما ادعاه الشيخ محمد عبده من ان الجن صنف من
الملائكة ، ولا يعلم ما تتوول اليه حقيقة لفظ " الجن " الا الله ، وانه
لا خرطوم للشيطان ولا خطم " ٢ " ولا منقار ، وانه لا يجثم على الصدر او القلب ،
وان كل ذلك ، ونحوه ، من التمثيل والتصوير ... ، لا بد ان اذكر رأى السلف
والخلف ، في : الجن ، وفي علاقتهم مع الناس وموقف الشيطان من الانسان ...

١ - تفسير المنار (١ : ٢٦٥) .

٢ - الخطام : الزمام . انظر مختار الصحاح للرازي ص ١٨١ .

لان رأى العلماء صريح وواضح في الجن واصنافهم ، وخلقهم ، وعلاقتهم
مع الناس ، كما يبدو ذلك من خلال الايات القرآنية الواردة بشأنهم ، والاحاديث
النبوية التي ذكرتهم .

واليك رأى السلف وجمهور العلماء في ذلك ، مفصلا :

(اولا) : وجوب الاعتقاد بوجودهم :

===== الجن او الجان او الجنة : مخلوقات من مخلوقات الله تعالى ،

ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المظهرة في كثير من المناسبات ،

التي اثبتت وجودهم ، وسميت بعض صفاتهم الخلقية ، وانهم مكلفون بتكاليف

شرعية ، وانهم نتيجة ذلك انقسموا الى اقسام متعددة

فهم نوع من الارواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الانسان ،

لكنهم مجردون عن المادة البشرية ، ومستترون عن حاسة البصر ، فلا يراهم الانسان

على الصورة التي خلقوا عليها ، ولهم قدرة على التشكل . " ١ "

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة القرآن والسنة ، فان

من الناس من رآهم " ٢ " ، وفيهم من رأى من رآهم ، وثبت ذلك عنده بالخبر

واليقين ، ومن الناس من كلمهم وكلموه ، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ،

ويتصرف فيهم ، وهذا يكون لصالحين وغير صالحين .

١ - انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ١٣٠ /

وانظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، لجنكة (٢ : ٢٣) .

٢ - لعنه يريد : من الناس من رأى الجن ، وهي مشكلة باشكل معينة ،

مثل ان يتشكلوا باشكل بعض الحيوانات ، كالحيية ،

والكلب

ولو ذكرت ما جرى لي ولا صحابي معهم لطال الخطاب ، وكذلك ما جرى

لغيرنا .

لكن الاعتماد في الاجوبة العلمية على ما يشترك الناس في علمه ، لا يكون

لما يختص بعلمه المجيب (١) .

فلذلك وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجن ، وانهم عالم من جملة الموالم

التي خلقها الله تعالى ، واثبتها القرآن ، والسنة .

وانهم عالم حقيقي ليس وهما من الاوهام التخيلية ، ولا ضريا من النفوس

البشرية الشريرة ، ولا من القوى الطبيعية

وانما الجن عالم خفي عن الانظار ، حقيقي الوجود له شأنه واحكامه . . .^٢

(ثانيا) : خلق الجن :

==== خلق الله الجن من ما^٣ج من نار .

قال تعالى مينا اصل المادة التي خلقوا منها : " وخلق الجن من ما^٣ج من

نار " .^٤

وقال تعالى : " والجان خلقناه من قبل من نار السموم " .^٥ " ٦ "

ففي هاتين الايتين بيان مادة الجن التي خلقهم الله تعالى ، وهي :

ما^٣ج من نار السموم .

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من ما^٣ج من نار ، وخلق ادم

مما وصف لكم " .^٦

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٢٣٢) ، (٢٤ : ٢٨٢) .

٢ - انظر كتاب الايمان بالملائكة عليهم السلام ، لعبد الله سراج الدين ص

٢٣٤ ، ٢٣٥ .

٣ - مرجع الشيء اذا اضطرب واختلط ، فالجن مخلوقون من مختلط من نار .

٤ - سورة الرحمن اية (١٥) .

٥ - السموم هو لهيب النار الخالص .

٦ - سورة الحجر اية (٢٧) .

٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ : ٢٣٢) .

وقد سبق الحديث عن اصل المادة التي خلق منها الانسان ، واصل المادة التي خلق الله منها الملائكة .
وبهذا نعلم ان الجن عالم مستقل غير عالم الانس ، والملائكة ، وهن تقوم الحجة على الشيخ محمد عبده ، وهذا هو الدليل على ان بين الملائكة والجن فصلا يميز احدهما عن الاخر .

(ثالثا) : صفاتهم الخلقية :

===== الجن ارواح قائمة في اجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بصور مختلفة .
فهم يأكلون ويشربون ، ويتناكحون ويتناسلون ، وينامون ويموتون ، كما هو الحال في عالم الانس .

وقد ورد في النصوص الشرعية ما يبين شيئا من تكوينهم الخلقى ،
ومعنى صفاتهم العقلية ، منها :-

١ : - ان لهم قدرة على التشكل بالاشكال الجسمية المرئية ، ومنها ظهور بعضهم على صفة مخلوق معين من مخلوقات الله ، كالحية مثلا او كالانسان . "١"
روى البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال :

وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحشو من الطعام ، فأخذته وقلت : لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : دعنى فانى محتاج ، وعلى عيال ولى حاجة شديدة ، فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

" يا ابا هريرة : ما فعل اسيرك البارحة ؟ "

فقلت : يا رسول الله : شكاً حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته ، وخليت

سبيله ،

فقال صلى الله عليه وسلم :

” اما انه قد كذبتك وسيعود ” .

قال ابو هريرة : فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه

سيعود .

فرصدته فجاء يحثون الطعام ، فأخذه ، فقلت : لارفعنك الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : دعني فاني محتاج وطي عيال ، لا اعود .

فرحمته ، فخليت سبيله ، فاصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

” يا ابا هريرة : ما فعل اسيرك البارحة ؟ ”

قلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ،

فقال صلى الله عليه وسلم : ” اما انه قد كذبتك وسيعود ” .

قال ابو هريرة : فرصدته الثالثة ، فجاء يحثون الطعام ، فأخذه ، فقلت :

لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا اخر ثلاث مرات ، انك تزعم

انك لا تعود ثم تعود .

فقال : دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها .

قلت : وما هي ؟

قال : اذا اريت الى فراشك فاقرأ اية الكرسي ” الله لا اله الا هو الحي القيوم ” .^١

حتى تختم الاية ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان — وفي

رواية ابن مردويه — لم يقربك احد من الجن صغير ولا كبير ، ذكر ولا انثى — حتى

تصبح .

فخليت سبيله ، فاصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

” ما فعل اسيرك البارحة ؟ ”

قلت : يا رسول الله : زعم انه يعلمني كلمات ينفمني الله بها ، فخليت سهيله .
قال صلى الله عليه وسلم : " وما هي " ؟
قلت : قال لي اذا اويت الى فراشك فاقرأ اية الكرسي حتى تختم الاية : " الله لا
اله الا هو الحي القيوم " ، وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا
يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا اى الصحابة احرص شي على الخير -
قال صلى الله عليه وسلم : " اما انه صدقك وهو كذوب . تعلم من تخاطب من
ثلاث ليال يا ابا هريرة ؟ :
قلت : لا .

قال : " ذاك شيطان " اى شيطان من الشياطين . " ١ " .
ومما ورد في ذلك ما رواه الامام مالك في " الموطأ " عن ابي السائب :
وهو يتضمن قصة فتى من الانصار حديث عهد بحرس ، رأى امراته واقفة بين الناس
فهياً الريح ليطعنها بسبب الخيرة .
قالت امراته : ادخل بيتك لترى ، فدخل بيته فاذا هو بحية على فراشه فركز
الريح فيها ، فاضطربت الحية في راس الريح ، فخر الفتى صريعاً .
فما نرى ايها كان اسرع موتاً : الفتى ام الحية
قال الراوى : فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
" ان بالمدينة جنا قد اسلموا فمن بدا لكم منهم فاذنوه ثلاثة ايام ، فان
عاد فاقتلوه ، فانه شيطان " . " ٢ " .

ب - ومن صفاتهم انهم يموتون ، ثم يحشرون يوم القيامة ويحاسبون على اعمالهم ،
ان خيراً فخر وان شراً فشر .

١ - رواه البخارى في صحيحه ، / وانظر رياض الصالحين ص ٥٠٠ .

٢ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها (٢ : ٣١ و ٣٢) .

اما ان الجن يموتون : ففي الصحيح من دعائه صلى الله عليه وسلم :

" اللهم اني اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني ، انت الحي

الذي لا تموت والجن والانس يموتون " .

وقال تعالى : " والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويكتمن " ١ " ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم اقد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين " . ٢ "

واما انهم يحشرون ويحاسبون فلقوله تعالى :

" ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم

من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مشواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم " . ٣ "

ولقوله تعالى :

" وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين " . ٤ "

ولقوله تعالى :

" ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من

الجنة والناس اجمعين " . ٥ "

ولا تكون العقوبة الا بعد ارتكاب مخالفة ناشئة عن تكليف ، ولا يكون التكليف

الا لمن كان مستوفيا لشروطه " ٦ "

١ — اي امن بالبعث ان وعد الله حق لا خلف فيه : انظر فتح القدير (٥ : ٢٠) .

٢ — سورة الاحقاف اية (١٨) .

٣ — سورة الانعام اية (١٢٨) .

٤ — سورة هود اية (١١٩) .

٥ — سورة السجدة اية (١٣) .

٦ — انظر كتاب العقيدة الاسلامية واسسها ، لعبد الرحمن حبنكة (٢ : ٣٠) .

ج - : ومن صفاتهم ان لهم قدرات كبيرة ، ومهارات صناعية ، وان منهم

المعارف " ١ " الاشداء ، الاقوياء .

قال تعالى : " قال يا ايها الملاء ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين .

قال عفريت امن الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه

لقوى امين " ٢ " .

وقال تعالى : " وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون " ٣ " .

وقال تعالى : " وسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر

ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا

نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محارب " ٥ " .

وتماثيل " ٦ " وجفان كالجواب " ٧ " وقدور راسيات " ٨ " اعلموا

١ - جمع عفريت وهو المارد القوى الداهية ، وقيل هو رئيس الجن .

انظر فتح القدير (٤ : ١٣٨) .

٢ - سورة النمل الايات (٣٨ - ٣٩) .

٣ - سور القمل اية (١٧) .

٤ - القطر : النحاس الذائب . قال الواحدى : قال المفسرون : اجريت

له عين الصفر ثلاثة ايام بلباليهن كجرى الماء ، وانما يعمل الناس اليوم

بما اعطي سليمان : انظر فتح القدير (٥ : ٣١٦) .

٥ - الابنية الرفيعة ، والقصور العالية . قال الضحك : هي المساجد

/ انظر : فتح القدير (٥ : ٣١٧) .

٦ - قيل هي صور الانبياء والملائكة والعلماء والصالحين ، وقيل هي تماثيل اشياء

وليست من الحيوان : فتح القدير (٥ : ٣١٧) .

٧ - الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة ، والجواب جمع جابية وهي حفيرة

كالخوض .

٨ - القدور جمع قدر وهو ما يطبخ فيه . قيل هي من النحاس الفارسي ،

وقيل : منحوتة من الصخر الصم ، ومعنى راسيات : ثابتات على الاثافي

لا تتحرك لعظمها .

ال داود شكرا وقليل من عباده الشكور " ٢ " ٠

وقال تعالى :

" فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب " ٢ " والشياطين كل

غواص وناء " ٣ " ٠

ومجموع تلك النصوص يفيد ان الله تعالى سخر لعبده سليمان : الجن

يقومون له باعمال البناء ، والنوص في البحار ، والاعمال الصناعية كالقدور والجفان ،

والاعمال الفنية كالصور والتماثيل . . . الى غير ذلك من اعمال كبيرة مختلفة . " ٤ " ٠

وقد كانت الصور والتماثيل جائزة زمن سيدنا سليمان ، ثم حرمت في الاسلام .

د : - ومن صفاتهم انهم يتناسلون ، ولهم ذرية .

قال تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من

الجن ففسق عن امر به افتتخذونه وذريته اولياء من دوني

وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا " ٥ " ٠

وقال تعالى :

" واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا

انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد

موسى مهديا لم يبين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا

داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجرمكم من عذاب اليم " ٦ " ٠

١ - سورة سبأ الايات (١٢ - ١٣) .

٢ - اصاب : اراد

٣ - سورة ص الايات (٣٦ - ٣٧) .

٤ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها (٢ : ٣٠) / وانظر العقائد

الاسلامية ص ١٣٤ .

٥ - سورة الكهف اية (٥٠) .

٦ - سورة الاحقاف الايات (٢٩ - ٣١) .

وقال تعالى :

" وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا " . " ١ "

وايات كثيرة تفيد ان لابلوس ذرية ، وان النفر الذين استمعوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جن " نصيحين " من ديار بكر قرب الشام ، او من
جن " نينوى " قرب الموصل .

وان منهم الرجال والنساء ، وانهم يتناكحون ويتناسلون .

وانهم طوائف و فرق متعددة منهم الكافرون ومنهم المؤمنون .

قال تعالى " وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ،

واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا " . " ٢ "

وانهم كانوا قبل البعثة يسترقون السمع من الملائكة وينقلونها الى قرنائهم من

الانس ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرس السماء ، وحيل بين الشياطين

وبين خبر السماء ، وارسلت الشهب على كل من يحاول استراق السمع . . .

قال تعالى :

" وانا لمننا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانا كنا

نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا " . " ٣ "

وانهم ياكلون ويشربون ولا نمرف كيفية ذلك ، وان الله قد جعل زادهم

العظام وروث البهائم والفحم . . .

فعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا تستنجوا بالروث ولا بالاعظام فانها زاد اخوانكم من الجن " . " ٤ "

١ — سورة الجن اية (٦) .

٢ — سورة الجن الايات (١٤ — ١٥) .

٣ — سورة الجن الايات (٢ — ٩) .

٤ — رواه مسلم والترمذي .

وعن ابن مسعود ايضا قال : لما قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه

وسلم قالوا :

يا رسول الله انه امك ان يستنجوا بعظم او روثة او حمة " ١ " ، فان الله

جعل لنا فيها رزقا .

فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك " ٢ " " ٣ "

ه : - ونؤمن ان اول شيطان جني هو ابليس ، كما قال فيه سبحانه وتعالى :

" الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه " ٤ " .

وهذا قول كثير من العلماء والعارفين ، وهو راي السلف رضي الله عنهم ،

ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

استدلوا على ان ابليس كان من الجن ، وليس من صنف الملائكة ، بوجوه

من الادلة :

الوجه الاول :

===== ان ابليس مخلوق من نار ، بينما الملائكة خلقهم الله من نور ،

كما سبق في حديث مسلم عن عائشة .

الوجه الثاني :

===== ان ابليس له ذرية ، اما الملائكة فلا ذرية لهم ، لانهم لا

يتصفون بالذكورة ولا بالانوثة . ولا شهوة لهم .

١ - الحمة : هي الفحم .

٢ - رواه ابو داود واسناده صحيح .

٣ - بتصريف عن مجموع الفتاوى (١١ : ٣٠٣ - ٣٠٦) ، (١٩ : ٣٢)

- (٣٨) .

وانظر : العقيدة الاسلامية واسمها (٢ : ٢٦ - ٣١) .

٤ - سورة الكهف اية (٥٠) .

الوجه الثالث :

=====
ان ابليس من الجن بنص القران ، والجن ليسوا ملائكة •

قال تعالى : " الا ابليس كان من الجن " •

وقال تعالى : " ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم اهل كانوا يعبدون الجن اكثرهم

بهم مؤمنون " • " ١ "

فدللت الاية على ان الجن صنف غير صنف الملائكة •

الوجه الرابع :

=====
ان الملائكة عليهم السلام لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما

يؤمرون وهم مسخرون للعبادة •

بينما ابليس اللعين خالف امره ، ولم يسجد لادم ولم يعمل ما امره

• الله تعالى به •

اما من قال من العلماء : ان ابليس من الملائكة ، فحجته هي :

لولم يكن ابليس ملكا لما تناوله السجود ^{في} الامر بالسجود لادم ، ولما كان تخلفه

عن السجود لادم يوجب طردا وابعدا •

وقد اجاب عن ذلك العلماء بان الاستثناء الوارد في الاية استثناء من

جنس المأمورين لا من جنس الملائكة •

ويكون التقدير : وان قلنا للملائكة ولا بليس اسجدوا لادم فاسجدوا الا

• ابليس •

وعليه يكون الاستثناء منقطعا •

وايضا : في قوله تعالى لابليس " ما منعك ان تسجد ان امرتك " ٢ " ، اشارة

١ - سورة سبأ الايات (٤٠ - ٤١) •

٢ - سورة الاعراف اية (١٢) •

الى ان هناك امرا موجهها اليه بالسجود .

ولنستمع الى تحقيق شيخ الاسلام ابن تيمية الذى ذكره في هذه المسألة :

يقول :-

(وقد هب المسلمين واليهود والنصارى ما اخبر الله به في القران وهي :

لم يكن في المأمورين بالسجود احد من الشياطين ، لكن ابوهم ابليس هو كان

مأمورا فامتنع وعصى .

وجعله بعض الناس من الملائكة لدخوله في الامر بالسجود .

ومعظمهم من الجن لان له قبيلة وذرية ولكونه خلق من نار ، والملائكة

خلقوا من نور .

والتحقيق : انه كان منهم باعتبار صورته ، وليس منهم باعتبار اصله ولا باعتبار

مثاله .

ولم يخرج من السجود لاهم احد من الملائكة لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا

غيرهما) . " ١ "

وحاصلة : ان ابليس من الجن ، وان الجن جنس من غير جنس الملائكة ،

وان وجودهم مما لا شك فيه ، وان قصة الملائكة وابليس ، والحوار الذى دار بينهم

ومين البارى عز وجل هي على الحقيقة لا على الخيال والتمثيل ،

وان تأويل الملائكة في القصة بقوى النفس الصالحة ، وابليس واحد من قوى

النفس الشريرة . . . غير صحيح ، ومخالف للنصوص الشرعية ، منطوقها ومفهومها ،

وفيه تحريف لكلام الله تعالى عن معانيه المرادة منه ، وصرف له عن الوجه المخبر

عنه الى وجه اخر غيره من غير وجود الداعي الى ذلك . . . والقران الكريم في معزل

عن هذا . . .

يقول الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(هذا القول ونحوه ليس من اقوال المسلمين واليهود والنصارى ،
وانما هو من اقوال الملاحدة المتفلسفة الذين يجمعون " الملائكة " قوى النفس
الصالحة " والشياطين " قوى النفس الخبيثة ، ويجمعون سجود الملائكة :
طاعة القوى للمقل وامتناع الشياطين : عصيان القوى الخبيثة للمقل ، ونحو
ذلك من المقالات التي يقولها اصحاب " رسائل اخوان الصفا " وامثالهم من
القرامطة الباطنية ، ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة ، والمتعمدة .
وقد يوجد نحو هذه الاقوال في اقوال المفسرين التي لا اسناد لها
يعتمد عليه) " ١ "

وابنما : - بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن ، ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية
خلق الله الجن وهياهم القبول العلم والمعرفة ، وجعل لهم ارادة
واختيارا ، تماما كما هو الحال مع الانس .
فهم مكلفون بالايمان ، ومأمورون بالعبادة ، ومنهين عن الكفر والمعصيان ،
والايات والاحاديث تفيد ذلك .
ومعلوم بالاضطرار انهم احياء عاقلون ، فاعطون بالارادة بل
بأمور منهيون . " ٢ "

قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " . " ٣ "

وقال تعالى : " يا معشر الجن والانس اني ارسل منكم قبصون عليكم اياتي

-
- ١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣٤٦) .
 - ٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١٩ : ١٠) .
 - ٣ - سورة الذاريات اية (٥٦) .

وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا

وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين " ١ " .

وقال تعالى متحد يا الثقليين " ٢ " : الانس والجن :-

" قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون

بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " ٣ " .

ومن الادلة على تبليغ الرسل الدعوة للجن قول الحق جل وعلا :

" واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا

فلما قضى ولوا الو، قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى

صدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، يا قومنا اجيبوا داعي الله

وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز

في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين " ٤ " .

فهذا القول منهم يدل على انهم قد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام ،

فلما بلغتهم دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا ما فيها من الحق المصدق

لما بين يديه ، راخوا يتميدون بشريعة الاسلام .

ومن المؤكد ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام ارسله الله الى الانس

والجن بالقران من عند الله تبارك وتعالى :

قال تعالى : " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا " ٥ " .

وقال تعالى : " قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجيبا

يهدى الى الرشده فامتابه ولن نشرك بربنا احدا " ٦ " .

١ — سورة الانعام اية (٣٠) .

٢ — الثقلان : مثنى ثقلى وهما : الجن والانس .

٣ — سورة الاسراء اية (٨٨) .

٤ — سورة الاحقاف الايات (٢٩ — ٣٢) .

٥ — سورة الفرقان اية (١) .

٦ — سورة الجن الايات (١ — ٢) .

وقال تعالى : " سنفرغ لكم " ١ " ايها الثقلان فباي الاء وكما تكذبان يا معشر الجن

والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا

لا تنفذون الا بسلطان فباي الاء وكما تكذبان " ٢ " .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رأهم .

انطلق صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه فمدين الى سوق عكاظ ،

وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليهم الشهب ، فرجعت

الشياطين الى قومهم فقالوا : ما لكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وارسلت علينا الشهب .

قالوا : ما ذلك الا من شي . حدث . فاضربوا مشارق الارض ومغاربها .

فمر نفر الذين اخذوا تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي

باصحابه صلاة الفجر .

فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر

السماء ، فرجعوا الى قومهم وقالوا : " يا قومنا انا سمعنا قرانا هجيا يهدى الى

الرشد فامنا به ولن نشرك بويل احدنا " .

فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : " قل اوحى الي انه

استمع نفر من الجن " ٣ " .

قال الحافظ البيهقي :-

(هذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما انما هو اول ما سمعت الجن

قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعظمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم

ولم يرههم ، ثم بعد ذلك اتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز

وجل .

١ — اي سنفرغ لِمطاسبتكم ، ومجازاتكم ان خيرا فخير وان شرا فشر .

٢ — سورة الرحمن الايات (٣١ — ٣٤) .

٣ — رواه الشيخان والنسائي والترمذي والبيهقي .

وهذا يشير الى ما رواه الامام احمد ومسلم وابو داود والترمذى عن علقمة

قال :-

قلت لابن مسعود : هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد ؟
قال : ما صحبه منا احد ، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة ، فقلنا :
اغتيال او استطير ، ما فعل به ؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم حتى اذا اصبحتنا او
كان في وجه الصبح ، فاذا نحن به يجيىء من حراء ، قال ، فذكروا له الذى
كانوا فيه ، فقال :

" اتاني داعي الجن " ، فاتيتهم ، فقرات عليهم ، ، فانطلق
فارانا اثرهم واثرت نيرانهم ، وسالوه الزاد فقال : " لحكم كل عظم ذكر اسم الله عليه
يقح في ايديكم او فرط يكون لحما ، وكل بخره او روثه علف لدوابكم " . " ١ " .
قال النووي :

لكن ابن مسعود اثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن ، فكان
ذلك مقدا على نفي ابن عباس .
وقد اشار الى ذلك مسلم فاخرج في صحيحه " رقم ٤٥٠ " في الصلاة ،
عقب حديث ابن عباس هذا حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال :

" اتاني داعي الجن فانطلقت معه فقرات عليه القران " . " ٢ " .

قال الحافظ ابن حجر :

ويمكن الجمع بالتعدد " ٣ " .

وقال ايضا : لا يلزم من عدم ذكر اجتماعهم بهم حين استمعوا ان لا يكون اجتمع بهم
بعد ذلك " ٤ " .

١ - بتصريف عن مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (١٩ : ٣٠ - ٤٩) .

وانظر العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ١٣٢ و ١٣٣ .

٢ - انظر جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير الجزرى (٢ : ٤١٤)
تحقيق عبد القادر الرازى ووط ، الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٣ - فتح البارى (٨ : ٦٧٠) رقم الحديث ٤٩٢١ .

٤ - فتح البارى (٨ : ٦٧٥) .

ويرى شيخ الاسلام ان ابن عباس رضي الله عنهما قد علم ما اهل عليه القران
من ذلك ، ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة وغيرهما من اتيان الجن اليه
ومخاطبته اياهم . وانه اخبره بذلك في القران وامره ان يخبر به وكان ذلك في
اول الامر لما حرست السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء ، وطلعت حرسا شديدا ،
وكان ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة

ومعد هذا اتوه وقرا عليهم القران .

وروى انه قرأ عليهم سورة الرحمن ، وصار كلط قال : " فأي الاء يكلم

تكذبان " ،

قالوا : ولا بشيء من الاك ربنا تكذب ولك الحمد . " ١ "

ويرى شيخ الاسلام ايضا ان الجن مأمورون بالاصول والفروع بحسبهم ،
فانهم ليسوا مماثلي الانس في الحد والحقيقة ، فلا يكون ما امروا به ، ونهوا عنه
مساويا لما على الانس في الحد لكنهم مشاركون الانس في جنس التكليف بالامر والنهي
والتعطيل والتحريم .

قال شيخ الاسلام : (وهذا ما لم اعلم فيه نزاعا بين المسلمين ، وكذلك

لم يتنازعا ان اهل الكفر والفسوق والمصيان منهم يستحقون لعذاب النار ، كما
يدخلها من الادميين . لكن تنازعا في اهل الايمان منهم :

فذهب الجمهور من اصحاب مالك والشافعي واحمد وابي يوسف ومحمد الى

انهم يدخلون الجنة .

وروى في حديث رواه الطبراني : انهم يكونون في وسط الجنة يراهم الانس

من حيث لا يرونهم .

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١٩ : ٣٨) .

وانظر : الرحيق المختوم ص ١٤٥ .

وزهب طائفة منهم ابو حنيفة — فيما نقل عنه — الى ان المطيعين منهم

يصيرون ترابا كالبهائم ويكون ثوابهم النجاة من النار •

وقد قال تعالى فيما اخبر عنهم :

” وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا “ • ” ١ “

قالوا : يعني مذاهب شتى : يهود ونصارى ، و مسلمون : شيعة ، وسنة • الخ

فاخبر تعالى ان منهم الصالحون ومنهم دون الصالحين ، فيكون :

• اما مطيعا في ذلك فيكون مؤمنا •

• واما عاصيا في ذلك فيكون كافرا •

ولا ينقسم مؤمن الى صالح والى غير صالح ، فان غير الصالح لا يعتقد

• صلاحه لترك الطاعات •

• فالصالح هو القائم بما وجب عليه •

• ودون الصالح لانه ان يكون عاصيا في بعض ما امر به ، وهو قسم غير الكافر •

• فان الكافر لا يوصف بمثل ذلك •

• وهذا يبين ان فيهم من يترك بعض الواجبات • والله اعلم • ” ٢ “

١ — سورة الجن اية (١١) •

٢ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٤ : ٢٣٣ — ٢٣٧) •

• و (١١ : ٣٠٦) ، (١٩ : ٣٨) • بتصريف •

علاقة الجن مع الانس وموقف الشيطان من الانسان :

=====

أ : — علاقة الجن مع الانس :

يذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجن مع الانس على احوال ثلاثة :

(الحال الاول) :

ان من الانس من يامر الجن بما امر الله تعالى به ، وما امر به

الرسول صلى الله عليه وسلم من عبادة الله وحده ، وطاعة نبيه .

فهذا من افضل اولياء الله تعالى . وهو في ذلك من خلفاء الرسول

ونوابه .

(الحال الثاني) :

ان من الانس من يستعمل الجن في امور مباحة له :

فهو كمن استعمل الانس في امور مباحة له .

وهذا كان يأمروهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرم عليهم ،

ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

وهذا اذا اقرانه من اولياء الله تعالى ، فغايته ان يكون في عموم

اولياء الله .

(الحال الثالث) :

ان من الانس من يستعمل الجن في امور نهى الله عنها ، ورسوله

صلى الله عليه وسلم .

كمن يستعملهم في الشرك ، او في قتل معصوم الدم ، او في المدوان

عليه بنهر القتل ، كتمريضه ، وانسائه العلم ، وغير ذلك مما يتحقق فيه الظلم .

فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان •

ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر • وان استعان بهم على المعاصي فهو

عاص : اما فاسق • واما مذنب غير فاسق • " ١ "

وان من الناس من يستعين بالجن فيما يظن انه من الكرامات • ولم يكن هذا

تام العلم بالشريعة •

مثل ان يستعين بهم على الحج • اول ان يحملوه الى عرفات ولا يحج الحج

الشرعي معتقدا انه بذلك قد اسقط فرضه •••

فهذا مفور قد مكروا به ••• ولم يفرق بين الكرامات الرحمانية • والتلبيسات

الشیطانية •••

وفرق كبير بين مخاريف الشيطان لا وليائه • وبين كرامات الرحمان لا وليائه • " ٢ "

ومن الجن من يدخل في بدن الانسي فيتكلم بلسانه • وياكل بيده • خاصة

فيمن ابتلوا بالصرع •••

وهو مذهب اهل السنة والجماعة • خلافا للمعتزلة • وعلى رأسهم الجبائي

وابي بكر الرازي وغيرهما • فهو لاه • يتكرون دخول الجن في بدن المصروع • ولم

ينكروا وجود الجن •

وابن تيمية رحمه الله يخطوهم في ذلك • ويذكر ما ذكره الاشعري في

مقالات اهل السنة والجماعة • يقولون :

ان الجن يدخل في بدن المصروع • كما قال تعالى : " الذين يأكلون

الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس " • " ٣ "

وينقل شيخ الاسلام عن عبد الله بن الامام احمد بن حنبل • انه سأل

والده • قال :

١ - بتصريف عن مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١١ : ٣٠٧ - ٣١٠) •

٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١١ : ٣١٠) •

٣ - سورة البقرة آية (٢٧٥) •

قلت لابي : ان قوما يزعمون ان الجنى لا يدخل في بدن الانسى .
فقال : يا بني يكذبون ، هوندا يتكلم على لسانه . " ١ " .
ويذكر شيخ الاسلام ان صرعهم للانسان قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما
يتفق للانسان مع الانس . " ٢ " .

ويجوز شيخ الاسلام تناكح الانسان والجن ، وما ينتج عن ذلك من انجاب

الولد .

يقول :

(وقد يتناكح الانسان والجن ويولد بينهما ولد ، وهذا كثير معروف ، وقد

ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه) . " ٣ " .

ولم يبين شيخ الاسلام كيف يتناكح الانسان والجن ، واين ؟ وما نوع الولد

والى اى الابوين ينتسب ؟ واسئلة كثيرة كنا نحب ان نعرف ما عند شيخ

الاسلام في هذا كله

فلعله ذكره في موضع اخر ، اولعله اكتفى بذكره شفاها للمصطفين من

تلاميذه ، واصحابه ، اذ يريدوا ان شيخ الاسلام لم يرد ان يذكر هذا مخافة ان

لا يصدق الناس ، اولان مثل هذا انما يختص بعلمه المجيب - كما قال -

يويد هذا قوله : (ولو ذكرت ما جرى لي واصحابي معهم لطلال الخطاب ،

وكذلك ما جرى لغيرنا ، لكن الاعتماد في الاجوبة العلمية على ما يشترك الناس في

علمه لا يكون لما يختص بعلمه المجيب) . " ٤ " .

ويرى شيخ الاسلام ان الواجب على المسلم ان يستعمل فيهم ما يستعمله في

الانس من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الله كما شرع الله ورسوله ،

وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وان يعاملهم اذا اعدوا بما يعامل به

١ - انظر مجموع الفتاوى (١٢ : - ١٩)

٢ - انظر مجموع الفتاوى (١٩ : - ٣٩) .

٣ - انظر نفس المصدر ونفس الصفحة .

٤ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٤ : - ٢٣٢) ، (٢٤ : - ٢٨٢) .

المعتدى ، فيدفع صولهم بما يدفع صول الانسان ، وهو اخبارهم بحكم الله ورسوله
واقامة الحجة عليهم تماما كما يفعل بالانس * ١ *

وانه وان يكن لخبثاء الجن بعض التأثير الجسدي والعقلي على احد من
الناس ، فانما يؤثرون على من يستكين باوهامه وتخيلاته لسلطانهم من ذكر او انثى ،
او يتعرض لتقبل مسهم ، وتخبطاتهم باستعانة بهم ، والتماسه النفع منهم ،
او بغفلته عن ذكر الله ، وتلاوة القران ، او ببعده عن الايراد الماثورة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، او الاستعانة بالله منهم * ٢ *

قال الله تعالى : " ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون " * ٣ *

قال الامام الشوكاني رحمه الله :

(اى ان شأن الذين يتقون الله وحالهم هو التذكر لما امر الله به من
الاستعانة به ، والالتجاء اليه عن ان يمسه طائف من الشيطان وان كان يسيرا * ٤ *

وقال الامام ابن القيم رحمه الله :

(فلم يجعل الله لمدوه سلطانا على عباده المؤمنين ، فانهم في حوزة
وكلاءته ، وحفظه وتحت كنفه ، وان اغتال عدوه احد هم كما يفتال اللص الرجل
الفاجر ، فهذا لا بد منه ، لان العبد قد يلبى بالغفلة والشهوة والغضب ، ودخوله
على العباد من هذه الابواب الثلاثة ، ولو احترز العبد ما احترز ، فلا بد له من
غفلة ولا بد له من شهوة ولا بد له من غضب .

-
- ١ - انظر مجموع الفتاوى (١٩ : ٣٩ - ٤٢) بتصرف .
 - ٢ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها (٢ : ٣٢) / وانظر العقائد
الاسلامية ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
 - ٣ - سورة الاعراف اية (٢٠١) .
 - ٤ - فتح القدير ، للشوكاني (٢ : ٢٧٩) .

وقد كان ادم ابو البشر صلى الله عليه وسلم من احلم الخلق ، وارجحهم
عقلا ، واثبتهم ، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى اوقعه فيما اوقعه فيه ،
فما الظن بفراشة الحطم " ١ " ، ومن عقله في جنب عقل ابيه كتفلة " ٢ " في بحر ؟
ولكن عدو الله لا يخلص الى المؤمن الا غيلة على غرة وغفلة ، فيوقعه ،
ويظن انه لا يستقبل منه عز وجل بعمدا ، وان تلك الواقعة قد اجتاحتها واهلكتها .
وفضل الله تعالى ورحمته وغفوه ومغفرته وراء ذلك كله (" ٣ ")

ب : - موقف الشيطان من الانسان :

=====

وفيه وجهان :

(الاول) : عداوة الشيطان للانسان .

(الثاني) : التحصن والتحرز من وساوس الشيطان .

واتحدث عن الوجه الاول بشيء من التفصيل :

اقول : ارشد الشارح الحكيم الى عداوة الشيطان للانسان ، وذكر الانسان

بأصل هذه العداوة يوم خلق الله ادم - ابو الانسان - وامر ابليس ان يسجد

له ، فأبى .

١ - كناية عن خفة الحطم وعدم رجحانه .

٢ - هي البضقة الصغيرة التي لا تعدوا موضع الدرهم .

٣ - انظر كتاب : الواابل الصيب ورافع الكلم الطيب . او الكلم الطيب والعمل

الصالح ، لشمس الدين ابي عبد الله بن قيم الجوزية . حققه وعلق عليه :

الشيخ اسماعيل بن محمد الانصاري ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث

العلمية في المملكة العربية السعودية ، الرياض ص ١٩ ، ٢٠ .

كما نبه الشارع الى ضرورة ان يقف الانسان منه موقف المعادى الحذر ،
والمحارب المنيد .

وفي ذلك قال الله تعالى :

" ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا " . " ١ "

وبين الشارع ان للشيطان وجوها متعددة ، وطرقا ملتوية ، يستعملها

في خداع الانسان حتى يوقعه في الهلاك .

ومن هذه الطرق والاساليب :-

١ - التزيين :

قال تعالى : " وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتمدون " . " ٢ "

وقال تعالى : " تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم

فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم " . " ٣ "

٢ - التخويف :

قال تعالى : " انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه ، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم

مؤمنين " . " ٤ "

٣ - ان الشيطان يسعى ليحزن الانسان :

قال تعالى : " انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا " . " ٥ "

١ - سورة فاطر اية (٦) .

٢ - سورة النمل اية (٢٤) ، وسورة العنكبوت اية (٢٨) .

٣ - سورة النحل اية (٦٣) .

٤ - سورة آل عمران اية (١٧٥) .

٥ - سورة المجادلة اية (١٠) .

- ٤ - ان الشيطان يسمى في بث العداوة والبغضاء بين الناس .
قال تعالى : " انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في
الخمير والميسر ويصدكم عن ذكر الله " . " ١ "
- ٥ - ان الشيطان يعد الانسان بالفقر ، وقد يعدهم بوعود يعود فيها النفع
عليهم .
قال تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء " . " ٢ "
- وقال تعالى : " يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غورا " . " ٣ "
- ٦ - ان الشيطان يقذف في القلب الاباطيل ، والظنون .
روى البخارى ومسلم عن علي بن الحسين رضي الله عنهما ان " صفة نوح
النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنها ، قالت :
كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتته ازوره ليلا ، فحدثته ثم
قمت لانقلب " ٤ " . فقام معي ، ليقلبنى وكان مسكنا في دار اسامة بن زيد " ٥ "
فمرجلان من الانصار ، فلما راي النبي صلى الله عليه وسلم اسرطا . فقال :
النبي صلى الله عليه وسلم : " على رسلكم انها صفة بنت حبي " .
فقالا : سبحان الله يا رسول الله .
فقال صلى الله عليه وسلم : " ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم ،
واني خشيت ان يقذف في قلوبكم شرا - او قال - شيئا " . " ٦ "

-
- ١ - سورة المائدة اية (٩١) .
٢ - سورة البقرة اية (٢٦٨) .
٣ - سورة النساء اية (١٢٠) .
٤ - اي لاعود ، او لا رجح .
٥ - اسامة بن زيد بن ثابت ، كان يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم الحب
بن الحب .
٦ - متفق عليه ، والشر هو الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم السوء ،
فبادر عليه الصلاة والسلام باعلامها قبل ان يقذف الشيطان في قلوبهم
امرا قد يهلكان به .

٧ - الموسوسة :

وهي شرها " ١ " ، وقد نهى المولى عز وجل عباده الى ان خطر

الموسوسة الشيطانية كبير وشرها مستطير . . .

قال تعالى : " فوسوس لهما الشيطان ليهدى لهما ما وورى عنهما من سؤاتهما " . " ٢ "

وقال تعالى : " فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد

وطلك لا يهلكي " . " ٣ "

وقال تعالى : " ان الذين ارتدوا على اديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى

الشيطان سول لهم " . " ٤ "

وثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم :

" ياتي الشيطان احدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟

حتى يقول : من خلق ربك ؟ فاذا ابلفه فليستمذ بالله ، ولينته " . " ٥ "

وروى ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم :

" لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال ، هذا : خلق الله الخلسق ،

فمن خلق الله ؟

فاذا قالوا ذلك ، فقولوا : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن

له كفوا احد . ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستمذ بالله من الشيطان الرجيم " .

١ - انظر كتاب : دواء القلوب والابدان من وساوس الشيطان ، تأليف الشيخ

عبد الله بن محمد الخليلي ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٦٣ ، ٦٤ .

٢ - سورة الاعراف اية (٢٠) .

٣ - سورة طه اية (١٢٠) .

٤ - سورة محمد اية (٢٥) .

٥ - متفق عليه .

ومن شر الشيطان ، ووسوسته انه يحاول ان يكفر المسلم ، فان عجز
عن ذلك حاول ان يوقمه في الكبائر فان عجز عن ذلك حاول ان يوقمه في الصغائر ،
فان عجز عن ذلك حاول ان يشغله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب عليها ،
فيكون قد شغله عما يثاب عليه من فضائل الاعمال . فان عجز عن ذلك حاول ان
يشغله بالعمل المفضول عن العمل الافضل ، فان عجز عن ذلك كله حاول ان
يشوش عليه فكره ، وعكز عليه صفاه " ١ " نمود بالله من شره .
وتفصيل الوجه الثاني كما يلي :-

اقول : ان المولى عز وجل خلق كل شي بقدره تقديرا . فهو لم يخلق الخلق
عجا من غير حكمة او تقدير

قال تعالى : " افحسبتم انما خلقناكم عجا وانكم الينا لا ترجعون " . " ٢ " .
وان ابليس اللعين واحد من مخلوقات الله تعالى ، خلقه الله لحكمة " .
وجعله اساس البلاء ، ومصدر الفتن في عالم الانس وعالم الجن ، وسلطه على

١ - انظر كتاب الايمان بالملائكة عليهم السلام ص ٢٦٤ ، يتصرف .

٢ - سورة المؤمنون اية (١١٥) .

٣ - ذكر الامام ابن القيم رحمه الله تعالى حكما متعددة ، مشربة على خلق ابليس
منها :-

أ - ان تظهر قدرة الرب التعالى على خلق المتضادات المتقابلات

فخلق هذه الذات التي هي اخيخ الذوات وسبب كل شرفي مقابلة ذات

جبريل عليه السلام التي هي من اشرف الذوات واطهرها وازكاها ، وهي

سبب كل خير ، كما خلق الليل والنهار ، والدا ، والدواء ، والموت والحياة

. . . . وغير ذلك مما يدل على كمال قدرته .

ب - ظهور اسماء الله القهرية مثل القهار ، الشديد ، المنتقم . . .

الخ ، فهذه الاسماء والافعال لا بد من وجود ما تتعلق به ، ولو كان الجن

والانس على طبيعة الملائكة لم يظهر اثر هذه الاسماء .

ج - ظهور اثار اسمائه المضمنة لحلمه وعفوه ، ومغفرته وستره =

كثير من الناس ، ممن فسدت فطرهم ، واران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
والشيطان مشرئ بالمؤمنين ينتظر فرصته ليوسوس في صدورهم ، مالم يتحرزوا منه ،
ويتحصنوا بحمى الله للخلاص منه ووراء ذلك فضل الله تعالى ورحمته ، وغوه
ومغفرته ١

وان المرء في حيز الله ، وحفظه ما دام قد اخذ بالاسباب ، والفانعة من
وساوس الشيطان ، وضره
وقد ارشد الشارح الحكيم الى جملة من الاسباب التي تعين المسلم في التغلب
على الشيطان ، والتخلص من شره

= وعنه لمن شاء من خلقه ، فلولا خلق الاسباب المغيضة الى ظهور اثار هذه
الاسماء لتمطلت هذه الحكم والفوائد .
د :- ظهور اثار اسماء الحكمة والخبرة ، فهو يميز من يشاء ويذل من يشاء ،
وهو اعلم حيث يجمل رسالته ، واعلم بمن يصلح لها ، ويشكر له جميل
صنعه .
ه :- اظهار ، واستخراج المهوديات المتنوعة التي لولا خلق ابليس لما
ظهرت : كالجهاد ، والموالاتة ، والمجبة في الله ، والكره في الله ،
والتوبة ، والاتعاظ والحذر من الفحور وغير ذلك كثير .
/ انظر : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، مطبعة
انصار السنة المحمدية سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م (٢ : ١٩٤) .
١ - انظر : الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ، لزيد بن عبد العزيز بن
فياض ، المطبعة اليوسفية ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ،
ص ٣٥٦ .

ومن هذه الاسباب :-

١ :- التعوذ بالله تعالى من نزع الشيطان " ١ "

قال تعالى : " واما ينزعك من الشيطان نزع فاستمذ بالله " ٢ "

وهناك سور في القران ، تسمى بالمعوذات ، وهي :-

سورة الاخلاص : قال تعالى :

" قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد " .

وسورة الفلق : قال تعالى :

" قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر

النفاثات في العقاد ومن شر حاسد اذا حسد " .

وسورة الناس : قال تعالى :

" قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي

يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " .

وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، امته وجوها من التعوذ حسب مقتضى

الحالات التي هم فيها :

١ - فمن ذلك : التعوذ حالة الغضب :

ففي صحيح البخارى عن سليمان بن صود قال :

كنت جالما مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان : فاحدهما احمر

وجهه وانتفخت اوداجه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

" اني لاعلم كلمة لوقالها ذهب عنه ما يجد ، لوقال : اعوذ بالله من

الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد " . . . الحديث .

١ - النزع : الوسوسة وان قلت . / انظر الوابل الصيب لابن القيم ص ٢٤٠ .

٢ - سورة الاعراف اية (٢٠٠) ، وسورة فصلت اية (٣٦) .

٢ - ومن ذلك التعمود عند رؤيا يكرهها :

كما في الصحيحين عن ابي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم :

" اذا رأى احدكم في مقامه الرؤيا يوجبها فانما هي من الله ، فليحمد
الله عليها ، ويتحدث بها ، واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من
الشیطان ، فليستعذ بالله من شرها ، ولا يذكرها لاحد ، فانها
لا تضره " .

وفي رواية لمسلم : " فليصق عن يساره ثلاثا ، وليتعمود بالله من

الشیطان ، ويتحول عن جنبه الذي كان عليه " .

٣ - ومن ذلك التعمود عند دخول الخلا :

روى ابو داود وابن ماجه بسند حسن عن زيد بن ارقم قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم :

" ان هذه الحشوش " ١ " محتضرة " ٢ " فاذا اتى احدكم الخلا فليقل :

اعوذ بالله من الخبث والخبائث " ٣ " .

ب : - التسمية بالله .

• التسمية بالله وقاية من شر الشيطان ، لانه لا يضر مع اسم الله شيء .

وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين وجوها من التسمية ، منها :

١ - التسمية على الطعام ، وعند دخول الرجل بيته وخرجه منه .

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ،

١ - الحشوش ، امكنة الخلا .

٢ - محتضرة : اى يخضرها الشياطين .

٣ - قيل : تذكران الشياطين واناثهم .

يقول : " اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ،

قال الشيطان : لا مهيت لكم ولا عشاء .

واذا دخل ولم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : ادركتم المهيت .

واذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان : ادركتم المهيت والعشاء .

وفي السنن عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" من قال اذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا

حول ولا قوة الا بالله ، فيقال له حسبك : هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه

الشيطان "

٢ - التسمية عند الجماع .

ففي الصحيحين ، والمسند عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال :

" لو ان احدكم اذا اراد ان يأتي اهله فقال : بسم الله . اللهم

جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا .

فانه ان قضي بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان ابدا " . " ١ "

٣ - التسمية على آنية الطعام ، وعند اغلاق الباب ، واطفاء المصباح . . . ونحو

ذلك .

كما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم :

١ - اي لم يضره باضلاله واغوائه ببركة التسمية ، فلا يكون للشيطان عليه سلطان ،

ولا يلزم منه عصمة الولد من الذنب ، بل انه يكون حسن العاقبة ، ويموت

على الايمان باذن الله .

" اذا استجنح الليل فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ ، فاذا
ذهب ساعة من العشاء فخلوهم ، واغلق بابك واذكر اسم الله ، فان الشيطان لا
يفتح بابا مغلقا ، وأطفأ مصباحك واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك " ١ " واذكر
اسم الله ، وخمراناءك " ٢ " واذكر اسم الله " .

ج - : قراءة آية الكرسي :

وقد تقدم حديث أبي هريرة في الصحيح ان من قرأ آية الكرسي اذا اوى
الى فراشه ، فانه لن يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقوه شيطان حتى يصبح .
وكذلك قراءة خواتيم سورة البقرة ، من قوله تعالى : " لله ما في السموات
وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم اوتخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله على كل شيء قدير " الى اخر السورة " ٣ "

روى الترمذى عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
" ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي ظم ، انزل منه
آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال ، فيقرنها شيطان " .
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ان الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه
سورة البقرة " . " ٤ "

وانما ورد الخبر في الحث على سور وايات مخصوصة فلانه ابلغ في زجر الشيطان
وطرده ، وهو يجزى عن بقية القران - والله اعلم -
ومعلوم ان القران اذا تلاه المؤمن نزلت الملائكة ، وحفته ، فلا يقى مجال
لوجود الشياطين ، والافضل ان يقرأ القران جهرا .

١ - اى شد عليه رباطه .

٢ - اى ضع عليه غطاء .

٣ - سورة البقرة الايات (٢٨٤ - ٢٨٦) .

٤ - رواه مسلم ، وانظر رياض الصالحين ، ص ٤٩٩ .

د - الاكثار من ذكر الله .

ذكر الله سبب في نزول الملائكة حول الذاكرين ، وهذا يعني خروج

الشیطان من مجالسهم .

والاكثار من الذكر مطلوب ، ومحمود ، وهو من صفات المسلمين

المؤمنين ، قال تعالى : " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة

واجرا عظيما " . ١

روى البيهقي وابن ابي الدنيا وابو يعلى عن انس مرفوعا : " ان الشيطان

واضح خطمه " ٢ على قلب ابن ادم ، فان ذكر الله خنس ، وان نسي التغم

قلبه ، فذلك الوسواس الخناس .

قال قتادة : ان الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب ، في الانسان ، فاذا غفل

ابن ادم عن ذكر الله ، وسوس له ، واذا ذكر العبد به خنس . ٣

قال مقاتل : ان الشيطان في صورة خنزير يجرى من ابن ادم يجرى الدم في

عرقه . ٤

واخرج ابو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الحق جل وعلا

" الوسواس الخناس " ، قال :

مثل الشيطان كمثل ابن عرس ، واضح فمه على فم القلب ، فيوسوس اليه

فان ذكر الله خنس ، وان سكت عاد اليه ، فهو الوسواس الخناس . ٥

١ - سورة الاحزاب اية (٣٥) .

٢ - الحظم : هو الفم .

٣ - انظر فتح القدير للشوكاني (٥ : ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

٤ - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٥ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

وفي ختام الكلام عن صلة الشيطان بالانسان ، والكيفية العملية في مقاومة الشيطان ، ورد كيده ، اثبت كلمة جامعة للاستاذ الشيخ " سيد سابق " عن هذا الموضوع ، فقد قال في كتابه " العقائد الاسلامية " " ١ " :

(ان الله لم يذكر في كتابه - القران - النفس الامارة بالسوء ، ولا

النفس اللوامة ، الا مرة واحدة .

ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه في صور متنوعة .

وما فعل ذلك الا ليكون الانسان منه على حذر كي لا يضل ، ولا يشقى ، ذلك ان عمل الشيطان في النفس مثل عمل الميكروب في الجسم ، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهجم عليه محاولا القضاء عليه ، والفتك به ، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب الا اذا كانت له حصانة ، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب وتقضي على ضراوته .

وكذلك الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومريضها ، فيهجم عليها محاولا افسادها ، ولا خلاص منه الا اذا اصحت النفس من امراضها ، التي هي المداخل الحقيقية للشيطان ووسوسته .

وامراض النفس التي هي مداخل الشيطان هي نقائص الانسان التي يجب

عليه ان يتخلص منها ، حتى لا يكون للشيطان سبيل عليه .

وهذه الامراض او هذه النقائص هي على سبيل المثال لا الحصر :

الضعف ، واليأس ، والقنوط ، والبطر ، والفرج ، والمعجب ، والفخر ،
والظلم ، والبغي ، والجحود ، والكنود ، والعجلة ، والطيش ، والسفه ،
والبخل ، والشح ، والحرص ، والجدل ، والمرء ، والشك ، والريسة ،
والجهل ، والغفلة ، والدد في الخصومة ، والفجور ، والخور ، والادعاء ،
الكاذب ، والهلع ، والجزع ، والضع ، والتمرد ، والعناد ، والطفيان ،
وتجاوز الحدود ، وحب المال ، والافتتان بالدنيا ، ...

فهذه هي امراض النفس ، وسواسيتها يتدخل الشيطان ليدمر حياة الانسان ، وليزحزحه عن فضائله الحمليا .

ولا سبيل الى طرده ، ومعالجته وسوسته واغرائه الا اذا عولجت النفس اولا عن طريق المجاهدة حتى تبرا من هذه الامراض جميعها ، وتعود اليها الصحة والمافية وتكون نفسا مطمئنة بالحق والخير .

وحيثذا يكون ذكر الله ، والاستمادة به من الشيطان والتبرؤ من الحول

والقوة ، واسلام الوجه لقيم السموات والارض مما يقوى من معنويات الانسان ،

ويرفع من مستواه الروحي ، حتى يصل الانسان الى درجة يخاف فيها الشيطان

من ان يلقاه في طريق من الطرق ، كما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

روى البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : " ١ "

" يا ابن الخطاب : ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجع " .

ان سعادة الانسان لا تتم الا بكبح جماح النفس ، والتغلب على هواها ،

باتباع وحي الله ، ومطابقة نزقات الشيطان .

قال تعالى :

" قل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يضربون " . " ٢ "

وقال تعالى :

" قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي

يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " (" ٣ "

الى هنا . ونأتي الى ختام كلام السلف ، وجمهور العلماء ، في

عالم الجن .

١ - الفج هو الطريق .

٢ - سورة المؤمنون اية (٩٨) .

٣ - سورة الناس .

وقد تبين من خلاله بطلان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في الجن ،
وان ابليس هو القوة الشريرة التي امتثنتك من القوى الروحانية التي بها قوام الارض
ونظامها .

وايضا : قوله ان الجن صنف من الملائكة .
واخيرا : فساد قوله ان خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره ، وجشومه على الصدر
او القلب ، ورد مورد التمثيل والتصوير حتى يفهمه الناس ، وليس شي من ذلك
على الحقيقة

وكان الناس لم يفهموا قول ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر رضي الله

عنهما ، قالت :

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندي ليلا فخرت عليه ، فجاء ،

فراى ما اصنع ، فقال : " مالك يا عائشة ؟ اغرت ؟ " .

قلت : ومالي لا يفارملي عليك ؟

فقال : " اقد جاءك شيطانك " ؟

قلت : يا رسول الله : او معي شيطان ؟

قال : " نعم " .

قلت : ومع كل انسان شيطان ؟

قال : " نعم " .

قلت : ومعك يا رسول الله ؟

قال : " نعم ، ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم " . " ١ "

٢ - موقفه من اليوم الاخير *

=====

وهذا يعني الحديث بصورة اجمالية عن موقف الشيخ محمد عبده من الحقائق الخفية التي اخبر الله بها في القران ، واخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما يكون بعد الموت من :
فتنة القبر ، وسوءه ، وعذابه ، ونعيمه ، وما يتعلق بالساعة واشراطها ، ويوم القيامة واحداثه من البعث والحشر ، والمرض والحساب ، والجزاء ، والصراف ، والحوض والشفاعة ، والجنة والنار وما اعد الله لاهلها جميعا .
واليك بيان موقف الشيخ محمد عبده من هذه الامور :-

لقد حدد الشيخ محمد عبده موقفه من عالم الآخرة بقوله :-
(والآخره عالم اخر ، غير عالم الدنيا التي نحن فيها ، فنوء من بما ورد به الخبر في وصفه ، ولا نبحث عن حقائقه ما دام الوارد غير محال) * ١ *
وتكلم الشيخ محمد عبده عن اهمية هذا الركن من اركان الدين ، وذكر

اهتمام القران به ، والحكمة من ذلك .
يقول الشيخ محمد عبده عند تفسير قوله تعالى " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر " * ٢ *
(ابتداء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر لانه اساس كل بر ، ويبدأ كل خير ، ولا يكون الايمان اصلا للبر ، الا اذا كان متمكنا من النفس بالبرهان ،
صحبها بالخضوع والانطمان ...

يذكر القران الايمان باليوم الآخر كثيرا ، وانما المراد به ماله من هذه الاثار التي شرحها في آيات كثيرة ومن اجمعها هذه الآية التي نفسرها الان ...

١ - تفسير جرير عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣١٢) .

٢ - سورة البقرة ، آية (١٧٧) .

والايمان باليوم الاخر يعلم الانسان ان له حياة في عالم غيبي اعلى من هذا العالم ، فلا يرض لنفسه ان يكون سعيه وعمله لاجل خدمة هذا الجسد خاصة لان ذلك يجعله لا يبالي الا بالامور البهيمية ، ولا يرض لنفسه بالاولى ان يكون عبدا ذليلا لبشر مثله ، للقب ديني اودنيوي ، وقد اعزه الله بالايمان) . " ١ "

اقول : ان الشيخ محمد عبده يؤمن بعالم الاخرة وحسبما ورد الخبر في وصفه من غير ان يتزيد على الوارد بشيء من عند نفسه ، ما دام العقل يجوز الخبر ولا يحيله .

وسنرى فيما بعد كيف يؤول الشيخ محمد عبده ، بعض ما ورد به الخبر كالميزان ، والكوثر . . .

اما ما ذكره الشيخ محمد عبده : من اهتمام القران باليوم الاخر ، والحكمة من ذلك ، فلا غبار عليه .

ذلك ان القران الكريم حافظ بذكر اليوم الاخر ، مهتم بتقريره في مواضع كثيرة ، ومنه اليه في كل مناسبة ، ومؤكد وقومه بشتى الاساليب العربية . " ٢ "

ومن مظاهر الاهتمام بهذا الركن العظيم في القران الكريم انه كثيرا ما ربط الايمان به بالايمان بالله عز وجل . كما ذكر الشيخ محمد عبده في تفسير الاية السابقة .

يوكد هذا قول الحق جل وعلا : " ان الذين امنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " . " ٣ "

وقوله تعالى : " ذلك يوعد به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر " . " ٤ "

١ - تفسير المنار (٢ : ١١٣) .

٢ - انظر : كتاب الايمان ، للدكتور محمد نعيم ياسين ص ٥٨ .

٣ - سورة البقرة اية (٦٢) .

٤ - سورة البقرة اية (٢٣٢) .

وقوله تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر " ، " ١ " .
وقوله تعالى : " اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في الارض مفسدين " . " ٢ " .
وامثال هذه الايات كثير جدا في كتاب الله عزوجل .
ومن مظاهره ايضا : اكتار القران من ذكر اليوم الاخر بأساليب كثيرة ،
ومتنوعة ، وكثرة ما سماه الله من الاسماء التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه
من الاهوال .

ومن اسمائه ما يلي :- " ٣ " .

- ١ - يوم البعث : لان فيه بعث الجسد للحياة الاخرية .
 - ٢ - يوم الخروج : لان فيه خروج الناس من قبورهم الى الحياة الاخرى .
 - ٣ - يوم القيامة : لان فيه قيام الناس الى الحساب .
 - ٤ - يوم الدين : لان فيه اداة الخلاق ومجازاتهم على اعمالهم .
 - ٥ - يوم الفصل : لان فيه الفصل في الحقوق بالمدل .
 - ٦ - يوم الحشر :
لان فيه جمع الخلاق وحشرهم في موقف الحساب .
 - ٧ - يوم الجمع :
 - ٨ - يوم الحساب : لان فيه محاسبة الناس على اعمالهم في الدنيا .
 - ٩ - يوم الوعيد : لان فيه تحقيق وعيد الله للكافرين .
 - ١٠ - يوم الحسرة : لان فيه حسرة الكافرين والعصاة على ما فرطوا في جنب الله .
 - ١١ - يوم الخلود : لان الحياة في هذا اليوم وفيما بعده حياة خالدة ابدية .
- الى غير ذلك من اسماء ملاحظ فيها الاضافة الى الدار التي هي الطرف

-
- ١ - سورة التوبة اية (٢٩) .
 - ٢ - سورة العنكبوت اية (٣٦) .
 - ٣ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها ، للاستاذ عبد الرحمن حبنكة ، ج ٢ ،

المكاني القارين لهذه الحياة المادية الثانية • ومنها الاسماء التالية :

١٢ - الدار الاخرة : لان هذه الحياة الثانية حياة للمادة فيها اجبار ، وهي

تتطلب مكانا اطلق عليه اسم الدار •

١٣ - دارالقران : لان فيها الاستقرار الدائم بلا فناء •

١٤ - دارالخلد : لان الاقامة فيها اقامة ابدية خالدة •

كما وردت اسماء اخرى ملاحظ فيها معنى تحقق وقوع ذلك اليوم ، او

ملاحظ فيها ما يجرى فيه من احداث جسيمة ، فقد وردت تسمية

القيامة بما يلي :

١٥ - الواقعة : اخذا من تحقق وقوعها •

١٦ - الحاقة : لانها تحق كل مجادل ومخاصم في دين الله بالباطل ،

اى تغلبه •

١٧ - القارعة : اخذا مما يجرى فيها من قوع شديد ، والقوع هو الضرب

الذى يحصل فيه صوت شديد ، ولانها تقوع القلوب

بأهوالها •

١٨ - الغاشية : اخذا مما يجرى فيها من غشيان عام للثقلين ، الانس

والجن •

١٩ - الطامة : اصل الطامة الداهية ، التي تغلب وتفوق ما سواها من

الدواهي ، من قولهم طم الشيء اذا غمره • وسميت

القيامة بالطامة لما فيها من الشمول والغلبة •

٢٠ - الازفة : اى القرينة ، وسميت القيامة بذلك اشعارا بقربها بالنسبة

الى عمر الدنيا القصير ، واعلان قربها يتضمن تحقق

وقوعها لزوما •

الى غير ذلك من اسماء كالصاخة ، ويوم الفتح ، ويوم التلاق ، ويوم

التغابن ...

واما حكمة ذلك الاهتمام البالغ بهذا الركن العظيم ، فمنها :-

- ١ : ان الايمان باليوم الاخر له اثر كبير في حياة الفرد ، وفي توجيهه وانضباطه ، وسلوكه ، وفي التزامه بالعمل الصالح ، وتقوى الله عز وجل .
 - ٢ : ان الايمان باليوم الاخر يعلم الانسان ان لا يخلد الى الحياة الدنيا ، وما فيها من لذات . فيكون التذكير باليوم الاخر مخففا من الغلو والاسراف في حب الدنيا ، ومتاعها ، يشير الى هذا قوله تعالى :
- " ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا

قليل " ١٠٠ " ١

يقول الشيخ محمد عبده :

(وهذا الايمان ركن من اركان الارتقاء البشرى . لانه يبعث البشر

الى الاستعداد لذلك العالم الاوسع الاكمل ، ويعرفهم بأن وجودهم اكمل وابقى مما

يتوهمون) . " ٢ " ٢

والى هنا نقف ، لنأتي الى بيان موقف الشيخ محمد عبده من الحقائق

الغيبية مما يكون ^{بعده} الموت ، ونرى الى اى حد التزم الشيخ محمد عبده ، بكلامه

السابق ، وقوله في مواضع اخرى سبقت : انه على طريقة السلف في وجوب التسليم

والتفويض فيما يتعلق بعالم الآخرة .

١ - سورة التوبة آية (٣٨) .

٢ - تفسير المنار (٢ : ٣١٩) .

(الامر الاول) : ما يتعلق بالموت :

=====

وهذا ينضوى تحته :

أ : فتنة القبر ، وسؤاله •

ب : عذاب القبر ، ونعيمه •

لم اجد للشيخ محمد عبده ، كلاما تحدث فيه عن فتنة القبر وسؤاله ،

او عن عذاب القبر ونعيمه •

وما وجدته له مما يتعلق بالموت هو :

" ١ "

١ - جاء في تفسير جزء عم ، عند قول الحق سبحانه وتعالى : " ثم امانه فأقبره "

ما نصه :

" فلم يتركه كما يميت سائر الحيوان ، لكنه تفضل عليه " فأقبره " اى

جعل له قبرا يوارى فيه ، تكريما له ، ولم يجعل في غريزة الانسان ان يترك ميته

مطروحا على الارض تأكله السباع (٠٠٠) • " ٢ "

٢ - جاء في تفسير المنار عند قول الحق سبحانه وتعالى : " كيف تكفرون بالله

وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون " • " ٣ " ، ما نصه :

(قوله تعالى " ثم يميتكم " بقبض الروح الحي الذي به نظام حياتكم هذه ،

فتنحل ابدانكم بفارقته اياها ، وتعود الى اصلها الميت ، وتنبت في طبقات الارض

وتدغم في عوالمها ، حتى ينعدم هذا الوجود الخاص بها) • " ٤ "

١ - سورة عبس اية (٢١) •

٢ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٢٨) •

٣ - سورة البقرة اية (٢٩) •

٤ - تفسير المنار (١ : ٢٤٥) •

٣ - وجاء في تفسير المنار عند قول الحق سبحانه وتعالى : " ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون " ، ما نصه :
(لا بد ان تكون هذه الحياة حياة خاصة غير التي يعتقدونها جميع الملبين
في جميع الموتى ، من بقاء ارواحهم بعد مفارقة اشباحهم ، ولذلك ذهب بعض
الناس الى ان حياة الشهداء ، تتعلق بهذه الاجساد وان فنيت واحتوت ،
او اكلتها السباع ، او الحيتان .
وقالوا : انها حياة لا نعرفها .
ونحن نقول مثلهم : اننا لا نعرفها . ونزيد : اننا لا نثبت ما لا نعرف .
وقال بعض العلماء الباحثين في الروح : ان الروح انما تقوم بجسم
لطيف " اثيري " في صورة هذا الجسم المركب الذي يكون عليه الانسان في الدنيا ،
وواسطة ذلك الجسم الاثيري تجول الروح في هذا الجسم المادى ، فاذا مات
المؤ ، وخرجت روحه فانما تخرج بالجسم الاثيري وتبقى معه . وهو جسم لا
يتغير ولا يتبدل ولا يتحلل .
واما هذا الجسم المحسوس ، فانه يتبدل ويتحلل في كل بضعة سنين .
ويقرب هذا القول من مذهب المالكية . وقد روى عن الامام مالك رحمه
الله تعالى انه قال :
" ان الروح صورة كالجسد " اى لها صورة ، وبها الصورة الا عرض
وجوهر هذا العرض هو الذى سماه العلماء بالاثير .
واذا كان من خواص الاثير النفوذ في الاجسام اللطيفة والكثيفة ، كما
يقولون ، حتى انه هو الذى ينقل النور من الشمس الى طبقة الهواء ، فلا مانع ان
تتعلق به الروح المطلقة في الدار الاخرة ثم هو يحل بها جسما اخر تنعم به وترزق ،
سواء كان جسم طير او غيره .
وقد قال تعالى في اية اخرى :
" بل احياء عند ربهم يرزقون " . " ١ "

وهذا القول يقرب معنى الآية من العلم . (١)
واني اوافق الشيخ محمد عبده فيما قال في النص الاول ، واخالفه في
الثاني ، والثالث :

اما الثاني : فلانه يقول بانعدام جميع البدن بعد خروج الروح منه ،
من غير استثناء .

خلافا لما عليه السلف وجمهور المسلمين وهو : ان الجسم يعلو كله الا

"عجب الذنب" . (٢)

كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" كل ابن ادم يعلو الا عجب الذنب ، منه خلق ابن ادم ومنه يركب "

وايضا : فان الشيخ محمد عبده لم يستثن اجساد الانبياء ، التي حرم

الله على الارض ان تاكل اجسادهم ، كما روى في كثير من الاحاديث .

وقيل ان الشهداء كذلك .

قال شارح الطحاوية : (واما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدة من

دفن منهم كما هو لم يتغير . فيحتمل بقاءه كذلك في تربته الى يوم محشره ،

ويحتمل انه يعلو مع طول العدة والله اعلم . وكأنه - والله اعلم - كلما كانت

الشهادة اكمل ، والشهيد افضل كان بقاء جسده اطول) . (٤)

١ - تفسير المنار (٢ : ٣٩) .

٢ - عظم لطيف في اصل الصلْب ، وهو راس العصص ، وهو مكان راس الذنب
من ذوات الاربع .

قاله الحافظ ابن حجر في " الفتح " / انظر شرح العقيدة الطحاوية ،

ص ٤٦٣ ، الهامش .

٣ - رواه البخاري ومسلم زه واحمد بن حنبل واللفظ له في بعض رواياته

(٢ : ٤٢٨) وزاد " ويأكله التراب " بعد قوله " يعلو " .

وسنده جيد .

انظر شرح الطحاوية ص ٤٦٣ ، الهامش : وانظر مجموع الفتاوى (١٧ : ٢٤٩)

٤ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .

واما الثالث ، فـلأنه لم يلزم مذهب السلف في الوقوف عند حدود هذا النص وعدم الخوض فيه ، والاكتفاء بما ثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وراح يخوض في مهمم لا يجوز ان يبحث عنه ، ويؤوله بما سماه تقريب معنى الآية من العلم ،

ان الشيخ محمد عبده في الوقت الذي يجوز فيه تعلق روح الشهيد بالاشير ، فيمتزجا حتى يكونا معا كائنا واحدا تنعم به الروح وترتق ...
نراه يخالف مذهب السلف ، وهو :

ان الله تعالى جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما اصيب اخوانكم يعني يوم احد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوى الى قناديل مظلة في ظل العرش " . " ١ " يقول شارح الطحاوية :

(فانهم لما بذلوا ابدانهم لله عز وجل ، حتى اتلفها اعداؤه فيه ، اغضبهم منها في البرزخ ابدانا خيرا منها ، تكون فيها الى يوم القيامة ، ويكون تنعمها بواسطة تلك الابدان اكمل من تنعم الارواح المجردة عنها ، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير ، او كطير ، ونسمة الشهيد في جوف طير . وتأمل لفظ الحديثين : ففي الموطأ ان كعب بن مالك كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه " . " ٢ ")

-
- ١ - الحديث رواه الامام احمد ، وابوداود ، والحديث صحيح اخرجه الحاكم وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . / انظر المشكاة (٣٨٥٣) .
 - ٢ - الحديث صحيح ، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤ .

فقوله " نسمة المؤمن " تم الشهيد وغيره ، ثم خص الشهيد بأن قال :
" هي في جوف طير خضر " .

ومعلوم انها اذا كانت في جوف طير صدق عليها انها طير ، فتدخل في

عموم الحديث الاخر بهذا الاعتبار .

فخصيهم من النعيم في البرزخ اكمل من نصيب غيرهم من الذين ماتوا على

فراشهم ، وان كان الميت اعلى درجة من كثير منهم ، فلمهم نعم يختص بهم

لا يشاركهم فيه من هو دونهم والله اعلم (" ١ ")

وموقف السلف من الروح لا يلتقي مع ما ذكره الشيخ محمد عبده ، وجوزه ،

لان مذهب السلف هو ان النفس او الروح ، جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم

المحسوس ، وهو جسم نوراني طوى خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ،

ويجری فيها جريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في

الفحم ، وهذا ما يدل عليه الكتاب ، والسنة ، واجماع الصحابة ، وادلة

العقل . " ٢ ")

وحاصله : ان السلف رضوان الله عليهم ، يقفون عند حدود الايمان

بحياة الشهداء بعد موتهم في سبيل الله تعالى ، عنده سبحانه وتعالى . ولا

يكفون انفسهم البحث عن كيفية حياة الشهداء ، ورزقهم ، لان الله سبحانه

قادر على احيائهم ، ورزقهم بطريقة لا نعرفها ، لانها من خصائص صنعته سبحانه

، واراوته

وان الشيخ محمد عبده مخطى ، فيما ذهب الى تجويزه ، وعدم نفعه ،

يشهد لهذا تلميذه الشيخ رشيد رضا الذي ادرك هذا الخطأ ، فعقب على

كلام الشيخ محمد عبده بقوله :

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .

٢ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٣ .

(والمعتمد عند الاستاذ الامام في هذه الحياة هو انها حياة غيبية ،
تمتاز بها ارواح الشهداء على سائر ارواح الناس ، بها يرزقون وينعمون ، ولكننا
لا نعرف حقيقتها ، ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها ، ولا نبحت عن ذلك لانه
من عالم الغيب الذي نؤمن به ، ونفوض الامر فيه الى الله تعالى) • " ١ "
ومما يخفف عن الشيخ محمد عبده ان يقال : كأنما اقتدى بالامام مالك
رحمه الله ، وان كان قد زاد عليه خطوة ، ولكن زيادته تعتبر كأنها شرح للكلام
مالك •

ثم انه في الوقت ذاته ، يرويه عن بعض العلماء ، ولا ينسبه لنفسه ،
غير انه يبدو انه راض عنه •

وايضا مما يخفف عنه انه اراد به ان يقرب الاموالى من يحبون ان
يفهموا الامور فهما مطابقا لمعلومهم •

والشيخ محمد عبده اذا كان قد حقق لهم هذه الرغبة ، فانه لم ينقض
بها شيئا مما قاله السلف • - والله اعلم - •

والسلف رضي الله عنهم ، وكذا من تابعهم من علماء الكلام ، حين
يتحدثون عن القبر ، وهو اول منزل من منازل الآخرة ، فانهم يتحدثون عن
شيئين : " ٢ "

(الاول) : عن فتنة القبر ، وسؤال الملكين •

(الثاني) : عن عذاب القبر ، ونعيمه •

وسأتحدث عنهما بإيجاز ، لبيان ثبوتهما عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ،
ووقوعهما بعد الموت حقيقة ، لصدق المخبر صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما لم اجد
للشيخ محمد عبده كلاما فيه ، - فيما اعلم - وارتدت ذكرهما وفاق بحق البحث •

١ - تفسير المنار (٢ : ٣٩) •

٢ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : (٣ : ١٤٥) •

(٤ : ٢٥٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠) • (٢٤ : ٣٧٩) •

أ : فتنة القبر ، وسؤال الملكين :

=====

مذهب السلف في هذا ان الروح بعد مفارقتها الجسد ، تبقى مدركة
تسمع من يزورها ، وتعرفه ، وترد عليه السلام ، . . .

قال شيخ الاسلام :-

(وقد استفاضت الاخبار بمعرفة الميت بحال اهله ، واصحابه في
الدنيا ، وان ذلك يعرض عليه ، وانه يرى ويدرى ما يفعل عنده ، ويسر بما
كان حسنا ، ويتألم بما كان قبيحا) . " ١ "

والثابت عند السلف في هذا ، هو ما تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في ثبوته .

فقد تواترت الاخبار في ثبوت فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، فيجب الايمان

بذلك ، واعتقاد ثبوته من غير بحث في كفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على ذلك ،

لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرح لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه

قد يأتي بما تحارفيه العقول . " ٢ "

والمراد من سؤال القبر عند السلف " السؤال في البزخ " وهو الفترة بين

الموت والبعث . سواء كان السؤال في القبر او غيره . وانما اضيف السؤال الى القبر

بالنظر الى ان اكثر الموتى من الناس يقهرون . " ٣ "

١ - مجموع الفتاوى (٢٤ : ٣٠٣) .

٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٠ ، وما بعدها .

٣ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها (٢ : ٣٤٢) .

ومشوى الميت الاخير ، هو في الحقيقة قبره .

وفيما يلي اهم ما وردت به الاحاديث الصحيحة ، والايات في ذلك :

١- : اخرج الشيخان عن اسماء " ١ " رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من شيء لم يكن آريته فلا آريته في مقامي حتى الجنة والنار . فوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا من فتنة المسيح الدجال . يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فاما المؤمن او المؤمن فيقول : هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا ، هو محمد ، ثلاثا ، فيقال : نعم صالحا قد علمنا ان كنت لمؤمننا به .
واما المنافق او المرتاب ، فيقول : لا ادري ، سمعت الناس يقولون شيئا قتلته " . " ٢ "

٢- : اخرج الشيخان عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان العبد اذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم ، قال : يأتيه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فاما المؤمن فيقول : اشهد انه عبد الله ورسوله ، قال : فيقال له : انظر الى شعدك من النار ، قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم : فيراها جميعا .
قال قتادة : (وذكر لنا انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ، ويملا عليه خفرا الى يوم يبعثون .
واما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا ادري ، كنت اقول ما يقول الناس . فيقال : لا ادريت ، ولا تليت . ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين " . " ٣ "

١ - اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها ، وهي التي تسمى ب " ذات النطاقين " .
٢ - صحيح البخاري مع فتح الباري (١ : ١٤٨) .
٣ - متفق عليه . انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ : ٢٠٣) ،
وصحيح البخاري مع فتح الباري (٣ : ١٨٤) .

٣- : واخرج الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت " قال : نزلت في عذاب القبر . فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله عز وجل " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " ، " ١ " ، " ٣ " .

وهناك احاديث كثيرة ، ووردت في كتب الصحاح ثبتت فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، رويت بطرق مختلفة عن جمع من الصحابة كعلي ، وزيد ، وابن عباس ، والبراء بن عازب ، وانس ، وابي ايوب الانصاري ، وجابر ، وعائشة وابي سعيد رضي الله عنهم اجمعين ، كلمها في سؤال القبر وفتنته ، وذلك خبر متواتر لا يقبل الريب او الاحتمال .

-
- ١ - سورة ابراهيم آية (٢٧) .
 - ٢ - متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، / انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ : ٢٠٤) .
 - وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣ : ١٨١) .

ب : عذاب القبر ونعيمه :

=====

بعد فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، يوم من السلف ، وجمهور العلماء
بعذاب القبر ، ونعيمه ، على الوجه الذي أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ثبوت عذاب
القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا ، " ١ "

وقد تظاهرت على هذا الامر دلائل من الكتاب ، والسنة ، " ٢ " منها :
١ - قال الله تعالى : " وحق بال فرعون سوء العذاب ، والنار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون
اشد العذاب " . " ٣ "

فقد توعد الله سبحانه وتعالى ال فرعون بنوعين من العذاب : " ٤ "

(الاول) : اشار اليه بقوله : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " .

(الثاني) : اشار اليه بقوله : " ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب "

وقد عطف الثاني على الاول ، والمطف يقتضي التفاضل بين المعطوف

والمعطوف عليه ، فلا بد ان يكون المشار اليه اولا غير الثاني .

فاذا كان العذاب الثاني بعد قيام الساعة ، فلا بد ان يكون الاول

واقعا بهم ما بين الموت ، والنشور وهو عذاب القبر .

١ - يعني من كان مكلفا . فغير المكلفين من الاطفال والمجانين خارجون عن هذا

الحكم .

٢ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٢٦٣ - ٢٦٥ ،

٢٨٥ - ٣٠٠) .

٣ - سورة غافر الايات (٤٥ - ٤٦) .

٤ - انظر شرح الطحاوية ص ٤٥٠ ، / وكتاب الايمان للدكتور محمد نعيم

ص ٦٩ / وكبرى اليقينيات الكونية ص ٣١٤ / والمواقف وشرحه للايجي

(٢ : ٤٥٢) .

٢ - قال الله تعالى : "ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن اياته تستكبرون " ١ " .

فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في هذه الاية : " هذا

عند الموت ،

والبسط : الضرب ، يضربون وجوههم وادبارهم " .

قال الحافظ بن حجر : (ويشهد له قوله تعالى في سورة القتال :

" فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم " ٢ " .

ثم قال : (وهذا وان كان قبل الدفن ، فهو من جملة العذاب الواقع

قبل يوم القيامة ، وانما اضيف العذاب الى القبر لكون معظمه يقع فيه) . " ٣ "

٣ - قال تعالى : " ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم

كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون " ٤ " .

فهذه الاية تدل على نفي التسوية بين المطيعين والعاصين في الحياة

والممات ، وفترة الممات هي فترة " البرزخ " .

واذا لم يكن الفرقان مستويين في الممات فلا بد ان يكون مجترحوا السيئات

مُعذِّبين ، والذين امنوا وعملوا الصالحات مُنعمين . وهذا هو نعيم القبر وعذابه .

١ - سورة الانعام اية (٩٣) .

٢ - سورة محمد اية ((٢٧)) .

٣ - انظر فتح الباري ، لابن حجر (٣ : ١٨٠) .

٤ - سورة الجاثية اية (٢١) .

٥ - انظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، (٢ : ٣٣٩) .

واما الاحاديث الصحيحة المثبتة لعذاب القبر ، والموضحة لمضمون الايات

السابقة فكثيرة ، تبلغ حد التواتر ، اذكر منها :

١ - روى مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بخله له ونحن معه ، اذ حادت به فكادت تلقيه ، واذا اقبر ستة او خمسة او اربعة ، فقال صلى الله عليه وسلم : من يعرف اصحاب هذه الاقبر ؟ فقال رجل : انا . قال : فمتى مات هو ؟ قال : ماتوا في الاشراك . فقال : ان هذه الامة تبتلى في قبورها ، فلولا ان لا تدافنوا " ١ " لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمح منه . ثم اقبل علينا بوجهه فقال : نعوذ بالله من عذاب النار . فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال . " ٢ "

٢ - اخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : " انهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير . ثم قال : بلى ، اما احدهما فكان يسمى بالنعيمة ، واما الاخر فكان لا يستتر " ٣ " من بوله . " ٤ "

١ - اى لا يدفن الحي الميت ، خوفا عليه من عذاب القبر

٢ - صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ : ٢٠٢) .

٣ - اى لا يجعل بينه وبين بوله سترة ، ولا يتحفظ منه ، وفي رواية

" يستنزه " . وفي رواية اخرى " يستبرى " والمعنى واحد .

٤ - متفق عليه ، واللفظ للبخارى ،

انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٣ : ١٨٨) .

وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما : " ثم اخذ عودا رطباً فكسره
بأشنتين ، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييسا ."
٣ - اخبر البخارى ومسلم عن نافع عن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : " ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالخداة والعشي ،
ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة ، وان كان من اهل النار فمن اهل النار
فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " . " ١ "
يقول الامام النووى رحمه الله :

(اعلم ان مذهب اهل السنة اثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت
عليه دلائل الكتاب والسنة قال تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " ،
وتظاهرت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة
مراصبها في موطن كثيرة . ولا يمنع في العقل ان يعيد الله تعالى الحياة في
جزء من الجسد ، ويعذبه ، وانما لم يمنعه العقل وورد به الشرع ، وجب
قبوله واعتقاده) . " ٢ "
اما كيفية عذاب القبر ، ونعيمه ، وكيفية عودة الروح الى الميت ، فلا
يجوز فيه الزيادة على ما ورد به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
قال شارح الطحاوية :

(ولا نتكلم في كيفيته . ان ليس للمقل وقوف على كيفيته ، لكونه
لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد
يأتي بما تحارفيه العقول ، فان عود الروح الى الجسد ليس على الوجه المصمود

١ - ولا شك ان في هذا تنقيها لمن هو من اهل الجنة ، وتعذيبا لمن هو من
اهل النار .

انظر : فتح البارى (٣ : ١١٨) / صحيح مسلم بشرح النووى

(١٧ : ٢٠٠) .

٢ - شرح النووى على صحيح مسلم (١٧ : ٢٠٠) .

في الدنيا ، بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا (. . .)
وذكر انواع تعلق الروح بالبدن ، واثبت عذاب القبر للنفس والبدن
جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة ، حيث تنعم النفوس وتعذب مفردة عن البدن ،
ومتصلة به ، ثم قال :-

(واعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق
للعذاب ناله نصيب منه ، قبر او لم يقبر ، اكلته السباع ، او احترق حتى
صار رمادا ونسف في الهواء ، او صلب او غرق في البحر ، . . . وصل الى روحه
ومدنه من العذاب ما يصل الى القبور .

وما ورد من اجلاسه واختلاف اضلاعه ، ونحو ذلك ، فيجب ان يفهم عن
الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه مالا
يحتمله ، ولا يقصر به عن مراده ، وما قصده من الهدى والبيان ، فكم حصل
باهمال ذلك والمدول عنه من الضلال ، والمدول عن الصواب مالا يعلمه الا الله) .

وقد ذكر سيد سابق مثل هذا ، ونقل عن الامام ابن القيم رحمه الله قوله :

(مذهب سلف الامة واثمتها ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب ،
وان ذلك يحصل لروحه ، ومدنه ، وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة ،
وانها تتصل بالبدن احيانا ، ويحصل له معها النعيم او العذاب ، ثم اذا كان
يوم القيامة الكبرى ، اعيدت الارواح الى الاجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ،
ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى) . " ٢ "

الى هنا ينتهي عرضي لمذهب السلف وجمهور المسلمين في فتنة القبر وسوءه .

وعذابه ونعيمه .

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥١ / وانظر العقائد الاسلامية لسيد سابق

(٢٣٠) .

٢ - العقائد الاسلامية لسيد سابق ص (٢٣٠) ، وقد حاولت الرجوع الى مصدر
هذا النص في كتب ابن القيم ، فلم يتيسر لي العثور عليه ، خاصة وان ناقله

لم يبين مصدره .

اذا علمنا هذا ، فاني اقول :
ان من ينكر هذا من اصله ، فقد انكر معلوما من الدين
بالضرورة ، وخالف بذلك ما اتفق عليه اهل السنة والجماعة ، وخالف ايضا
امرا اجمعت عليه الاديان السماوية الثلاثة * ١ *
ويكون بذلك الانكار قد سلك مسلكا يؤدي به الى الكفر - والعيان بالله -
لما ثبت من الدليل القاطع فيه .
اما اقراره من حيث الاصل ، والايمان به مجملا مع الارتياح في ان
ذلك انما يكون بالروح فقط ، او بها مع الجسم . . . فهذا ما نفوض الامر فيه
الى الله تعالى ،

لكننا نقول له :-

لا حاجة الى الارتياح ، بل لا حاجة الى التأويل ،
فقد ثبت ذلك بالدلة القاطعة ، من القرآن الكريم ، والسنة ، وتواترت
الاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ثبوت ذلك ، فيجب اعتقاد ثبوت
والايمان به * ٢ *

١ - انظر كتاب : منهاج المسلم ، لابي بكر جابر الجزائري ، الطبعة

الثامنة ص ٤٥ .

٢ - انظر : شرح المواقف (٢ : ٤٥) .

(الامر الثاني) : ما يتعلق بالساعة واشراطها :

=====

اما الساعة فهي الزمن المحدد في علم الله ، لانها نظام هذه الحياة

الاولى ، قال تعالى :

" ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى " . " ١ " .

وقال تعالى : " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وسزوا لله الواحد القهار " . " ٢ " .

ومذهب الشيخ محمد عبده في الساعة هو : وجوب الايمان بها ، وانها

آتية لا ريب فيها ، وان موعدها لا يعلمه الا الله ، اخفاه على الناس كلهم بما

فيهم ، رسله وانبيائه ، وانه ليس لاحد من سبيل الى معرفة ما بقي من عمر الدنيا .

قال تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها " . " ٣ " .

قال الشيخ محمد عبده :

(كان اهل المناد من قريش ، يعنتون رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالسؤال عن وقت الساعة ، ومتى يقيمها الله ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم

يردد في نفسه ما يقولون ويتمنى لو امكن الجواب عما يسألون كما هو شأن الحريص على

الهداية ، الجاهد في الاقتناع ، فنهاه الله عن تمنى ما لا يرجى ، وجاء

بالنهي في صورة الاستفهام الانكاري حيث قال : " فيم انت من ذكرها " . " ٤ " .

اي ما هذه الذكرى الدائمة ؟ لست في شيء منها ، اي لا حاجة

لك بها ، فان علم ذلك ينتهي الى ربك ، وانما شأنك ان تنذر من يخافها ،

فتنبه من غفلته حتى يستعد لما يلقاه يومها .

١ - سورة طه اية (١٥) .

٢ - سورة ابراهيم اية (٤٨) .

٣ - سورة النازعات اية (٤٢) .

٤ - سورة النازعات اية (٤٣) .

اما هؤلاء المعاندون فدعهم فانهم لا يعقلون ، ولا تشتغل بالجواب عما يسألون ، فاذا جاءت الساعة ذهبت صورة كل زمان مضى من اذهانهم ، سواء طال او قصر ، فحسبوا انهم لم يلبثوا من يوم خلقوا الى يوم يموتوا الا عشية او ضحاها ، اى طرفا من اطراف النهار لا نهارا كاملا ، وذلك لمفاجأتها لهم على غير استعداد لتوقعها) . " ١ "

اما مذهبه في علاماتها ، فليس له في ذلك كلام - فيما اعلم - الا في مسألة ظهور المسيح الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام .
واليك ما ذكره الشيخ رشيد رضا في هذا المقام ، نقلا عن شيخه : " ٢ "
قال الله تعالى : " ان قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومظهرك من الذين كفروا " . " ٣ "

قال رشيد : وهالك ما قاله الاستاذ الامام في ذلك :
(يقول بعض المفسرين : " اني متوفيك " اى منومك .
ومضمهم : اني قابضك من الارض بسوحك وجسدك .
" ورافعك الي " : بيان لهذا التوفي .
ومضمهم : اني انجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك ،
واميتك حتف انك ، ثم ارفعك الي .
وهذا قول الجمهور . " ٤ "

١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٢٢ ، ٣٢٣) .

٢ - انظر تفسير المنار ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ص ٣١٦ ،

٣١٧ .

٣ - سورة ال عمران اية (٥٥) .

٤ - هذا ليس راي الجمهور ، وسأرد عليه بعد قليل بانن الله .

وللعلماء ههنا طريقان :

(احدهما) : وهي المشهورة انه رفع حيا بجسده وروحه ، وانه سينزل في اخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ، ولهم في حياته الثانية على الارض كلام طويل معروف .

واجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القران في تقديم الرفع على التوفي

بأن الواو لا تفيد ترتيبا .

(والطريقة الثانية) : ان الاية على ظاهرها وان التوفي على معناه الظاهر

المتبادر وهو الامامة العادية ، وان الرفع يكون بعده ، وهو رفع

الروح ، ولا بدع في اطلاق الخطاب على شخص واردة روحه ، فان

الروح هي حقيقة الانسان ، والجسد ،

والجسد كالثوب المستعار ، فانه يزيد وينقص ويتغير ، والانسان

انسان لان روحه هي ، هي .

ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في اخر الزمان تخريجان :

(احدهما) :

انه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي ، لأنه من أمور الغيب ،

والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعي ، لان المطلوب فيها

هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر . " ١ "

(وثانيهما) :

تأويل نزوله وحكمه في الارض بخليفة روحه ، وسر رسالته على الناس ،

وهو ما غلب في تعليقه من الامر بالرحمة ، والمحبة ، والسلم ، والاخذ

بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها ، والتمسك بقشورها دون لبابها ،

وهو حكمها ، وما شرعت لاجله .

فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ، ولكنه جاءهم بما
يزحزحهم عن الجمود على ظواهر الفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على قبحها ،
والمراد منها ، ويأمرهم بمراعاته ، وما يجذبهم الى عالم الارواح بتحرى كمال الاداب .

اما عن مسألة : ظهور المسيح الدجال ، فيقول الشيخ رشيد رضا ،
ان الشيخ محمد عبده سئل عن المسيح الدجال ، وقتل عيسى له ، فقال :
(ان الدجال رمز للخرافات والدجل ، والقبائح التي تنزل بتقرير الشريعة
على وجهها والاخذ بأسرارها وحكمها ، وان القران اعظم هاد الى هذه الحكم
والاسرار . وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك ، فلا حاجة للبشر الى
اصلاح وراء الرجوع الى ذلك) . ٢٠

مناقشة كلام الشيخ محمد عبده ، وتقرير مذهب السلف .

=====

- استطيع ان احدد ثلاث نقاط ، فيما قاله الشيخ محمد عبده ، فيها
مجال لتعقيب ، وسأعقب على كل واحدة منها ، وهي :-
- ١ - دعوى ان رأى الجمهور ان عيسى يموت في هذه الارض ، ثم ترفع روحه ...
 - ٢ - قوله - نقلا عن اصحاب الراى الثاني - (تاويل نزول عيسى وحكمه في الارض
بخلبة روحه وسررسالته على الناس) ... الخ .
 - ٣ - تفسيره الدجال ، بظهور البدع ، وانتشار الخرافات ...

١ - وايضا : سيأتي الرد على هذا .

٢ - تفسير المنار (٣ : ٣١٧ ، ٣١٨) .

اقول :-

(اولاً) : يرد على دعوى رأى الجمهور ان عيسى عليه السلام يتوفى في هذه الارض ثم ترفع روحه ٠٠٠ الخ ، بأن رأى الجمهور على خلاف

ذلك . كما ورد على لسان ائمة التفسير ، واهل الحديث .

قد اختلف المفسرون في قوله تعالى : " اني متوفيك ورافعك الي " .

فقال قتادة : هذا من المقدم والمؤخر ، وتقديره : اني رافعك الي ومتوفيك ،

يعني بعد ذلك .

وقال ابن عباس : اني متوفيك اي مميتك .

وقال وهب ابن منبه : توفاه الله ثلاث ساعات من اول النهار حين رفعه اليه .

وقال مطر الوراق : اني متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت . وكذا قال

ابن جرير : توفيه هو رفعه .

وقال الاكثرون : المراد بالوفاة ههنا النوم .

قال الحسن " اني متوفيك " يعني وفاة المنام رفعه الله في مقامه . " ١ "

كما يرد عليهم بالاحاديث التي تفيد نزول عيسى عليه السلام ، وقتله

للدجال . " ٢ "

واصحاب هذا الراى الذى ذكره الشيخ محمد عبده يردون هذه الاحاديث

بانها احاديث آحاد ، ولكن لقد ثبت البحث ، والاستقصاء أن هذه الاحاديث

متواترة ، وصرح بهذا كثير من رجال الحديث ، وكتب العقيدة . " ٣ "

١ - انظر مختصر تفسير ابن كثير (١ : ٢٨٦) ، الطبعة السابعة

١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م .

٢ - سيأتي قسم منها ، بعد قليل .

٣ - كما في رسالة الشيخ الغماري ، / وفي تفسير ابن كثير (١ : ٥٧٧) .

وانظر كتاب : التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، للمحدث الشيخ

محمد انور شاه الهندي ، تعليق الاستاذ عبد الفتاح ابي غدة .

وايضا يلزمهم لو اخذوا بهذه الاحاديث المتواترة كما صرح بعضهم بأن
الله سبحانه وتعالى يحيى جسد عيسى ليقوم بالدور الموعود به من قتل المسيح
الذجال والحكم بالقران والسنة النبوية المطهرة ، في الناس مدة من الزمان كخليفة
للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وهم ان يقولون باحيائه بعد موته فرارا من مصادمة هذه الاحاديث ،
يرتكبون اصعب مما فروا منه ، وهو رفع عيسى بالروح والجسد وان كان ليس هناك
اصعب واسهل بالقياس الى قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولكن استبعادهم ان
يرفع عيسى بالروح والسجد ، وان يبقى حيا هذه المدة الى ان يجيء وقت نزوله
، اشد استبعادا من احيائه بعد موته ، فهم قد فروا الى ما هو اشد استبعادا .
يقول الاستاذ عبد الرحمن حبيكة :

(وليس في اى امر من هذه الامور الخارقة استحالة على قدرة الخالق
المعظيم ، فكل من رفع عيسى عليه السلام حيا الى السماء بعد انقائه من القتل ،
والقاء شبهه على غيره ، ثم استمرار حياته في السماء وفق شروط خاصة تتم بقضاء
الله وقدره ، ثم نزوله مرة ثانية الى الارض واقامته الشريعة الاسلامية ، امور
ممكنة عقلا لا تحتاج الى اكثر من تعلق ارادة الله وقدرته بها ، وانما اراد الله
امرا هيا له اسبابه) . " ١ "

(ثانيا) : وقول الشيخ محمد عبده - نقلا عن اصحاب هذا الراى الثانى -
(تاويل نزوله وحكمه في الارض بخلبة روحه ، وسر رسالته على

الناس . . .) ، غير واضح .

فهل يعنى بهذا المعنى حصول ما كان منه ايام نبوته في بني اسرائيل ؟
وهذا المعنى الذى اوضحه الشيخ محمد عبده تفسيراً للنزول يلباه السياق لانه
مذكور ضمن اشراط الساعة التى تجيء اخرا الزمان ، اى بعد رسالة محمد صلى

الله عليه وسلم ، وفي وقت طويل عليها ، واذا فيكون معنى غلبة روح عيسى عليه السلام ، وما ذكره معها من امور شيئاً يحدث اخر الزمان في اواخر امة محمد صلى الله عليه وسلم .

وذلك بعيد كل البعد لانه في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من هذه

المعاني ، التي اتى بها عيسى عليه السلام في بني اسرائيل ما هو اوفى واكمل

وانسب بامة محمد صلى الله عليه وسلم ، مما جاء لامة غيرها .

وعلى هذا فانا لا ارى لهذه الاقوال معنى ، واستبعد هذا .

وازيد الامروضوح بما ذكره العلماء من ان البشرية تدرجت في مراحل كمالها ،

فكانت في اول الامر ناقصة ، ثم تترقت الى ان بلغت نهاية كمالها على عهد محمد

صلى الله عليه وسلم .

وكانت الشرائع تأتيتها بما يناسب كل حالة من هذه الاحوال على ايدى الانبياء

الذين ارسلوا اليهم فكانت اخر رسالة هي اكمل الشرائع لتناسب اكمل اطوار الانسانية

التي بلغت .

واذا ، فلا يعقل ان تكون اكمل الشرائع بحاجة الى ان تستمير مما هو ناقص

منها . - والله اعلم .

وقد ايد الشيخ رشيد رضا هذا المعنى ، فقال :-

(هذا ما قاله الاستاذ الامام في الدرر مع بسط ، وايضاح ، ولكن

ظواهر الاحاديث الواردة في ذلك تآباه .

ولأهل هذا التأويل ان يقولوا :-

ان هذه الاحاديث قد نقلت بالمعنى ، كاكثير الاحاديث ، والناقل

للمعنى ينقل ما فهمه) . " ١ "

(ثالثا) : اقول :-

ليس هنالك ما يدعو الى ان نفسر الدجال بظهور البدع والخرافات ،
فان ذلك بعيد جدا من ظاهر اللفظ خصوصا ، وقد صوره النبي صلى الله عليه
وسلم ، بصورة انسان ، قائلا : انه اعور ، وانه مكتوب على جبينه كافر^١
يقرأها كل متعلم وغير متعلم .

الى هنا . ينتهي كلام الشيخ محمد عبده في الساعة ، ونزول عيسى عليه
السلام ، وظهور الدجال ، وهو كما رايت بعيد عن مذهب السلف ،
وجمهور العلماء .

ولكون الشيخ رشيد لمط بالنصوص اكثر من استاذة ، فانه لم يقبل هذا
التأويل الامر الذي حدا به الى ان يقول معلقا على كلام استاذة (لكن ظواهر
الاحاديث الواردة في ذلك تأباه . . .)
وايضا تأويل الشيخ محمد عبده للدجال ، كما سبق فاسد ، ومخالف
لما عليه جمهور اهل الحديث ، والفقهاء ، والنظار . . . وهو مذهب
الخوارج ، والجهمية ، وبعض المعتزلة . . .^٢

وهاك مذهب السلف ، وجمهور العلماء في الساعة واشراطها :-

قال صاحب الطحاوية :

(ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه
السلام من السماء ، ونؤمن بظلمة الشمس من مغربها ، وخروج امة الارض من
موضعها) . . .^٣

-
- ١ - ستأتي بعض النصوص ، بهذا الخصوص ، بعد قليل باذن الله .
 - ٢ - انظر : صحيح مسلم ، بشرح النووي (١٨ : ٥٨) .
 - ٣ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٤ .

هذا هو ما يؤمن به السلف • فهم يؤمنون بالساعة • وانها آتية لا
رب فيها • وان لها موعدا لا تخلفه • لا يعلمه الا الله • وهو مخفي عن
الناس كلهم • وفيهم الرسل • والانبياء • وانه ليس في وسع احد • كائنا
من كان • ان يعرف كم بقي من عمر الدنيا ومتى تكون الساعة • " ١ "

وفي ذلك آيات • واحاديث :

قال الله تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها • قل انما علمها
عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيمك الا بغتة
يسألونك كأنك خفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون " • " ٢ "

وقال تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى
ربك منتهاها " • " ٣ "

وقال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر " • " ٤ "

وقال تعالى : " يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك
لعمل الساعة تكون قريبا " • " ٥ "

١ - انظر : مجموع الفتاوى (٤ : ٣٤١ و ٣٤٢) /
وانظر : فتح القدير للشوكاني (٥ : ٣٨١) / وانظر المعقائد الاسلامية
لسيد سابق ص ٢٣٩ - ٢٥٠ / وانظر فتح الباري (١٣ : ٧٠)
وما بعدها •

٢ - سورة الاعراف اية (١٨٢) •

٣ - سورة النازعات الايات (٤٢ - ٤٤) •

٤ - سورة القمر اية (١) •

٥ - سورة الاحزاب اية (٦٣) •

وقال تعالى : " ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى " . " ١ " .
أما الأحاديث فسادكرها عند الحديث عن اشواط الساعة ، ويكفي ان
أشير هنا الى ان أحاديث الساعة متواترة يجب الايمان بها ، ويجب ان لا
نفتريمن يدعي انها أحاديث آحاد ، فانهم جهال بهذا العلم ،
وليس فيهم من تتبع طرقها ، ولو فعل لوجدها متواترة ، كما شهد بذلك
ائمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره . " ٢ " .

-
- ١ - سورة طه آية (١٥) .
 - ٢ - من كلام الشيخ ناصر الدين الالباني ، انظر : شرح العقيدة الطحاوية
ص ٥٦٥ ، الهامش .

أشراط الساعة

=====

والسلف يؤمنون بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات

الساعة وأشراطها ،

ويقولون : قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر للساعة علامات

صغرى معظمها يدور حول فساد الناس في اخر الزمان ، وظهور الفتن بينهم ،

ومحمد هم عن سبيل الاسلام وطريق الحق وعلامات كبرى .

فأما العلامات الصغرى فقد ورد فيها جملة من الاحاديث الصحيحة اذكر

منها : " ١ "

١ - ما اخرج به البخارى ومسلم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " بعثت

انا والساعة كهاتين " وأشار بالسبابة والوسطى . " ٢ "

وقد اشار صلى الله عليه وسلم باصبعيه : السبابة ، والوسطى

للاشارة الى صغرا وقللة الفرق بينهما ليدل على ان الفرق بينه وبين الساعة

قليل .

وايضا ، فهذا الحديث يدل على ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وختم النبوة والرسالة به ، من علامات قرب الساعة .

ففي الحديث دلالة على ان النبي عليه الصلاة والسلام ليس بينه وبين

الساعة نبي اخر ، فهي تليه ، وتأتي بعده وهذا اخبار يقرب وقوعها .

١ - يتصرف : عن كتاب الايمان : اركانه ، حقيقته ، نواقضه ،

للدكتور محمد نعيم ياسين ، ص ٧١ وما بعدها .

٢ - انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى (١١ : ٢٩٣) .

٣ - انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ٢٣٩ .

وانظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (١١ : ٢٩٣) .

- ٢ — وفي حديث جبريل عليه السلام ، انه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال صلى الله عليه وسلم " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " قال : فاخبرني عن آياتها ؟ قال : ان تلد الامة ريشها " ١ " وان ترى الحفاة العرابة ، العالة رطاء الشاء يتطاولون في البنيان " ٢ " .
- ٣ — واخرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
- " لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان " ٣ " ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ،

-
- ١ — قال ابن حجر في هذا المعنى : ان يكثر العقوق في الاولاد ، فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من الاهانة بالسب ، والضرب ، والاستخدام . فاطلق عليها ريشا مجازا لذلك .
- او المراد بالرب : المربى فيكون حقيقة وهذا وجه . والاوجه عندى لعمومه ولان القام يدل على ان المراد حالة : تكون مع كونها تدل على فساد الاحوال مستخرجة . ومحصله : ان الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الامور بحيث يصير المربى مربيا ، والسافل طالبا ، والحفاة طلوك الارض .
- / انظر فتح الباري (١ : ١٠١) .
- ٢ — متفق عليه : انظر فتح الباري (١ : ٩٦ ، ٩٧) / وانظر صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ١٥٧) .
- قال القرطبي : ومعنى تطاول رطاء الشاء في البيان : الاخبار عن تبدل الحال بأن يستولي اهل البادية على الامر ، ويتملكوا البلاد بالقهر ، فتكثر اموالهم ، وتنصرف همهم الى تشييد البنيان والتفاخر به . وقد شاهدنا ذلك في هذا الزمان / انظر فتح الباري (١ : ١٠١) .
- ٣ — قال ابن حجر : المقصود فئة علي ومن معه ، وفئة معاوية ومن معه .
- / انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢ : ٧٢) .

دعوتها واحدة • وحتى يموت "١" دجالون كذابون قريب من ثلاثين "٢" كل
يزعم انه رسول الله ، وحتى يقبض العلم "٣" وتكثر الزلازل ، ويقارب الزمان ،
وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال ، فيفيض ،
حتى يهيم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه ، فيقول الذي يعرضه عليه :
لا ارب لي به ، وحتى يتناول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل
فيقول : يا ليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها "٥" ، فاذا طلعت
ورآها الناس آمنوا اجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا • ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا
يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد اعترف الرجل بلبن لقحته "٦" فلا
يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يليب "٧" حوضه فلا يسقي منه ، ولتقوم من
الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها "٨"

- ١ - اى يظهر •
- ٢ - مثل الاسود العنسي صاحب صنعا ، ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ،
ومن هؤلاء من المتأخرين مؤسس القاديانية والبهائية • / انظر العقائد
الاسلامية لسيد سابق ص ٢٤٠ ، الهامش •
- ٣ - اى يقبض علماء الدين ، والدعاة الى الله عز وجل • /
انظر العقائد الاسلامية ص ٢٤٠ ، الهامش •
- ٤ - المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان • فتكون السنة في بركتها
والانتفاع بها كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كالنوم ، والنوم
كالساعة • / انظر فتح الباري (١٣ : ١٣) •
وانظر : تيسير الوصول الى جامع الاصول ، لابن الدبيح الشيباني (٤: ٩١) •
- ٥ - هذه من العلامات الكبرى ، وثيقة العلامات المذكورة في الحديث صغرى •
- ٦ - اللقحة : هي الناقة ذات اللبن •
- ٧ - اى يصلحه بالطيبين •
- ٨ - اخرجه البخارى ، انظر فتح الباري (١٣ : ٧٠ - ٧٦) •

هذا الحديث أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه ، وهو يدل على وقوع بعض امارات الساعة ، ومنها ما وقع فعلا مثل : اقتتال علي ومعاوية ، وظهور الدجالين ، وانقباض العلم ، وكثرة الزلازل ، وتقارب الزمان ، وظهور الفتن ، وكثرة القتل ، والتطاول في البسيان ، ومقبة العلامات لم تظهر بعد .

٤ - : وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويكثر النساء ، ويقل الرجال حتى ليكون لخمسين امرأة قيم واحد " .

وهذه العلامات وقعت كلها الا العلامة الاخيرة ، التي يدو انها قريبة

الوقوع لكثرة القتل وموت الرجال .

٥ - : وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : متى الساعة ؟

فقال : " اذا ضيعت الامة فانتظر الساعة " قال : وكيف اضيعها ؟

قال : " اذا اسند الامر لخيرا هله فانتظر الساعة " . " ١ " .

٦ - : وعن ابي هريرة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة

حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء

الحجر ، والشجر ، ويقول الحجر والشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا

يهودي خفي فتعال فاقتله ، الا الفرقة فانه من شجر اليهود " . " ٢ " .

٧ - : وهناك احاديث اخرى صحيحة ، ذكرت لنا علامات اخرى تظهر قبل قيام

الساعة ، ويمكن الرجوع اليها في كتب الصحاح . " ٣ " .

١ - انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ : ٢٧٩) .

٢ - أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٤٤) .

٣ - تجد ذلك في الصحيحين ، في كتاب الفتن واشراط الساعة ، . . . وفي مواضع

اخرى متفرقة .

ولا شك ان هذه العلامات يؤمن السلف بها ، وان لم يتواتر الخبر
بوجودها لثبوت صحتها عن المصوم صلى الله عليه وسلم .
ومن المومنين حقا ان يظهر من بين المسلمين من يتجرا على الكلام فيها ،
ولا يقبلها ، وهو يعلم انها ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما والامر
دين وعقيدة . " ١ "

واما العلامات الكبرى ، فقد ورد في الاخبار الصحيحة عن الرسول صلى
الله عليه وسلم ، ذكر عشر منها .
ففي حديث حذيفة بن اسيد الغفاري ، قال : (اطلع النبي صلى الله
عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة .
قال : انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشرايات ، فذكر : الدخان ، والدجال ،
والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، وبأجوج وماجوج ،
وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ،
واخر ذلك : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم) . " ٢ "

واليك بيان ما يحتاج شرحا من هذه الايات :

(الاولى) : الدخان :

=====

لقد ورد في بيان اشارة الدخان عن عدة من اجلاء الصحابة انه يخرج دخان
فياخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس
المشوى على الجمر . " ٣ "

-
- ١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٥ ، الهامش .
 - ٢ - اي الى مكان محشرهم ، / انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٢٧) .
 - ٣ - انظر العقيدة الاسلامية ، واسسها (٢ : ٢٣٦) .

(الثامنة) : الدجال :

===== الدجال هو الكذاب شديد الدجل .

والدجل في اللغة هو التفتية ، وسعي الكذاب دجالا لانه يخطي

الحق بباطله .

وان من امارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول صلى الله عليه

وسلم بالدجال ، لكثرة تدجيله وكذبه ، يدعي الالهية ويحاول ان يفتن الناس عن

دينهم بما يوجد من خوارق العادات ، وعجائب الامور ياذن الله سبحانه وتعالى ،

فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين امنوا ، فلا يخذعون بدجله وضلاله ،

ثم ياذن الله بالقضاء على فتنه ، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله .

ومن الاحاديث التي ورد فيها ذكره :

أ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله

عليه وسلم في الناس ، فأنتفى على الله بما هو اهلله ، ثم ذكر الدجال فقال :

" اني لا نذركموه ، وما من نبي الا وقد اذره قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولا

لم يقله نبي لقومه : انه اعور وان الله ليس باعور " . " ١ "

ب - روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (لانا اعلم

بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، احدهما راي العين ماء ابيض ، والاخر

راي العين نار تاجج . فاما ادركن احد فليأت النهر الذي يراه تارا ، وليفحص

ثم ليطأ في رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد ، وان الدجال مسح العين طيبها

ظفرة " ٢ " غليظة مكتوب بين عينيه كافر ، يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) . " ٣ "

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ : ٨) / صحيح مسلم بشرح النووي

(١٨ : ٥٩) .

٢ - بفتح الظاء والفاء وهي جلدة تنشى البصر ، اولحة تنبت عند المأقي .

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٩١) .

ج :- وعن النّوأس بن سمان ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدجال فقال :

" ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجة دونكم ، وان يخرج ولست فيكم قاموا

حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، انه شاب ققط " ١ ، عينه

طاوية ، كاني اشبهه بعبد المعزى بن قطن ، فمن ادركه منكم فليقرأ عليه بفواتح

سورة الكهف فانها جواركم من فتنته ، وانه خارج خلة " ٢ بين الشام والمراق ،

فماك يميننا وطك شمالا ، يا عباد الله فاثبتوا " .

قلنا : يا رسول الله او ما لبثه في الارض ؟

قال : " اربعون يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر ايامه

كايامكم " .

قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم ؟

قال : " لا ، اقدروا له قدره " .

قلنا : يا رسول الله وما اسراجه في الارض ؟

قال : " كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم ، فيدعوهم فيؤمنون به ،

فيأمر السماء فتسطر ، والارض فتنبث ، فتروح عليهم سارحتهم " ٣ " اطول ما

كانت ذرى " ٤ " واسبغ " ٥ " ضروبا ، وامده خواصر " ٦ " ، ثم يأتي القوم

فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون مسحين ليس بايديهم

١ - اى شديد جمودة الشعر .

٢ - طريق بين الشام والمراق .

٣ - السارحة : هي الماشية التي تسرح اى تذهب اول النهار الى المرعى .

٤ - جمع ذروة ، وهي الاعالي والاسنمة .

٥ - اى اطوله ، وهي كثيرة اللبن .

٦ - لكثرة امتلائها من الشبع .

شيء من اموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : اخرجي كنوزك ، ففتحته كنوزها ،
كما سيب النحل . " ١ "

ثم يدعو رجلا مثلثا شابا ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين " ٢ " رمية
الغرض " ٣ " ثم يدعو فيقبل ، ويتهلل وجهه ويضحك . " ٤ "

فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة
البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين " ٥ " واضعا كفيه على اجنحة ملكين ، اذا
طأ رأسه قطر ، واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ " ٦ " ، فلا يحل لكافر

-
- ١ - اى كجماعة النحل ، واليما سيب هي ذكور النحل .
 - ٢ - اى قطعتين .
 - ٣ - اى يجمل القطعتين مقدار رمية السهم الى الهدف .
 - ٤ - وفي حديث اخر لمسلم ان الدجال يمشي بين القطعتين ، ثم يقول له :
قم فيستوى قائما ، ثم يقول له : اتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت
الا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا ايها الناس انه لا يفعل بمسدي
ياحد من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجمل ما بين
رقبته الى ترقوته نحاسا ، فلا يستطيع اليه سبيلا ، قال : فيأخذ
بيديه ورجليه ، فيقذف به ، فيحسب الناس انما قذفه الى النار ،
وانما القي في الجنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا
اعظم الناس شهادة عند رب العالمين .
 - ٥ - حلتين فيهما صفرة خفيفة ، او ثوبين مبهوتين .
 - ٦ - اى جات تشبه اللؤلؤ بصفائها .
 - ٧ - اى لا يمكن ، ولا يقع لكافر .

يجد ربح نفسه الامات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى
يدركه بباب لد " ١ " فقتله ، ثم يأتي عيسى الى قوم قد عصمهم الله منه ،
فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك اذ اوحى
الله الى عيسى : اني قد اخرجت عمادا لي لايدان لاحد بقتالهم ، فحرز
عمادى الى الطور " ٢ " .

ويبعث الله يا جوج وياجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمراواثلهم
على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمراخرهم ويقول : لقد كان بهذه
مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر ، وهو جبل بيت المقدس ،
فيقولون : لقد قتلنا من في الارض ، هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمسون
بشبابهم الى السماء ، فيرد الله عليهم شبابهم مخصومة دما ، ويحصرني
الله واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحد هم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم ،
فيرغب نبي الله عيسى واصحابه " ٣ " فيرسل الله عليهم النصف " ٤ " في وقابهم
، فيصبحون فرس " ٥ " كموت نفس واحدة .

ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض ، فلا يجدون في الارض
موضع شبرا الا ملاء زهمهم " ٦ " وتنتهم .
فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله ، فيرسل الله طيرا كاعناق
البخت " ٧ " فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله .

١ - اللد : بلدة معروفة بفلسطين ، من اعمال بيت المقدس .

٢ - اى اذهب بهم الى الطور ليكون لهم حرزا .

٣ - اى يدعون الله .

٤ - وهو دود يكون في انوف الابل والغنم .

٥ - اى قتلى .

٦ - اى دسمهم .

٧ - نوع من الابل طوال الاعناق .

ثم يرسل الله مطرا لا يمكن منه هيمت طدر ، ولا وير ، فيفسل الارض

حتى يتركها كالزلفه * ١ *

ثم يقال للارض : انبتي ثموتك ، ووردي بركتك ، فيومئذ تاكل

المصابة "٢" من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويمارك في الرسل "٣" حتى

ان اللقحة من الابل "٤" لتكفي الفئام "٥" من الناس ، واللقحة من البقر

لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الخنم لتكفي الفخذ من الناس .

فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت اباظهم ،

فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهاجرون فيها تهارج

الحر "٦" فعليهم تقوم الساعة * ٧ *

اقول :- هذه الاحاديث ، وغيرها تبطل ما ذهب اليه الشيخ محمد

عبده ، وهو ان الدجال رمز للخرافات والدجل ، والقبايح . . . الخ . وهي

حجة لمذهب اهل السنة والجماعة في وجوب الاعتقاد بظهور الدجال حسب ما اخبر

به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وما وصفه به من الصفات ، وما يؤول امره

اليه ، وانه من العلامات الكبرى لقيام الساعة .

قال النووي رحمه الله :

(الاحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب اهل

الحق في صحة وجوده ، وانه شخص بعينه ، ابتلى الله به عباده ، واقدره

على اشياء من مقدورات الله تعالى . من احياء الميت الذي يقتله ، ومن ظهور

١ - اي كالمراة .

٢ - اي الجماعة .

٣ - الحليب .

٤ - وهي الناقة الحلوب .

٥ - الجماعة الكثيرة .

٦ - اي يتسافدون علانية كتسافد الحمير .

٧ - انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٦٣) وما بعدها .

زهرة الدنيا ، والخصب معه ، وجنته وناره ، ونهره ، واتجاع كنوز الارض له
، وامره السماء ان تمطر ، فتمطر ، والارض ان تثبت فثبت ، فيقع كل
ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك ، فلا
يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ويبطل امره ، ويقتله عيسى صلى الله عليه
وسلم ويثبت الله الذين آمنوا . . .
(الى ان قال) :

(وهذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ،
خلافا لمن انكره وابطل امره ، من الخواج والجهمية وبعض المعتزلة ، وخلافا
لمن ادعى انه صحيح الوجود وان الذي يدعيه مخارف وخيالات لا حقائق لها ،
وزعموا انه لو كان حقا لم يوتق بمعجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم .
وهذا غلط من جميعهم ، لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له ،
وانما يدعي الالهية ، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ، ووجود دلائل
الحدوث فيه ، ونقص صورته ، وعجزه عن ازالة المور الذي في عينه ، وعن
ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ، ولهذه الدلائل وغيرها لا يختبره الا
رطاع من الناس ، لسد الحاجة والفاقة ، رغبة في سد الرق ، او تقية وخوفا
من اذاه ، لان فتنته عظيمة جدا ، تدهش العقول وتحير الالباب ، مع
سرعة مروره في الامر ، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ، ودلائل الحدوث
فيه والنقص ، فيصدق من صدقه في هذه الحالة .
ولهذا حذرت الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين من فتنته ، ونهبوا
على نقصه ، ودلائل ابطاله . واما اهل التوفيق فلا يخترون به ، ولا
يخدعون لما معه لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له ، مع ما سبق لهم من العلم
بحاله) . . .

فإذا قيل : كيف يجرى الله الآيات الباهرة على يده ، والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء . كما اثبتنا ذلك في الباب الثالث ، في الفصل الخامس عند الحديث عن دلالة المعجزة ؟

فقد قال الخطابي في الجواب عن هذا التساؤل :

(الجواب انه على سبيل الفتنه للعباد . ان كان عندهم ما يدل على انه مبطل غير محق في دعواه ، وهو انه اعور مكتوب على جبهته كافر ، يقروءه كل مسلم . فدعواه داخضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر ، ان لو كان لها لزال ذلك عن وجهه .

وايات الانبياء مالمه من المعارضة ، فلا يشتبهان) * " ١ "

قال ابن حجر :

(وفي الدجال مع ذلك دلالة بيينة لمن عقل على كذبه ، لانه ذو اجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر ، مع ظهور الافة به من عور عينه ، فاذا دعا الناس الى انه ربهم ، فأسوا حال من يراه من ذوى العقول ان يعلم انه لم يكن يسوى خلق غيره ، ويعدله ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه ، فأقل ما يجب ان يقول :

يا من يزعم انه خالق السماء والارض ، صور نفسك ، وعدل لها ، وازل عنها العاهة ، فان زعمت ان الرب لا يحدث في نفسه شيئاً فأزل ما هو مكتوب بين عينيك) * " ٢ "

١ - نقله ابن حجر المسقلاني في فتح الباري (١٣ : ٨٩) .

٢ - فتح الباري شرح صحيح البخارى (٣ : ٨٩) .

(الثالثة) : الدابة •

=====

• خروج الدابة من الايات التي اشار الله اليها في القران الكريم •

قال الله تعالى : " واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان

الناس كانوا باياتنا لا يوقنون " • " ١ "

وهي دابة عظيمة ، ذات قوائم ، ليست من نوع الانسان ، تخرج في

اخرا الزمان عند فساد الناس ، وتركهم اوامر الله ، وتبديلهم دينه ، فتكلمهم

بأن الناس كانوا بايات الله لا يوقنون • " ٢ "

اما الاحاديث : ، فقد ورد في ذكر الدابة احاديث كثيرة ، بعضها

• صحيح •

وليس فيما صح من تلك الاحاديث وصف لهذه الدابة ، وما ذكره الناس

من اوصافها فقد ورد في روايات لم تبلغ حد الصحة • " ٣ " والمؤمن لا تعنيه معرفة

هذه الاوصاف ، وحسبه ان يقف عند النص القراني ، والحديث الصحيح الذي

يفيد ان خروج الدابة من علامات الساعة • وانه اذا ما انتهى الاجل الذي تنفع فيه

التوبة ، وحق القول على الباقيين ، فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك ، وانما يقضى عليهم

بما هم عليه • عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم ، وتتصرف على المؤمن وعلى

الكافر •

قال الامام الرازي :

(واعلم انه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الامور ، فان صح

الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل ، والا لم يلتفت اليه) • " ٤ "

١ - سورة النمل آية (٨٢) •

٢ - انظر : العقيدة الاسلامية واسمها (٢ : ٣٣٧) •

٣ - انظر : فتح القدير للشوكاني (٤ : ١٥١) •

٤ - انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق (٢٤٣) ، نقله عن الامام الرازي •

وان خروج الدابة غيب من الغيوب التي (يجب علينا الوقوف عند ما اخبر به
القران والسنة الصحيحة ، ولم يأت فيها سوى ان دابة ستخرج وتكلم الناس وذلك
من امارات الساعة) * ١ *

وسيكون كلامها للناس من قبيل كلام الهدد والنملة مع نبي الله سليمان
عليه السلام * ٢ *

واذا كان الناس لا يعهدون تكليم الدواب ، فان الخالق القادر يمكنها ،
ويمكنهم من ذلك . فيفهم منها الناس ، ويعلمون انها الاية الخارقة المنبئة بقيام
الساعة ، او اقترابها ، وقد كان منهم من قبل من لا يؤمن بايات الله ولا يصدق
بيوم القيامة * ٣ *

وحاصله :

ان السلف وجمهور اهل الحديث ، والتفسير يؤمنون بظهور الدابة ،
كاحدى علامات يوم القيامة . ويقولون : انه ورد في صفتها ، ومكان خروجها ،
وما تصنعه مع الناس احاديث كثيرة بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها
ضعيف .

واما كونها تخرج ، وكونها من علامات الساعة فالاحاديث الواردة في ذلك
صحيحة ، ومنها ما هو ثابت في الصحيح كحديث حذيفة مرفوع (لا تقوم الساعة
حتى تروا عشايات الدخان ، والدجال ، والدابة . . .) فانه في صحيح
مسلم ، وفي السنن الاربعة ، وكحديث : (يادروا بالاعمال قبل طلوع الشمس من
مغربها والدجال والدابة) فانه في صحيح مسلم ايضا من حديث ابي هريرة مرفوع .
وكحديث ابن عمر مرفوع : (ان اول الايات خروج طلع الشمس من مغربها
وخروج الدابة على الناس ضحى) فانه في صحيح مسلم ايضا * ٤ *

١ - المعقائد الاسلامية ص ٢٤٣ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٤٤ .

٣ - انظر : في ظلال القران ، لسيد قطب (٦ : ٣٠٨) .

٤ - انظر : فتح القدير (٤ : ١٥٣) .

(الرابعة) : طلوع الشمس من مفرها •

=====

هذه الآية بداية التفسير الذي يحدثه الله على نظام الكون في الحياة الدنيا ، حيث تظهر للبشر أمور غير ما لوفة تنبؤهم بقرب وقوع الساعة ، اولها طلوع الشمس من المغرب ، وقد كان الناس من قبل يصعدون طلوعها من المشرق • وقد ورد في بعض الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان هذه الآية تكون اول العلامات الكبرى ظهورا •

تقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله

عليه وسلم ،

قال : " ان اول " ١ " الايات خروجا طلوع الشمس من مفرها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وايهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على اثرها قريبا " • " ٢ "

١ - قال ابن حجر فيما يتعلق بترتيب ظهور علامات الساعة الكبرى ما نصه :

(فالذي يترجح من مجموع الاخبار ان خروج الدجال اول الايات العظام

المؤذنة بتخريف الاحوال العامة في معظم الارض ، وينتهي ذلك بموت عيسى

ابن مريم • وان طلوع الشمس من المغرب هو اول الايات العظام المؤذنة

بتخريف احوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة •

ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب ،

والحكمة في ذلك انه عند طلوع الشمس من المغرب يفلق باب التوبة فتخرج

الدابة تميز المؤمن من الكافر ، تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة ، واول

الايات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس من المشرق الى المغرب •

فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ : ٢٩٦ ، ٢٩٧) •

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٦ •

٢ - فتح الباري (١١ : ٢٩٧) ، وصحيح مسلم بشرح النووي

(١٨ : ٧٧) •

وجاء في صحيح البخارى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : * لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت فرآها
الناس امنوا اجمعون فذاك (حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت
في ايمانها خيرا) * ١ *

وقد قال كثير من المفسرين ما حاصله :

معنى الاية : ان الكافر لا ينفعه ايمانه بعد طلوع الشمس من
المغرب وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ، ومن لم يعمل صالحا من قبل ، ولو كان
مؤمنًا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب * ٢ *

(الخامسة) : نزول عيسى بن مريم عليه السلام *

=====

فقد دلت السنة الصحيحة ، واجمعت الامة على ان عيسى عليه السلام ينزل
في اخر الزمان ، قرب الساعة ، اثناء وجود الدجال ، فيقتل الدجال ، ويحكم
بشريعة الاسلام ثم يمكث في الارض ما شاء الله ان يمكث ، ثم يموت ، ويصلي
المسلمون عليه ، ويدفن * ٣ *

وقد ورد بذلك احاديث صحيحة ، تقدم بعضها في الحديث الذى رواه

النواس بن سمان ، السابق *

وقد اشار القران الكريم الى نزول عيسى عليه السلام في قوله تعالى :

أ : قال تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة

يكون عليهم شهيدا " * ٤ *

١ - سورة الانعام اية (١٥٨)

٢ - انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (١١ : ٢٩٧)

٣ - خلافا لما قاله الشيخ محمد عبده نقلا عن بعضهم ان عيسى يموت في الارض ثم
يرفع الله روحه اليه ، وللاول هو قول الجمهور -

٤ - سورة النساء اية (١٥٩)

اي ان الاحياء من اهل الكتاب في ذلك الوقت سيؤمنون بعيسى عليه السلام
ايماننا صحيح ، وذلك بان يؤمنوا بانه عهد الله ، ورسوله ، وكلمته القاها الى
مريم ، وهذا الايمان به سيكون قبل موته ، وانما يكون ذلك عند نزوله من
السماء قبيل الساعة * ١ *

ب : - قال تعالى " وانه لعلم للساعة فلا تفتن بها واتبعون هذا صراط مستقيم " * ٢ *
ففي هذه الاية اشارة الى ان نزوله من السماء اخر الزمان من امارات الساعة ،
وعلاماتها قرب وقوعها اخذا من قوله تعالى " وانه لعلم للساعة " كما قال بذلك
ابن عباس ، والحسن البصري ، وقتادة * ٣ *

ج : - قال تعالى " ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين " * ٤ *
قال ابن زيد : قد كلمهم عيسى عليه السلام في المهد ، وسيكلمهم اذا
قتل الدجال وهو يومئذ كهل * ٥ *

ومن الاحاديث الواردة في ذكر نزول عيسى عليه السلام ، ايضا : -
أ : - ما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم :

" والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب " * ٦ *

-
- ١ - انظر : العقيدة الاسلامية ، واسمها (٢ : ٣٣٥) .
 - ٢ - سورة الزخرف اية (٦١) .
 - ٣ - المرجع السابق (٢ : ٣٣٦) .
 - ٤ - سورة ال عمران اية (٤٦) .
 - ٥ - المرجع السابق (٢ : ٣٣٦) .
 - ٦ - المراد : انه يكسره حقيقة ، ويهبط تعظيم النصارى له ، وقيل ان المراد
اظهار كذب النصارى حيث ادعوا ان اليهود صلحوا عيسى عليه السلام على
خشب / انظر الدين الخالص (١ : ٩٢) .

ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية " ١ " ويفيض المال " ٢ " حتى لا يقبله احد ،
حتى تكون السجدة الواحدة خيرا " ٣ " من الدنيا وما فيها " ٤ " .
ب :- ما رواه احمد ، وابوداود ، وابن جرير ، بطرق مختلفة عن ابي هريرة
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الانبياء اخوة لعلات " ٥ " امهاتهم
شقي ودينهم واحد ، واني اولى الناس بعيسى بن مريم ، لانه لم يكن نبي
بيني وبينه ، وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه : رجل مروع ، الى الحمرة ،
والبياض ، عليه ثوبان مصران ، كان رأسه يقطروان لم يصبه بلل ، فيدق
الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ، ويهلك
الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ، ويهلك المسيح الدجال ، فيمكث في الارض
اربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون " .
فهذه الاحاديث وغيرها ، تنص على نزول عيسى عليه السلام ، وهناك
احاديث اخرى صحيحة ، يخفينا عنها ما ذكرنا " ٦ " .

١ - المقصود بوضع الجزية : ان عيسى عليه السلام يسقطها عن اهل الكتاب فلا
يقبل منهم الا الاسلام وهذا يدل على ان قبول الجزية في الاسلام ، محدد
بنزول عيسى عليه السلام وليس في وضع عيسى للجزية نسخ لشريعة محمد صلى
الله عليه وسلم . / انظر الدين الخالص (١ : ٩٣) .
٢ - اي يكثر المال بسبب ما ينشره عيسى عليه السلام من العدل بين الناس .
٣ - المقصود ان رغبات الناس في اقتناء المال تقل لقصر امالهم ، وعلمهم بقرب
وقوع الساعة ، وتكثر رغبتهم في العبادة ، والطاعة .
٤ - متفق عليه .

٥ - قال ابن الاثير في النهاية :
اولاد العلات : الذين امهاتهم مختلفة وابوهم واحد . اراد ان

ايمانهم واحد ، وشراعتهم مختلفة .

انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٢٩ .

٦ - انظر : صحيح البخاري مع فتح الباري (٧ : ٣٠٢) / صحيح مسلم =

وخلصتها :

انها احاديث متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، تفيد اليقين بنزول

عيسى عليه السلام . وهي من رواية جمع من الصحابة منهم : ابو هريرة ، وابن مسعود وعثمان بن ابي العاص ، وابوامامة ، والنوايس بن سمعان ، وجد الله ابن عمرو بن العاص ، ومجمع بن حارثة ، وحذيفة بن اسيد ، رضي الله عنهم اجمعين .

فيجب على كل مسلم ان يصدق بذلك ، وان يعتقد بما اخبر به الرسول صلى

الله عليه وسلم ، وما اجمع عليه المسلمون ، وليس في العقل ولا في الشرع ما يظلمه . كما قال القاضي عياض :

(نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق ، وصحيح عند اهل السنة

للاحاديث الصحيحة في ذلك ، وليس في العقل ولا في الشرع ما يظلمه ، فوجب اثباته . وانكر ذلك بعض المعتزلة ، ومن واقفهم ، وزعموا ان الاحاديث مردودة

بقوله تعالى : " وخاتم النبيين " ، " ١ " وقوله صلى الله عليه وسلم " لا نبي بعدي " واجماع المسلمين انه لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وان شريعته مؤبدة الى يوم القيامة لا تنسخ .

وهذا الاستدلال فاسد ، لانه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام

انه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ، ولا في هذه الاحاديث ولا في غيرها شي من هذا

= بشرح النووي (٢ : ١٨٩) ، وصحيح الترمذي (٩ : ٧٦) /

وسنن ابن ماجه المجلد الثاني كتاب الفتن .

والفتح الرباني (٢ : ١٤٣) للساعاتي ، مطبعة الفتح الرباني .

الطبعة الاولى .

١ - سورة الاحزاب اية (٤٠) .

بل نصت هذه الاحاديث انه ينزل حكماً مقسطاً يحكم بشرعنا ، ويحيي من امور شرعنا
ما هجوه الناس) * ١ *

ويجب ايضاً على كل مسلم ان يعتقد بما اخبر به القران من ان عيسى عليه
السلام لم يقتله اليهود ، ولم يصلب ، وانما رفعه الله اليه ، وانه لن يموت حتى
ينزل قبل قيام الساعة ، كما مر .

قال الله تعالى : " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من
علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً وان من
اهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً " * ٢ *

فانظر الى قوله تعالى " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " .
وفي تفسير قوله تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته " .
تجد ان عيسى عليه السلام لم يموت ، ولم يصلب ، وسوف يؤمن به اهل الكتاب من
يهود ونصارى على انه عبد لله ، كما جاء في القران ، وهذا الايمان به سيكون
قبل موته عند نزوله من السماء .

قال الامام ابن كثير :

(قال ابن جرير : واولى هذه الاقوال بالصحة القول الاول ، وهو انه لا يبقى
اخذ من اهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام الا امن به قبل موت عيسى عليه
السلام .

ولا شك ان هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لانه المقصود من سياق الآي
في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من
النصارى الجهلة ذلك .

١ - انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٧٥ ، ٧٦) .

٢ - سورة النساء (الايات ١٥٧ - ١٥٩) .

فأخبر الله انه لم يكن الامر كذلك ، وانما شبه لهم فقتلوا الشبيه ، وهم لا يشعرون ذلك ، ثم انه رفعه اليه ، وانه باق حي ، وانه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الاحاديث المتواترة . فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، فأخبرت هذه الآية الكريمة انه يؤمن به جميع اهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم) . " ١ "

هذا هو مذهب السلف رض الله عنهم في نزول عيسى عليه السلام ، وهو ما يؤمن به ، ونعتقده ، وندعو الناس الى الايمان به .
وهو يظهر فساد ، وظلال ما حكاه الشيخ محمد عبده عن بعض العلماء

واخذ به ، وسقوط تخريجهم ، السابق .
فالاحاديث ليست احاديث احاد ، بل متواترة كما مر ، ولا داعي لتأويلها تأويلا يخدعها عن معناها الصحيح . " ٢ "

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، ما ارد به الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على الشيخ محمد عبده ، بهذا الخصوص ، قال :

(١) اذا تبين لك هذا " ٣ " فلا بد ان تعرض لمسألتين تتعلقان بهذا

الصدء ، تكشف فيهما عن وجه الحقيقة العلمية التي لا ينهني ان يصار الى غيرها .
المسألة الاولى :

=====

ان بعض الكاتبيين من تلامذة مدرسة الشيخ محمد عبده انكروا ان يكون عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قد رفع بجسده الى السماء ، قالوا : وانما هو ارتفاع

- ١ - تفسير ابن كثير (١ : ٥٧٧) .
- ٢ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣١٦ ، ٣٣٢ - ٣٣٩) .
- ٣ - المقصود رفع عيسى عليه السلام حيا الى السماء بروحه وجسده ، ثم نزوله الى الارض قرب قيام الساعة .

الروح او الدرجة ، ومن ثم فانهم انكروا نزوله الى الارض ايضا قرب قيام الساعة .
وقد كتب في ذلك الشيخ " محمود شلتوت " مقالا في مجلة " الرسالة " عدد

(٤٦٢) اعقبه بكتابة مقالات اخرى في نفس المبحث ، وكان الذي انتهى اليه
في مقالاته تلك هو : تأويل الايات الواردة والاعراض عن الاحاديث الكثيرة الثابتة

زاعما انها احاديث احاد لا يصلح ان يقام عليها الاعتقاد .

ولعلك قد قرأت ما كتبناه عن موقف المعلم والعقل من المعجزة في بحث

النبوات ، ووقفت اذ ذاك على قصة المدرسة التي قامت تنكر المعجزة لدور ان تنكر

الدين صراحة ، كما وقفت على سر انبعاث تلك المدرسة ، والظروف المكونة

لها . " ١ "

فاذا ذكرت ما قد قلناه اذ ذاك فاعلم ان انكار نزول عيسى عليه الصلاة

والسلام رغم ما ثبت في ذلك من الادلة القاطعة ليس الا صدى طبيعيا من اصداء

تلك المدرسة وثمرتها تتفق كل الاتفاق مع مبادئها .

بيد ان كلا من الاضطراب والتخبط الاعمي اللذين لا يبالون ان يقع فيهما

دعاة تلك المدرسة ، واتباعها يتمثل في محاولة التوفيق بين التمسك بالاسلام ،

والتمسك بانكار الخوارق والمعجزات . ونحن لا نشك في انها محاولة من حيث

الظاهر فحسب ، اتقاء لغضب المسلمين ، وتدرجا في التسلل الى موضع العقيدة

من قلوبهم .

فهذا التخبط في محاولة التوفيق ، هو الذي جعل واحدا مثل الشيخ " شلتوت "

لا يبالون ان يكذب سبعين حديثا مع روايتها ، وان يخطئ عامة المفسرين لكتاب

الله منذ عصر الصحابة الى بزوغ مدرسة استاذه — في سبيل ان تسلم له عقيدة انكار

الخوارق والمعجزات .

والاعجب من ذلك ان يكذب الاحاديث بدون شاهد ، او صورة شاهد ،
على الكذب ، وان يخطي المفسرين بدون شاهد ، او صورة شاهد على الخطأ ،
نعم ثمة شاهد واحد ، هو شذوذ تلك الشذمة التي قامت - لاسباب ودوافع
معروفة " ١ " - تنكر الخواق والمعجزات .
فهذا هو الشاهد الذي يسوغ امتلاخ نصوص السنة ، ودلالات الكتاب من
جذورها ، والاعراض عنها جملة وتفصيلا .
اما السنة ، فقد قلنا لك بعضا يسيرا منها . وقد وقفت على دلالتها
الصريحة التي لا تقبل اي قيل وقال حولها .
واما الكتاب فقد قلنا لك من آياته آيتين " ٢ " كل منهما ذو دلالة واضحة
على المعنى الذي اخذ به عامة المفسرين ، والصحابة الكرام .
غير ان هذه الشذمة تركز كل اهتمامها على تأويل اية الرفع ، وجرها الى
معنى الرفع بالروح او رفع الدرجة ، تصورا منها بأن طلاء التأويل اذا تماسك على
نصوص الرفع ، فانه يتماسك بعد ذلك بكل سهولة على نصوص النزول ، وهيئات
ان يتم لهم ذلك .
واكثر ما يتعلقون به في هذا الصدد كلمة " متوفيك " من قوله تعالى " ان
قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومظهرك من الذين كفروا " " ٣ " ،

١ - هي تخلص الفكر الديني من كل حقيقة غيبية غير داخلية في قوالب العلم
الحديث لمواكبة النهضة العلمية الاوروبية / انظر : كبرى اليقينييات
الكونية ص ٢٣٦ ، ٢٤٠ .

٢ - الاية الاولى من سورة النساء (١٥٧ - ١٥٩) .

الاية الثانية من سورة الزخرف (٥٧ - ٦١) .

٣ - سورة ال عمران اية (٥٥) .

منهم بأن " متوفيك " مرادفة (لميتك) ولم يقل احد من علماء اللغة ذلك •

بل التوفي معناه : اخذ الشيء وقبضه تماما • ومرادفة الاستيفاء •

تقول : استوفيت حقي ، وتوفيتته اي قبضته كاملا •

اما الاماتة التي هي اخذ الروح ، فهي نوع من انواع التوفي الذي

يشملها ، وغيرها •

وانما سرى الوهم الى هؤلاء من كثرة استعمال عامة الناس هذه الكلمة بمعنى

الموت فقط ، وغفلت عن معناها الاصلي في اللغة •

ولو رجح هؤلاء الى اللغة لراوا ان التعبير بالتوفي عن الموت يأتي في الدرجة

الثانية من الدلالة اللغوية ، كما يقول العلامة " مصطفى صبري " ولذلك نص

" الزمخشري " في كتابه اساس البلاغة على ان التعبير بالوفاة عن الموت من المجاز •

والذي ينفي احتمال المجاز في " متوفيك " في هذه الاية ، دلالة الاية

الاخرى التي لا مجال للتأويل فيها :

يقول الله عز وجل في سورة النساء : " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن

مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي

شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان

الله عزيزا حكيما " • " ١ "

فاما عقل العاقل الذي يفهم الكلام العربي عن طريق القواعد العربية ،

ودلالاتها اللغوية ، فهو يفهم من قوله تعالى " وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه "

ان الله عز وجل اخفى نبيه عنهم بأن رفعه الى سمائه ، فلم يقصوا منه على شيء •

يقتلونه او يصلبونه •

يدلك على هذا المعنى الفاظ الاية ، ودلالاتها اللغوية ، وضورة التقابل

الذي ينبغي ان يكون بين ما قبل " بل " وبعدها •

فليس لك ان تقول ، وانت عربي : لست جائعا بل انا مضطجع ،
وانما تقول : لست جليئما بل انا شبعان .
وليس لك ان تقول : ما مات خالد بل هو رجل صالح ، وانما تقول :
بل هو حي .
وليس لك ان تقول : ما قتل الامير بل هو ذو درجة عالية عند الله .
لان كونه ذا درجة عالية عند الله ، لا ينافي ان يقتل .
وانما تأتي " بل " لابطال ما قبلها بدليل ما بعدها .
لا جرم اذا ، ان معنى الاية : ما قتله اليهود كما زعموا ، بل ان الله
استلبه من بينهم ورفعهم الى السماء .
ولكن الشيخ " شلتوت " يأتى الا ان يكون المعنى : ما قتلوه ، بل
رفع الله درجته اليه ، وذلك رغم ان القواعد العربية ودلالاتها ، ورغم ان
العرب ، والمفسرين كلهم .
ولك ان تسأل امثال الشيخ " شلتوت " وهم يذهبون في تفسير الاية هذا
المذهب : فما معنى " اليه " في الاية ما دام ان الرفع هو رفع الدرجة ؟
هل المعنى ان الله جعله الها مثله ؟
اذ لا معنى لقولك : ان الله رفع مقام فلان اليه ، الا انه قد جعله في
مرتبته ؟

ثم ما معنى تقييد رفع الدرجة بحال قصد الصلب او القتل ؟
لولم يكن مرفوع الدرجة قبل ذلك ؟
اسئلة لا جواب عليها ، الا استجرار الكلام ، والتأويل التي لا معنى لها ،
خدمة لما استقر في نفوسهم من مرض انكار الخوارق والمعجزات .
ورحم الله من ابداع المثل القائل : بأن رجلا نظرا الى حمار يافع فاشتبه
لحمه ، فالتفت الى من حوله قائلا : ما شبه اذنيه بأذني الارنب . " ١ "

١ - يروى بعض علماء الازهر ، ممن كانوا يلازمون الشيخ " محمود شلتوت " في =

المسألة الثانية :

=====

ذلك الخوض السخيف ، الذي خاضته فئة ، طاب لها ان تبيع عقلمها

لمخطط انكليزي ، مكشوف .

فقد قام قائمها يزعم ان الذي وعد الله بظهوره في الارض هو مثيل عيسى

وليس بعيسى نفسه ، وانه انما يظهر في الارض دون ان ينزل من السماء ،

وانه هو ذلك المثيل الذي وعد الله بظهوره ، فهو المسيح الموعود ، ثم راح

يزعم انه نبي ورسول مستقل ، مؤيد بتشريع ، ثم صاغ لنفسه وحيا كالقران ،

ومضى يخلق لنفسه معجزات ، يزعم انها مؤيدات له ، وابتنى لنفسه مسجدا

في بلدة (قاديان) ، وسماه المسجد الاقصى ، وسمى بلدته : " مكة

المسيح " ، وجعل قبيرة سماها " قبيرة الجنة " . من دفن فيها فهو من اهل

الجنة ، وسمى ازواجه امهات المؤمنين ، وراح يجمع من حوله الشيعة والاتباع

بكل حيلة ووسيلة ، والاستعمار البريطاني من ورائه يدفعه ، ويفذيه ، ثم

اعطى ان ظواهر الكتاب والسنة مصروفة الى الاستمارات ، والكنايات ، والمجاز ،

فاخذ يحرف كما يشاء في شرح الكتاب والسنة ، واحكامهما .

وكان من جملة هديه في ذلك ان الجهاد موضوع ومنسوخ ، خاصة بالنسبة

للانكليز ، وذلك لموقفهم النبيل من المسلمين ، وحسن رعايتهم لهم .

ولم يزل على حاله تلك يدعي النبوة ويكذب على الله وانبيائه ، ويضع

نفسه للناس موضع المسيح عيسى بن مريم ، الى ان رماه قضاء الله تعالى بالهيفضة ٢ "

= اخريات ايامه . اذ كان يعاني في بيته من شلل في جسمه ، يروون بانه احرق

جميع ما كان يحتفظ به من الكتب والاوراق التي سجل فيها بعض الاراء الشاذة ،

وفي مقدمتها مسألة عيسى بن مريم عليه السلام .

واشهدهم بانه تاب الى الله من الاعتقاد بها ، وانه قد رجح الى عقيدة

جمهور المسلمين اهل السنة والجماعة .

/ انظر: كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٣٤ ، الهامش .

١ - داء الكوليرا .

ومات في بيت الخلا ، ساقطاً على وجهه في اتسح حالة ، واقبح منظر ،
وكانت موته هذه عبرة لاولى الابصار .
ذلك هو غلام احمد القادياني ، الذي ولد عام ١٢٥٢ هـ ، ومات
عام ١٣٢٦ هـ) . ا هـ

(السادسة) : يا جوج وما جوج .

=====

وقد سبق بيان هذه الامارة في الحديث الذي رواه النوايس بن سمعان ،
السابق كما جاءت الاشارة اليها في قوله تعالى :
حتى اذا فتحت يا جوج وما جوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد
الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا
ظالمين " ١ " .

فهم امة كبيرة من الناس ، لا يعلم عددهم الا الله ، ينسلون من كل
حدب ، فينشرون الخراب والدمار والفساد ، في الارض على نحو مذهل ،
ونطريقة مرمجة . ويوجهون سهامهم نحو السماء كما ورد في الحديث السابق .
هذا ما يجب ان نؤمن به . اما علم ما وراء ذلك من التفاصيل المتعلقة
بصفاتهم ، وكيفياتهم ، وتفصيل اخبارهم ، فلا مطمح - في باب العقيدة - في
اعتماد شيء من ذلك . بل ان معظم ما ورد من تفصيل اخبارهم وصفاتهم واشكال
جسومهم فانما تناقله الناس عن طريق احاديث واهية او منكرة او باطلة " ٢ " .
وخير من الخوض في ذلك ان نقف عند حدود الدلالة القطعية التي ثبتت
بصريح السنة والقران .

١ - سورة الانبياء الايات (٩٦ - ٩٧) .
٢ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٣٧ .

فقد ورد في القرآن أيضا قوله تعالى :

" ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين ان يا جوج وما جوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افخ عليه قطرا فما استطاعوا ان يظهروا وما استطاعوا له شها قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يمشون في بعض وفتح في الصور فجمعناهم جمعا " ١

ومما ورد في ذكورهم من الاحاديث أيضا :

أ - ما اخرجه الشيخان عن زينب ابنة جحش رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما ، فزعا يقول : " لا اله الا الله ، ويل للمرب من شرقد اقترب . فتح اليوم من ردم يا جوج وما جوج مثل هذه " - وحلق باصبعية الابهام والتي تليها - قالت زينب ابنة جحش : يا رسول الله افنهلك وفينا الصالحون ؟

قال : نعم اذا كثر الخبث " ٢

ب - ما اخرجه الامام مسلم من حديث النوامس بن سفيان الذي تقدم ذكره ، وفيه خبر الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وذكر يا جوج وما جوج حيث قال صلى الله عليه وسلم :

" ويصعد الله يا جوج وما جوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمراوا عليهم على بحيرة " طبرية " ٣ " فيشربون ما فيها ، ويمر اخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء " ٤

-
- ١ - سورة الكهف الايات (٩٢ - ٩٩) . وانظر : تفسير هذه الايات في ظلال القرآن (٥ : ٤١١ - ٤١٣) .
 - ٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ : ٩١) .
 - ٣ - تقع امام مدينة طبرية ، شمال فلسطين المحتلة ، يمر بها نهر الاردن .
 - ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٦٨) .

وهناك احاديث صحيحة ذكرت يا جوج وما جوج (ومجموع النصوص الواردة
بذكرهم يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الامة المفسدة في اواخر عمر هذه الدنيا فكان
لا بد للمؤمن من تصديق ما ورد به القران ، والخبر الصحيح من امرهم .
واما تحديد الزمن الذي تظهر فيه هذه الامة والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم
واوصافهم ، ومكان وجودهم قبل ظهورهم فكل هذا من امور الغيب التي لا يعلمها الا
الله تعالى) " ١ " .

ويقول الشهيد سيد قطب :

(وعد ، فمن يا جوج وما جوج ؟ واين هم ؟ وماذا كان من امرهم ؟

وماذا سيكون ؟ ...

كل هذه اسئلة تصعب الاجابة عليها على وجه التحقيق . فنحن لا نعرف

عنهم الا ما ورد في القران وفي بعض الاثر الصحيح) " ٢ " .

(السابعة) : خسف بالمشرق .

(الثامنة) : خسف بالمغرب .

(التاسعة) : خسف بجزيرة العرب .

وهي خسوف ارضية تحدث في هذه الاماكن من الارض " ٣ " .

(العاشرة) : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم .

١ - انظر : فتح القدير للشوكاني (٣ : ٣١٢) / وانظر في ظلال القران

(٥ : ٤١١ - ٤١٣) / وانظر كتاب الايمان ص ٨٣ .

٢ - في ظلال القران ، سيد قطب (٥ : ٤١٣) .

٣ - انظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، للاستاذ عبد الرحمن جيثك

(٢ : ٣٣٧) .

وهذه الامارة هي اخر الامارات ، وتكون قبيل قيام الساعة ، ومكان محشر
الناس الذي تسوقهم النار اليه ، ارض الشام . وقد ثبت ذلك في عدة
احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . " ١ "

الى هنا . نكون قد اثينا على بيان وايضاح مذهب السلف في الساعة ،
واشراطها ، وراينا كيف يؤول الشيخ محمد عبده اثنتين من هذه الايات :
(نزول عيسى عليه السلام ، وظهور الدجال) . ويسكت عن بقية اشراط
الساعة .

تلك التي كنا نحب ان نعرف ما عند الشيخ محمد عبده فيها ، فلمله اكتفى
بالسكوت عنها ، اذ يبدو ان الشيخ محمد عبده كان يفضل السكوت في كثير
من المسائل على الكلام خاصة فيما يتعلق بالغيب . والله اعلم .

الامر الثالث : ما يتعلق بيوم القيامة واحداثه .

=====

ويندرج تحت هذا ، الايمان بالبعث ، والحشر ، والعرض على الله ،
والحساب ، والجزاء ، والحوض ، والميزان ، والصراف ، واحوال
الجنة والنار وما اعد الله لاهلها اجمالا وتفصيلا . " ١ "
ومعنى اجمالا وتفصيلا : اى انه لا يتحقق الايمان بهذا الامر ، ولا
يكون تاما ، وكاملا الا بشيئين :

(الاول) : ان يؤمن المعبد بهذا ، بصورة اجمالية ، وهذا هو الحد الادنى
لتحصيل هذا الركن ، من اركان الايمان .

(الثاني) : ان يؤمن بكل ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من
هذه الاحداث التي تكون بعد البعث ، والتي وردت بها

الايات الكريمة ، والاحاديث الصحيحة .

وانذكر فيما يلي اهم ما وردت به الايات ، والاحاديث من هذه الاحداث ،
وابين مذهب الشيخ محمد عبده في كل واحدة على حدة ، وانقد ما يستحق النقد
منه ، مع بيان مذهب السلف ، وجمهور العلماء - اهل السنة والجماعة -
في هذا الامر .

١ - بداية يوم القيامة .

=====

مذهب الشيخ محمد عبده :-

يرى الشيخ محمد عبده ان يوم القيامة ممتد من تكوير الشمس ،

١ - انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ، الطبعة

وما بعده ، الى ان يرى اهل الجنة ، الجنة ، واهل النار النار .^١
ويرى ايضا : ان هذا الكون بما فيه يوول الى الخراب ، وتحول
مادته الى مادة سديمية ، تشبه الدخان .
يقول الشيخ محمد عبده :

(اذا وقعت الواقعة ، وقرعت القارعة ، وكورت الشمس ^٢ ،
وتناثرت الكواكب ، وانثقت السماء شقا ، ورجت الارض رجا ، وسست الجبال
بسا ، فكانت اولا كالصهن المنفوش ، ثم صارت هباء منبثا ، فان مادة
هذا الكون تعود كما كانت قبل التكوين : اي مادة سديمية ، وهي ما عبر عنه
في بدء التكوين بالدخان) .^٣

ثم استشهد الشيخ محمد عبده على خراب هذا العالم بتوقعات علماء
الهيئة الخرييين ، قال :

(وان كثيرا من علماء الهيئة الخرييين ، ليتوقعون خراب هذا العالم
بقارعة تحدث من اصطدام بعض الكواكب ببعض ، بحيث يظل الجذب العام الذي
قام به هذا النظام وهو في معنى ما ورد من تشقق السماء بالغمام ، وهذا المعنى
لم يكن يخطر ببال احد على عهد نزول القران) .^٤

ثم عدد الشيخ محمد عبده الحوادث التي تقع من اول يوم القيامة على ما هو
مذكور في سورتي : التكوير ، والانفطار ، على النحو التالي :

-
- ١ - انظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة (٥ : ٣٣٩) .
 - ٢ - قال ابن عباس : يعني اظلمت ، او قيل ذهبت يعني ذهب ضوءها ،
واضمطت .
 - وقال ابن كثير : جمع بعضها الى بعض ثم لفت فربها بها /
 - / انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦٠٤) .
 - ٣ - تفسير المنار (٢ : ٢٦٤) .
 - ٤ - نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(اولا) :

=====
تكوير الشمس : وتكويرها دهورتها وسقوطها ، وذلك عند خراب

العالم الذى يعيش فيه الحي حياته الدنيا ، فان علمه الاخر ، الذى

ينقلب اليه لا يبقى فيه شيء من هذه الاجرام . فالشمس تسقط ويمحى

• ضوءها

(ثانيا) :

=====
انكدار النجوم : وهو تناثرها وانقراضها حتى تذهب ، ويمحى

• لاء لاؤها

(ثالثا) :

=====
تسيير الجبال : وهذا يكون عند الرجفة التي تزلزل الارض ،

فقطع اوصالها ، وتفصل منها اجبالها ، فتسير هذوفة في الفضاء

وقد تمر على الرؤوس مر السحاب

يقول الشيخ محمد عبده عن الموعد الذى تقع فيه هذه الحوادث :

(وهذا الحوادث تقع متى جاء الاجل ، واقتضت الحكمة الالهية

ان تخرب الارض ، ويتبدل نظام هذا الكون الحاضر ، بالنظام الذى يستقر عليه

امره بعد ذلك الاضطراب) . " ١ "

وفي سورة الانفطار عود الى التذكير باليوم الاخر ، فسرنا الشيخ محمد عبده

كما يلي :

قال : (ذكر الله اليوم الاخر ببعض ما يحدث فيه من عظام الامور ، كما

من علينا بمثل هذا التذكير في السورة السابقة فقال تعالى " اذا السماء انفطرت " . " ٢ "

١ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٣٦) .

٢ — سورة الانفطار اية (١) .

اي : انشقت .

وجاء في سورة الفرقان قوله تعالى : " ويوم تشقق السماء بالغمام " ٢ " ،
وانشقاق السماء ، انصداع نظامها ، فلا يبقى امرها ، فيها ، من الكواكب على ما نراه
اليوم ، فيخرب العالم بأسره ، ولذلك عقب انشقاق السماء بما هو من لوازمه ،
حيث قال تعالى : " واذ الكواكب انتشرت " ٢ " ، اي سقطت فبادت .

فاذا كان ذلك ، اضطربت الارض ايضا ، وزلزلت زلزلا شديدا ،
ووقع الخلل في جميع اجزائها ، فتفجر البحار ، وتزول الحواجز بينها ، فيختلط
عذبها بمالحها ، بل تفيض على الارض حتى يصير سطح الارض ماء لحظات من
الزمان . وذلك قوله تعالى في سورة التكويد : " واذ البحار سجرت " ٣ " ،

اي ملئت ، وفاض منها الماء على التأويل الاول .

وقد يصح اجراء ما هنا على التأويل الثاني ، وذلك :

انه بعد ان تفجر البحار ، ويفيض ماؤها تظهر النار ، وتأخذ

مكان الماء بعد ان يتحول الى بخار

واذا وقع ذلك انقلب باطن الارض الى ظاهرها ، فلا ريب في ان تبعثر

القبور - اي يظهر ما كان قد خفي من بقايا اجساد الموتى - وبعد ذلك يكون

بعث الاموات ، واحياؤهم في النشأة الاخرة) . " ٤ "

١ - سورة الفرقان آية (٢٥) .

٢ - سورة الانفطار آية (٢) .

٣ - سورة التكويد آية (٦) .

٤ - تفسير جزء عم ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٤٦) .

والشيخ محمد عبده ، يذكر بعض أسماء يوم القيامة ، فيقول :

أ : يوم الفصل :

قال : (وهو يوم القيامة ، يظهر فيه الحق ، وينكشف الستار عن

القلوب ، والالتباس عن الميرون ، فيفصل بين الحق

والباطل) . " ١ "

ب : اليوم الموعود :

قال : (واليوم الموعود هو يوم القيامة ، لان الله وعد به ، ولما

نصل اليه) . " ٢ "

ج : الفاشية :

قال : (هي الداهية التي تغشى الناس بشدائد ها ، وتغمرهم

اهوالها ، والمراد منها هنا " ٣ " يوم القيامة) . " ٤ "

د : الصاخة :

هـ : القارعة :

و : الطامة الكبرى :

قال : (والصاخة ههنا " ٥ " - كالقارعة في سورتها - هي الحادثة

العظمى التي عبر عنها ، بالطامة الكبرى ، يكون نذيرها ذلك الصوت الهائل

الذى يحدث من تخريب الكون ، ووقوع بعض اجرامه على بعض ، ولكون هذه الحادثة

تأتي بذلك الصوت المفزع سميت : صاخة ، وقارعة .

١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣١٢) .

٢ - نفس المصدر (٥ : ٣٧٤) .

٣ - اى في قوله تعالى " هل اتاك حديث الفاشية " / سورة الفاشية اية (١)

٤ - المصدر السابق (٥ : ٣٩١) .

٥ - اى في قوله تعالى " فاذا جاءت الصاخة " / سورة عيس اية (٣٣) .

او انها سميت صاخة : لانها بما تأتي به من ذلك الصوت تمنع الاذان ،
اي تصمها " ١ " ، فلا تسمع النفوس شيئاً في ذلك الوقت الا ما تتلدى به وتدعى
الى الحياة والنشور) " ٢ " .
يقول الشيخ محمد عبده :

(وهذه الاسماء كلها اسما للقيامة المطلق ، يوم ينكشف للاواح
مشهد الجبروت الاعظم ، فيشغل كل نفس ما يصيها من هيبة الجلال الالهي) " ٣ " .
هذا هو مذهب الشيخ محمد عبده في بداية اليوم الاخر - يوم القيامة -
واني ارى ان مذهبه هذا ، لا غبار عليه ، ولا شيء يورد عليه ، وهو
مذهب السلف - رضي الله عنهم - وجمهور العلماء ، وهو ما تؤمن به ، وما
يجب على الجميع ان يؤمن به .

وحاصل ما يؤمن به السلف في هذا الامر : هو ما اخبر به الله عز وجل
في القران الكريم ، ولا سيما في سورتي التكويد ، والانفطار ، بكل ما يحدث في
اخر يوم من ايام الدنيا ، وهدء اليوم الاخر ، وهو ما يدل عليه مجموع الايات الكريمة
من ان اليوم الاخر يبدأ باحداث تفسير عام شامل في هذا الكون الواسع ، فتفتق
السماء ، وتتناثر النجوم ، وتتصادم الكواكب ، وتتفتت الارض ، وتزول الجبال
ويخرب كل شيء ، ويدمر كل شيء ، فلا يعرف الناس شيئاً مما كانوا يصرفون
في هذا الوجود . " ٤ " .

-
- ١ - الصخ هو الضرب بالحديد على الحديد ، وصخ الصخرة وصخيخها : صوتها
اذا ضربتها بحجر او غيره ، من باب رد / انظر : مختار الصحاح ص ٣٥٧ .
 - ٢ - تفسير جزء عم ، السابق (٥ : ٣٣١) .
 - ٣ - نفس المصدر ، ونفس الصفحة .
 - ٤ - انظر : - مجموع الفتاوى (٥ : ٥٦٤) ، (١٩ : ١٠١) .
- فتح الباري (١١ : ٣١٣) .
- العقائد الاسلامية ص ٢٥٩ .
- العقيدة الاسلامية ، واسمها (٢ : ٣٤٢) .

قال الله تعالى :

" يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وهزوا لله الواحد القهار " ١

وهكون هذا بعد النفخة الاولى مباشرة ، التي ينفخها الملك " اسرافيل " بلمر

وهه ، فيصعق كل من في السموات والأرض الا ما شاء الله تعالى .

وقال الله تعالى :

" ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا ما شاء الله " ٢

وقال تعالى :

" فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة

فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية " ٣

وفي الاحاديث الصحيحة ما يدل على مثل هذا :

فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" يقبض الله الأرض ويطوى السماء يمينه ثم يقول : اين ملوك الأرض " ٤

وبالجملة :

فالشيخ محمد عبده يؤمن بما يؤمن به السلف الصالح - رضوان الله

عليهم - في هذا الموضوع ، وهو موافق لهم جملة وتفصيلا ، من غير ان يؤول

شيئا من ذلك او يرده ، فجزاه الله خيرا ، وجزى السلف فيما قالوه خيرا الجزاء .

١ - سورة ابراهيم اية (٤٨) .

٢ - سورة الزمر اية (٦٨) .

٣ - سورة الحاقة الايات (١٣ - ١٦) .

٤ - فتح الباري شرح صحيح البخارى (١١ : ٣١٣) .

٢ - البعث والحشر :

=====

مذهب الشيخ محمد عبده في حقيقة البعث :- هو الايمان باعادة الحياة
ثانية الى الاموات على اثر النفخة الثانية المشار اليها في قوله تعالى :
" يوم ترحف الراجفة تتبجها الرادفة " م " ١ "
قال الشيخ محمد عبده : (هذا هو يوم البعث : وهو بعث الاموات واحياؤهم
في النشأة الاخرة) .

كيفية البعث :

=====
للشيخ محمد عبده رأيان في الكيفية التي يكون طيها البعث :
هما :-

(الرأي الاول) :

=====
اطدة الانسان روحا وجسدا كما كان في الدنيا .
يقول في تفسير قوله تعالى : " واذ النفوس زوجت " ٢ " ه : اى زوجت
الارواح بأبدانها ، وهي النشأة الاخرة .
وفي الاية ما يشعر بأن النفوس كانت باقية من يوم الموت الممتد الى يوم
المعاد ، وانما تتزوج بالبدن بعد ان كانت منفردة عنه . " ٣ " هـ

١ - سورة النازعات الايات (٦ - ٧) .

الراجفة : هي النفخة الاولى . والرادفة هي النفخة الثانية . هكذا
ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما / انظر فتح الباري شرح صحيح البخارى
(١ : ٣١٠) .

٢ - سورة التكويد اية (٧) .

٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

(الرأي الثاني) :

فيه اشارة الى ان المعاد انما يكون ببعث الارواح فقط . دون اطادتها

الى الاجساد التي منها خرجت ،

وقد عرض لهذا الامر محقق كتاب " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة

والكلاميين " ، فقال :

(وقبل ان نسوق ما قاله الشيخ محمد عبده في مسألة البعث الجسماني

تعليقا على رأى زميليه " ١ " ، نسوق رأى هذين الزميلين اولا ، فان رأى الشيخ محمد

عبده - وهو تعليق - لا يفهم الا بعد فهم الفكرة التي كان هو تعليقا عليها .

قال العضد : (والمعاد) .

قال الجلال : (اى الجسماني ، فانه المتبادر عند اطلاق اهل الشرع :

ان هو الذى يجب الاعتقاد به ، ويكفر من انكره .)

قال العضد : (حق) .

قال الجلال : (باجماع اهل الملل الثلاث ، وشهادة نصوص القرآن في

المواضع المتعددة ، بحيث لا تقبل التأويل .

كقوله تعالى : " اولم يرا الانسان انما خلقناه من نطفة فاذا هو

خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل

يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم " . " ٢ "

قال المفسرون : نزلت هذه الاية في ابي بن خلف " ٣ " ، خصم النبي صلى

١ - عند الدين الايجي صاحب المواقف ، وجلال الدين الدواني .

٢ - سورة يس من الايات (٧٧ - ٧٩) .

٣ - كان من اشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايداء له ،

لم يسلم ، وبقي على كفره حتى مات ، وسيخفه الله ويدخله النار .

كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم .

الله عليه وسلم ، واتاه بمعظم قدره اولى ، قبضه ، ففتته بيده ،

وقال :-

يا محمد ... اتروى الله يحيى هذا بمه ما رم ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " نعم وبيعتك ويدخلك النار " .

وهذا مما يقطع عن التأويل بالكلية .

ولذلك قال الامام : الانصاف انه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء به

النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين انكار الحشر الجسماني .

قلت : ولا الجمع بين القول بقديم العالم ، على ما يقول به الفلاسفة ،

وبين الحشر الجسماني ايضا ، لان النفوس الناطقة على هذا التقدير غير

متناهية ، فيستدعي حشرها جميعا ابدانا غير متناهية ، في امكنة غير

متناهية ، وقد ثبت تناهي الابدان بالبرهان ، واخرافهم (ا هـ)

وهنا يشرح الشيخ محمد عبده عبارة الجلال الدواني قائلا :

(اى لا يمكن الجمع بين القول بقديم العالم ، على ما بينه الفلاسفة

من الاستدلال على قدم الانواع وبين الحشر الجسماني ، لان النفوس الناطقة التي هي

نوع من انواع العالم تكون غير متناهية على هذا التقدير - اى تحدى بقديم النوع -

فيستدعي حشرها جميعا ابدانا غير متناهية ، حيث لا يمكن تعلق نفسين او ازيد

ببدن ، بل تعلق نفسين او ازيد ببदन واحد ، لا يكون معه بد من ابدان غير

متناهية ، فان النفوس على هذا لا تحيطها مراتب العدد ، والابدان غير المتناهية

تفتقر الى امتداد غير متناه .

وقد قام البرهان على بطلان عدم تناهي الابدان ، وقرأ بهم عليه .

اى الفلاسفة القائلون بقديم العالم لا يمكنهم القول بالحشر الجسماني ،

فيحتتم منهم انكاره ، ومنكره كافر ، فهم كفار (ا هـ)

والى هنا ينتهي الشيخ محمد عبده من شرح وعرض عبارة الجلال الدواني ،

ثم يعلق عليها قائلا :

(واقول) :

اولا : اعجب لهذا المحقق ، كيف نسب هذا القول للفلاسفة على الاطلاق ، مع ان منهم من صرح بنفي لزوم قدم النوع ، كالشيخ الرئيس " ١ " ، واحتج على ذلك في كثير من كتبه ، وتبعه على ذلك الجم الغفير منهم .

والذين يتوهم من كلامهم القول بالقدم النوعي لم يكن صرحا في اقوالهم .

وثانيا : حيث صرحوا بثبوت الحشر الجسماني ، وصرحوا بقدم الانواع -

على ما زعمه - فهم بالحشر مؤمنون .

وما لزمه عليهم لازم مذهب ، ولازم المذهب ليس بمذهب كما هو مشهور .

وثالثا : لم لا يصح الجمع بين القولين مع جواز ان يجعل النص من قبيل

المتشابه الذي لا مجال للرأى فيه ، ولا يعلم معناه .

فمن بحشر جسماني لا يعلم ما معناه ، وما كلفيته ، بل كما اراده

القائل اجمالا ، كما في سائر التشابهات ، او يدخله التأويل بوجه ما .

وواعجبا كيف ان الشارح فيما تقدم - في مسألة الوعد

والوعد - قد جعل جميع الاخبار انشآت ، للتهديد والتوعيب ، ثم جاء ههنا

وسد باب التأويل كأنه العالم يحكم ما يريد .

ورايها : ان هذا الشارح قال في رسالته " الزوراء " بقدم العالم

بالشخص فضلا عن النوع .

فكيف ما غله التكلم بمثل هذا الكلام في هذا الكتاب ؟

فان قال : لكل مقام مقال . فالحكماء مثل هذه المقالة (١٠ هـ " ٢ ")

يقول المحقق :

(وفيما قاله الشيخ محمد عبده في هذه النقاط الاربع مجال لتعقيب ،

وسأعقب على كل واحدة منها ، ولكن تمشيا مع الغرض الذي من اجله سقت هذه

١ - ابن سينا ، وقد مرت ترجمته .

٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٠٦ - ٦٠٨) .

النصوص ابدا في التعقيب بالنقطتين : الثانية والثالثة ، لابين ان الشيخ محمد
عده قد ارفع العقل على ان يتجاوز طوره ، واقحمه في مضائق لا سبيل له الى
التخلص منها .

لقد رأى الاستاذ الامام انه لا بأس على الفلاسفة ان يقولوا بتقديم الانواع ،
وان يقولوا تبعا لذلك ، بأن النفوس الانسانية قد وجد منها عدد غير متناه ،
وان هذا العدد غير المتناهي موجود الان ، لان المجردات لا تفتى عندهم ،
لا بأس على الفلاسفة — عند الاستاذ الامام — ان يقولوا بكل ذلك ، ما داموا
قد صرحوا بحشر الاجساد .

واذا كان يلزم القول بقدم النفوس ، حاجتها الى مادة غير متناهية يصاغ منها
اجسام بعدد هذه النفوس غير المتناهية ، وحاجتها ايضا الى امكنة غير متناهية ،
ضرورة ان الاجسام غير المتناهية تتطلب امكنة غير متناهية .

واذا كانت هذه اللوازم محالة ، لان المادة متناهية فلا يمكن ان تفي
باجسام لنفوس غير متناهية ، ولان الامكنة غير المتناهية ، مستحيلة الوجود لان
الابعاد متناهية .

واستحالة هذه اللوازم تعني استحالة حشر اجساد لهذه النفوس غير
المتناهية . فليس يضير الفلاسفة شيء من جراء هذه اللوازم المقتضية لانكار حشر
الاجساد ، لان الفلاسفة لم يصرحوا بها ، وانما لزمت مذاهبهم في قدم النوع
الانساني ولازم المذهب ليس بمذهب .

فمذاهبهم قدم النوع الانساني فقط لا يلزم منه انكار حشر الاجساد .
ثم اهم — مع ذلك — مصرحون بحشر الاجساد فلا يضير عليهم .
هذا هو بيان النقطة الثانية .

ولا بأس بمجارات الاستاذ الامام على هذا الرأي ، فقد جرى على السنة العلماء
ان لازم المذهب ليس بمذهب ، وان يك في النفس من ذلك شيء فانه اذا كان هذا
اللازم بيننا ، تدركه النفس لاول وهلة فكيف لا يكون مذاهبا ؟ ومعيد ان يقال :

ان امثال ابن سينا والفارابي وابن رشد لم يدركوا ان قدم النوع الانساني يعني وجود نفوس غير متناهية ، وان حشرها في اجسام يستدعي مادة تفي بعددها غير المتناهي .

ولا اقف مع هذه النقطة اكثر من ذلك ، فانها ليست بيت القصيد في الموضوع ، بل انتقل الى النقطة التالية التي يخطوبها الاستاذ الامام خطوة اجرا من سابقتها .

انه فيما سبق — كما رأينا — يلتزم — بلسان الفلاسفة — القول بقدم العالم ويتبرأ من لازمه الذي هو انكار حشر الاجساد متذرا بأمرين :

• اولهما : ان لازم المذهب ليس بمذهب .

• وثانيهما : انهم مصرحون بحشر الاجساد .

وخلاصة ذلك : انهم مؤمنون بقدم العالم فقط دون لازمه ، ومؤمنون بحشر

الاجساد .

اما في هذه النقطة ، فيلتزم الاستاذ الامام — بلسان الفلاسفة — ما يلزم القول بقدم العالم وهو عدم حشر الاجساد بالاضافة الى ايمانهم في نفس الوقت بحشر الاجساد .

واذا بدا ان هذا جمع بين التقيضين فلا ستاذ الامام يفك الجبهة بان يجعل حشر الاجساد المنفي هو الحشر الذي يفهم من دلالة هذه الالفاظ بحسب اوضاع اللغة المرصية اى المعنى الحقيقي لهذه الالفاظ ويجعل الحشر المثبت امرا غير محدد المعنى وغير مفهوم .

(فنوء من بحشر جسماني لا تعلم كيفيته ولا يعلم معناه) في الوقت الذي

ننفي فيه حشرا جسمانيا نعلم معناه .

وكيف ذلك ؟ الا يكون نفي الحشر الجسماني بمعناه المحدد المعروف ،

مقتضيا لان يكون الحشر الجسماني الذي نوء من به شيئا اخر غير ما يناله ، متنافيا

معناه ، فماذا عساه يكون ؟ انه مهما يكن امره ليس حشرا جسمانيا بالمعنى

المعروف • وإذا كان الاستاذ الامام يطلب منا ان لا نحدد معنى الحشر الجسماني الذي تقتضينا النصوص الايمان به ، فلا مناص لنا من ان نحدد به عن الحشر الجسماني الذي يفهم من هذه الالفاظ • لان الحشر الجسماني الذي نفهمه ونعرفه باطل ، ضرورة ان القول بقدم النوع الانساني يستلزم فيه ، فهو شيء غير الحشر الجسماني ، وان سمي بأنه حشر جسماني ، وهذا من الشيخ محمد عبده موقف ، لا احمده له ، لانه اما ان يكون

تلاجبا بالالفاظ او تلاجبا بالمقل نفسه •

فلا ايمان بالالفاظ لا يعرف معناها ، كيف يكون ؟ انه يتأدى الى الايمان

بأننا اخبرنا بهذه الالفاظ ، وحسب •

ثم كيف يطلب اليها الاستاذ الامام ان (نؤمن بحشر جسماني لا تعلم

كيفية ولا يعلم معناه) وهو قد صرفنا عن ان نريد منه الحشر الجسماني الذي

استلزم فيه • القول بقدم النوع الانساني ، وعدم كفاية المادة المتناهية للوفاء

باجساد لا رواح غير متناهية •

ان !الصرف عن هذا المعنى المعروف ، تحديد في الجملة للمعنى الذي طلب

اليها ان لا نحدده بوجه من الوجوه •

قد يقال : ان الشيخ محمد عبده حين طلب اليها ان (نؤمن بحشر

جسماني لا يفهم معناه) لم يفعل سوى ما فعله السلف حين كانوا يقولون :

(نحن نؤمن بوجه لله ويد لله واستواء لله لا نعلم معناها) •

واى عيب على الفلاسفة ان يتهجوا منهج السلف ؟

نعم لقائل ان يقول ذلك ، ولكن لعله لا يصعب ادراك ما بين المنهجين

من فوق • ان السلف همهم الاول والاخير ، هو فهم النصوص ، فما وجدوه منها

صالحا لاجرائه على مفاده الظاهر ابقوه على ظاهره وفهموا منه هذا الظاهر •

وما وجدوا ظاهره غير صالح ، لمخالفته نصا اخر محكما ، اولان العقل

لا يقر هذا الظاهر ابوا ان يبقوه على ظاهره ، وصرّفوه عنه لا الى معنى بالذات بل

الى معنى يكلون تحديده الى الله تعالى •

هذا منهج السلف يقوم على الاحتياط ، والتسليم ، والتفويض ،
اما منهج الفلاسفة الاسلاميين • فانهم يحجون وراء عقولهم ولا يلبون على شيء اخر
، فكل ما اشار به العقل عليهم ، فهو مقبول ، وما عداه مرفوض •
ثم اذا انتهوا الى نتيجة عادوا فنظروا في النصوص القرآنية التي تتحدث عن
موضوعات بحثهم ، فان وجدوها على وفاق معهم ، قبلوها ، وان وجدوها على
خلاف مع ما انتهوا اليه صرفوها عن ظاهرها بالتأويل ، وحملوها على المعنى الذى
انتهى اليه بحثهم ، وهذا هو التأويل • وغالب الامر عندهم جار على هذا
النحو •

وربما كما هو الحال في هذه الجزئية التي معنا ، بناء على تصوير الشيخ
محمد عبده لمذهبههم — يصرفون ما يخالف نتائج ابحاثهم عن ظاهره ، ولا يهتمون
بتحديده معناه بل يتكرونه غامضا ، او — كما يريد الاستاذ الامام ان يقول —
مفوضا الى الله •

ولعلمهم لا يلجؤون الى هذا اللون من التأويل — الذى يريد ان يجعله
الاستاذ الامام تفويضا على نحو ما كان يصنع السلف — الا حين يصيهم ان يحمله على
معنى محدد • فمادام عسى يستطيع الفيلسوف ان يفهم تصريحات القران في امر البحث
القرآني ؟ ماذا عساه يستطيع ان يؤول قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
لابي بن خلف : " نعم ويبعثك ويدخلك النار " جوابا لقوله له : اترى
الله يحيي هذه بعد ما رمى ، ويدهه قطعة عظم بالية ، يعركها بيده فتساقط
قطعا قطعا ؟ بم يؤول الفيلسوف هذا ؟ وهو قد انتهى الى ان بعث هذه
الاجسام مستحيل • ضرورة ان قدم النوع الانساني الذى يقوله يتطلب مادة غير
مناهية ، وامكنة غير محدودة ؟

وان لا سبيل الى صرف هذا الامر الواضح عن ظاهره ذلك الذى كان موضع
جدال بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين ابي بن خلف ، والذى نزل فيه
قول قرآني واضح محدد وهو قول الله تعالى :

"ضرب لنا مثلا ونسي خلقه" قال من يحيى العظام وهي رميم قل
يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عظيم "١٠" .
فالوسيلة الوحيدة المتميزة عليهم في هذه الحال هي ادعاء ان هذا من
المتشابه الذي لا يدرك مراد الله منه ، الا الله وحده ، واما ظاهره فهذا
غير مراد .

ولهذا لجأ الفلاسفة - فيما يرى الاستاذ الامام - الى هذه الحيلة
ولجؤوا هم مرة او مرتين الى منهج السلف لا يجعلهم سلفيين .
والا فلو كانوا سلفيين حقا ، فلماذا لم يكن ديه نهم التفويض ، في
كل ما يمنع من ظاهره مانع ، لماذا صرفوا كثيرا من الايات عن ظواهرها الى معان
اخرى محددة ، دون ان يفوضوا فيها كما يفوض السلف ؟ ان التفويض عند
السلف منهج وعند ابن سينا ضرورة .
والدليل على ان الاستاذ الامام ، لم يكن جادا في مطولته الدفاع عن
الفلاسفة :

تارة : بأنهم قد لزمهم انكار البحث الجسماني ولم يصرحوا به ولازم المذهب ليس
بمذهب .

وتارة : بأنه على فرض انهم صرحوا ، بنفيه ، فهم قد صرحوا باثباته ولا مانع من
الجمع بين القولين بأنه يجعل تصريحهم باثباته متابعة للايات القرآنية على ان
تكون الايات القرآنية من قبيل المتشابه ، فيكون البحث الذي صرح الفلاسفة باثباته ،
بعثا غير مفهوم المعنى والكيف ، فلا يتعارض اثباته على هذا الوجه مع نفيه على
وجه محدد .

امران :

اولهما : ان الفلاسفة لم يلزمهم القول بانكار البحث الجسماني ولكنهم صرحوا به تصريحاً ،

وهاك قول ابن سينا في كتابه "رسالة اصحوية في امر المعاد" * ١ *
(لكننا نبين بيانا برهانيا انه لا يمكن ان تعود النفوس بعد الموت الى

البدن ، البتة) * ٢ *

وثانیهما :

ان ابن سينا لم يعترف بان هناك بعثا جسمانيا اصلا ، لا بمعنى مفهوم

ولا بمعنى غير مفهوم وانما كان قد قسم البحث ، في كتابيه "النجاة" ،

"الشفاء" - الى روحاني وجسماني فقال فيهما بنص واحد :

(يجب ان تعلم ان المعاد منه يقبول من الشرع ، ولا طريق الى اثباته

الا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند الموت ،

وخيرات البدن وشوروه معلومة لا تحتاج الى ان تعلم) .

فليس معنى ذلك ان ابن سينا يعترف بان هناك بعثا جسمانيا ، بل

كل ما يفيد هذا النص ان الشريعة قد اخبرت به ، وليس بلازم عند ابن سينا

ان كل ما اخبرت به الشريعة يكون كما اخبرت به .

يقول ابن سينا نفسه من ذلك في "النجاة" :

(وكذلك يجب عليه - اي على النبي - ان يقرر عندهم - اي البشر -

امر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ، وتسكن اليه نفوسهم ، ويضرب للسعادة

والشقاوة امثالا ، مما يفهمونه ويتصورونه واما الحق في ذلك فلا يلوح لهم منه

الا امرا مجملا) .

نالبحث الجسماني الذي يتحدث عنه القران ليس له - عند ابن سينا -

معنى مفهوم ، ولا معنى غير مفهوم ، ولكنه مجرد تمثيل ، لتفهم العامة ،

وزيدنا ابن سينا تصريحاً بهذا المعنى في كتابه المخصص لبحث مسألة البعث

١ - تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، نشر دار الفكر العربي .

٢ - انظر : كتاب محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ١٧) نقلا

عن "رسالة اصحويه في امر المعاد" ص ٨٩ .

” رسالة اضحويه في امر المعاد ” حيث يقول :

(فظاهر من هذا كله ان الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمونه ،
مقرا ما لا يفهمونه الى افهامهم بالتشبيه والتمثيل ، ولو كان غير ذلك لما اغنت
الشرائع البتة وكيف يكون ظاهر الشرع حجة في هذا الباب ، ولو فرضنا الامور الاخروية
روحانية بعيدة عن ادراك بداية الازهان ، لحقيقتها ، لم يكن سبيل الشرائع
في الدعوة اليها ، والتحدير عنها منها بالدلالة عليها ، بل بالتصبير عنها بوجوه
من التمثيلات المقررة الى الافهام ، فكيف يكون وجود شيء حجة على وجود شيء
اخر ولو لم يكن الشيء الاخر على الحالة المفروضة ، لكان الشيء الاول على حالته) .

فليس هناك اذن بحث جسماني البتة ، وانما هو تصوير وتمثيل ،
فليس هناك اذن تفويض ولا تشابه ، ولا مشابهة لموقف السلف ، وانما هو دفاع
عن الفلاسفة وعن غرور العقل بما لا يبرر له) .

نكتفي بهذا القدر من كلام الاستاذ سليمان دنيا ، فهو المطلوب ،
اما مناقشته للشيخ محمد عبده في باقي النقاط الاربعة التي ذكرها الشيخ محمد عبده
في مناقشته : الجلال الدواني فلا حاجة بنا اليها ، لبعدها عن جوهر المسألة .
اذن هذا هو رأي الشيخ محمد عبده في مسألة البحث والحشر الجسماني
كما فهمه الاستاذ سليمان دنيا .

وقد مر بنا تصريحه الصريح بالبحث الجسماني ، في تفسير جزء عم عند آية
” وانا النفوس زوجت ” (اي زوجت الارواح بأبدانها وهي النشأة الاخرة) .
هذان عرضان لمسألة واحدة في موضعين مختلفين :

• احدهما : صريح واضح

• والاخر : رمز وشارة

ففي ضوء ما مضى هل يفهم القول الصريح على أنه رأي الحق في المسألة .
وفهم الرمز والاشارة على انه ترضية للفلاسفة او تمويض للعقل ، وسويبه الى
شاو لا ييلغه ، واقحامه في مضائق لا يقوى على سلوكها ؟ ؟
او العكس وهو ان يفهم القول الصريح على انه ترضية للخير - وفي هذه المرة -
هم السلف وجمهور المسلمين .

وفهم الرمز والاشارة - على انهما رأي الحق في المسألة ؟
والذي استطيع ان اقله : ان ذلك موقف غير واضح من الشيخ محمد عبده .
كنا نحب ان نعريف رايه القطعي في المسألة ، اهو مع الفلاسفة المنكرين للبعث
الجسماني ام مع السلف وجمهور المسلمين المتهئين له ، المعتقدين به ؟ ،
ام انه سلك مسلكا جمع فيه بين مذهب السلف في وجوب الاحتياط والتسليم والتفويض
فيما يتعلق بحال الغيب من غير بحث عن حقيقته ، والوقوف عند ظاهر النص ،
وبين مذهب الفلاسفة في قبول ما يشير به العقل عليهم لا يلوون على شيء اخر ،
وصرف النصوص عن ظاهرها بالتاويل وحملها على المعنى الذي يشير به العقل عليهم
وهذا هو التاويل ؟ ومذهب الفلاسفة باطل لمخالفة النصوص وتاويل البحث ، وادعاء
ان النصوص من المتشابه الذي لا يدرك مراد الله منه الا الله وحده ، مرفوض لانه
لا سبيل الى صرف النصوص الواضحة عن ظواهرها ، ولا سبيل الى القول انها من
قبيل المتشابه لانها ايضا واضحة ومحددة ومفهومة .

فيبقى مذهب السلف في مسألة البحث والحشروهاك ما قالوه :
ان المولى سبحانه وتعالى ، يأمر بالنفخة الثانية ، فتعود الحياة
على اثرها الى الاموات فيبعثون روحا وجسدا تماما كما كانوا في الدنيا ، وهذا هو
يوم البحث ، فيخرج الله الناس من قبورهم احياء فيقول الكفار والمنافقون :
" يا ويلنا من بعثنا من مردنا " ١ .
ويقول المؤمنون " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " ٢ .

١ - سورة يس اية (٥٢) .

٢ - سورة يس اية (٥٢) .

يقول مشر من ذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :-
(وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
وامر المعاد للارواح والاجساد ، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك :
بيانا في غاية التمام والكمال) * ١ *

وسئل رحمه الله :

هل اهل الجنة يأكلون ويشربون وينكحون بتلذذ كالدنيا ، وهل تبحث
الاجسام بعينها ؟

فأجاب :

(اما اهل الجنة فيأكلون ويشربون وينكحون متنعمين بذلك باجماع المسلمون
، كما نطق به الكتاب والسنة ، وانما ينكر ذلك من ينكره من اليهود والنصارى
، وهذه الاجساد هي التي تبحث كما نطق به الكتاب والسنة) ١٠١ هـ * ٢ *
ويقول رحمه الله في موضع اخر :

(والاعادة التي اخبر الله بها هي الاعادة المعقولة في هذا الخطاب ،
وهي الاعادة التي فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهي التي يدل عليها لفظ الاعادة ،
والمعاد هو الاول بعينه .

وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البهامة فرق ، فذلك الفرق لا يمنع ان يكون
قد اعيد الاول ليس الجسد الثاني مابنا للاول من كل وجه ، كما زعم بعضهم ،
ولا ان النشأة الثانية كالاولى من كل وجه ، كما ظن بعضهم ، وكما انه سبحانه
خلق الانسان ولم يكن شيئا ، كذلك يعيده بعد ان لم يكن شيئا) * ٣ *

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣١٤) .

٢ - نفس المصدر (٤ : ٣١٦) .

٣ - مجموع الفتاوى (١٧ : ٢٥٥ ، ٢٥٦) / وانظر المواقف للايجي

(٢ : ٤٤٢) / وانظر سعد الدين التافازاني على العقائد النسفية ص ٤٠٠ .

يقول الشيخ سيد سابق :

(ويبدأ اليوم الآخر بالبعث : وهو إعادة الانسان روحا وجسدا كما كان في الدنيا ، وهذه الاعادة تكون بعد العدم التام ، ولا يستطيع الانسان معرفة هذه النشأة الاخرى لانها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الاولى) .

• ويكون الحشر بعد بعث الخلائق

والحشر هو سوقهم الى الموقف ، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظارا

لفصل القضاء بينهم .

ينقل الشيخ رشيد رضا عن الشيخ محمد عبده في معنى الحشر الى الله

تعالى :

(انه ليس لله تعالى مكان يحصره فيحشر الناس ويساقون اليه ،

ولكن الانسان يخفل في هذه الدار عن الله فينسى هيئته وجلاله ، وينصرف عن استشعار عظمته وسلطانه ، لان شغاله يدفع المكاره عن نفسه ، وجلب اللذائذ والرغائب لها ،

واما ذلك اليوم الذي يحشر له الناس فلا اشتغال فيه بتقويم بنية ولا التمتع بلذة ، ولا مدافعة عدو ، ولا مقاومة مكروه ، ولا بتربية نفس ولا تنزيه حس ، وانما يستقبل فيه كل احد ما يلاقه من الله تعالى جزاء على عمله ، ولا يشغله عنه شيء فيكون بذلك راجعا عن كل شيء كان فيه الى الله تعالى محشورا مع سائر الناس اليه لا يشغله عنه شيء) (٢)

ويتولى الملائكة مهمة الحشر ، فتسوق الناس الى الموقف العظيم وحالهم كما

خلقوا اول مرة حفاة عراة غير متململين ولا مكتمسين ، غرلا غير مختننين ...

فقد صح عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، انها قالت :

١ - العقائد الاسلامية ، لسيد سابق (٢٦٢ ، ٢٦٣) .

٢ - انظر : تفسير المنار (٤ : ١٨٩) .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا " .

قلت : يا رسول الله : ينظر بعضهم الى بعض ؟

قال صلى الله عليه وسلم : يا عائشة : الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض^١ .

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال :

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

" يا ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا " .

ثم قال :

" كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين . . . الى اخر الاية .

ثم قال :

" الا وان اول الخلائق يكس يوم القيامة ابراهيم ، الاوانه يجاء برجال من

امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب اصحابي ، فيقال : انك لا

تدرى ما احدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح " ٢ " وكنت عليهم شهيدا

ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم .

فيقال : ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم " . " ٣ "

وفي الموقف يصيب الناس كرب شديد ، وترى الناس سكارى وما هم

بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . - اى من شدة ما هم فيه -

فقد روى القداد بن الاسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قال :

١ - متفق عليه : انظر فتح الباري (١١ : ٣٢٥) ، وانظر : صحيح

مسلم بشرح النووي (١٧ : ١٩٢) .

٢ - هو عيسى عليه السلام .

٣ - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى (٨ : ٢٣٠) .

"تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كققدار ميل" ١ ،
فيكون الناس على قدار اعمالهم في العرق ، : فمنهم من يكون الى كعبه ،
ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق
الجاما " و اشار صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه " ٢ " ٠
وفي اثناء ذلك يكون اناس في ظل الله تحت عرشه ، كما ورد في حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ، وحديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ،
فعنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ،
وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في
الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ،
نقال : اني اخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم بيئته ما
تفق شماله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه " ٣ " ٠
والناس يختلفون يوم الموقف اختلافا كبيرا حسب اعمالهم ، فالذين صلحت
عقائدهم واعمالهم ، وزكت نفوسهم يكونون اكمل اجسادا وارواحا ، وغيرهم
يكونون اقصى اجسادا وارواحا " ٤ " ٠
فمن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف : صنف مشاة ، وصنف ركبان ،
وصنف على وجوههم " ٥ " ٠

١ - قال سليم بن عامر راوى الحديث عن القداد : - فوالله ما ادري ما يعني
بالميل : امسافة الارض ، ام الميل الذي يكتحل به العين .
/ انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ : ١٩٦) .
٢ - انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ : ١٩٦) .
٣ - انظر : صحيح البخارى بحاشية السندی (١ : ١٢٠) ، الطبعة
الاولى ، المطبعة العثمانية ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
وانظر صحيح مسلم بشرح النووي (٧ : ١٢٠) / والسنن الكبرى
للبيهقي (١٠ : ٨٧) .
٤ - انظر : العقائد الاسلامية ، سيد سابق ص ٢٦٦ .

قيل : يا رسول الله : كيف يمشون على وجوههم ؟
قال : ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم .
اما انهم يتقون بوجوههم كل حداب " ١ " وشوك " ٢ "
وما اعدل ان يحشر المتكبرون والمتجبرون يوم القيامة في صور الذر ، تطوءهم
الناس لهوانهم على الله عز وجل " ٣ "
وصدق الله العظيم اذ يقول :
" ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يتردد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء " ٤ "
نعوذ بالله من هول الموقف ، ونعوذ بالله ان نكون من الظالمين . . .

-
- ١ — الحدب : ما ارتفع من الارض .
 - ٢ — رواه الترمذى .
 - ٣ — انظر : في ذلك تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام
(٥ : ٣٦٢ ، ٣٦٣) .
 - ٤ — سورة ابراهيم الايات (٤٣ — ٤٥) .

٣ - الشفاعة والحسوس

=====

أ :- الشفاعة :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان الشفاعة من التشابهات التي استأثر الله بعلمها ،
ولم يبينها •
ولذلك لا يبحث عنها ، لان علمها مرجعه النقل المحض بأسانيد
صحيحة ، ولا مجال للرأى فيه •
وقد نسب الشيخ محمد عبده هذا الرأى الى السلف " ١ " ، ضوان
الله عليهم •

ونسب الى الخلف قولهم ان المراد بالشفاعة : دعا يستجيبه الله تعالى •
تفصيل كلام الشيخ محمد عبده :

=====

ذكر الشيخ محمد عبده ان في القران الكريم ايات ناطقة بنفي الشفاعة
مطلقا ، كقوله تعالى ، في وصف يوم القيامة :

" لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة " " ٢ "

وايات اخرى ناطقة بنفي منفعة الشفاعة كقوله تعالى ،

" فما تنفعهم شفاعة الشافعين " " ٣ "

وايات تقيد النفي بمثل قوله تعالى : " الا باذنه " " ٤ " ، وقوله تعالى :

١ - السلف على خلافه لان النقل ثابت ، والا سانيد صحيحة ، فلماذا لا

يقولون بها ؟ وسترى بعد قليل مذهب السلف في الشفاعة •

٢ - سورة البقرة اية (٢٥٤) •

٣ - سورة المدثر اية (٤٨) •

٤ - سورة البقرة اية (٢٥٥) •

" ١٠٠ " الا لمن ارتضى

وذكر الشيخ محمد عبده ان الناس في هذه الايات فريقان :

فريق يحكم الثاني بالاول ، " ٢ " .

واخر يرى انه لا منافاة بينهما ، فحتاج الى حمل احدهما على الاخر ، لان مثل هذا الاستثناء - اي الاستثناء بالاذن والمشية - معهود في اسلوب القران في مقام النفي القطعي للشعاربان ذلك باذنه ومشيته عز وجل ، كقوله تعالى :

" سقرتك فلا تنسى الا ما شاء الله " . " ٣ " .

وقوله تعالى : " خالد بن فيما ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك " . " ٤ " .

وهنا يتساءل الشيخ محمد عبده ، قائلًا :-

(فليس في القران نص قطعي في وقوع الشفاعة ، ولكن ورد الحديث

بإثباتها ، فما معناها ؟) " ٥ " .

ويشرح في الاجابة ، فيقول :-

(الشفاعة المعروفة عند الناس هي ان يحمل الشافع المشفوع عنده على

فعل او ترك كان اراد غيره - حكم به ام لا - فلا تتحقق الشفاعة الا بترك الارادة

وفسخها لاجل الشفيح .

فأما الحاكم المادل فانه لا يقبل الشفاعة الا اذا تخير علمه بما كان اراده ،

او حكم به ، كأن كان أخطأ ثم عرف الصواب ورأى أن المصلحة او العدل في خلاف

ما كان يريد ، أو حكم به .

-
- ١ - سورة الانبياء اية (٢٨) .
 - ٢ - لم يفصح الشيخ محمد عبده عن هذا الرأي .
 - ٣ - سورة الاطى اية (٦) .
 - ٤ - سورة هود اية (١٠٧) .
 - ٥ - انظر : تفسير المنار (١ : ٣٠٧) .

واما الحاكم المستبد الظالم فانه يقبل شفاعة المشرمين عنده في الشيء وهو عالم بأنه ظلم وان العدل في خلافه ، ولكنه يفضل مصلحة ارتباطه بالشافع المقرب منه ، على العدالة .

وكل من النوعين محال على الله تعالى لان ارادته تعالى على حسب علمه ،

وعلمه ازلي لا يتغير) . " ١ " .

قال الشيخ رشيد : قال شيخنا :-

(فما ورد في اثبات الشفاعة يكون على هذا من المتشابهات ، وفيه يقضي مذهب السلف بالتفويض والتسليم ، وانها مؤنة يختص الله بها من يشاء يوم القيامة ، عبر عنها بهذه العبارة " الشفاعة " ، ولا نحيط بحقيقتها ، مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنى الشفاعة في لسان التخاطب العرفي .

واما مذهب الخلف في التأويل : فلنا ان نحمل الشفاعة فيه على انها

دعاء يستجيبه الله تعالى .

والاحاديث الواردة في الشفاعة تدل على هذا

ففي رواية الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم يسجد يوم

القيامة ويشني على الله تعالى بثناء يلهمه يومئذ ، فيقال له :

" ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع " .

وليس في الشفاعة بهذا المعنى ان الله سبحانه يرجع عن ارادة كان ارادها ،

لاجل الشافع ، وانما هي اظهار كرامة للشافع بتنفيذ الارادة الازلية عقيب دعائه .

وليس فيها ايضا ما يقوى غرور المفسرين الذين يتهاونون بأوامر الدين ونواهي

اعتمادا على شفاعة الشافعين ، بل فيه ان الامر كله لله . (. " ٢ " .

١ - انظر : نفس المصدر ونفس الصفحة .

٢ - تفسير المنار (١ : ٣٠٧ ، ٣٠٨) .

وهنا يقف الشيخ محمد عبده مع الاحاديث الصحيحة الواردة في "الشفاعة"
فيثبت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويوفق بين الايات والاحاديث :
بأن "الاذن" الوارد في قوله تعالى : "الا ياذنه" واقع .
وهو "ان نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع في فصل القضاء" ، فيفتح باب
الشفاعة ، فيدخل فيه غيره من الشفعاء كالانبياء والاصفياء
يقول الشيخ محمد عبده :

(والله تعالى يأذن لمن يشاء ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة
من يشاء كما علم من الاستثناء) " ١ "

” تقويم كلام الشيخ محمد عبده ” :

=====

لم يوضح الشيخ محمد عبده مذهب السلف في الشفاعة ، واكتفى بالقول :
ان السلف رضوان الله عليهم في مسألة الشفاعة ، يفوضون علم حقيقتها الى الله
سبحانه وتعالى ، وانها مزية يختص الله بها من يشاء من عباده يوم القيامة .
ونسب الشيخ محمد عبده الى الخلف القول بالتأويل ! اى تأويل
الشفاعة ، بحملها على الدعاء الذى يفعل الله تعالى عقبه ما سبق في علمه الازلي
ان سيفعله ، مع القطع بأن الشافع لم يغير شيئا من علمه ، ولم يحدث تأثيرا
ما في ارادته تعالى ، وبذلك تظهر كرامة الله تعالى لعبده ، بما اوقع الفعل
عقب دعائه .

واقول :

لم يوفق الشيخ محمد عبده في بيان مذهب السلف في مسألة الشفاعة ،
وما نسبه الى الخلف هو في الحقيقة كلام السلف ، وبه فسر الشفاعة شيخ
الاسلام ابن تيمية رحمه الله من غير تأويل .

واني احتكم والشيخ محمد عبده الى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ، نفسه ،
وهو مقرر مذهب السلف ، والكاتب بقلمهم

واليك مذهب السلف في مسألة الشفاعة كما قرره شيخ الاسلام :

يقول رحمه الله :

(اجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم ، يشفع للمخلوق يوم
القيامة ، بعد ان يسأله الناس ذلك ، وبعد ان يأذن الله له في الشفاعة .
ثم ان اهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين ،

واستفاضت به السنن من انه صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الكباثر من امته ،

ويشفع ايضا لعموم الخلق .

فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها ، لا يشركه فيها احد ،
وشفاعات يشركه فيها غيره من الانبياء والصالحين •
لكن ماله فيها افضل مما لغيره ، فانه صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ،
واكرمهم على ربه عز وجل ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين
ما يضيق هذا الموضوع عن بسطه ، ومن ذلك :
" القام المحمود الذي يفبطه به الاولون والآخرين " •
واحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها في الصحيحين احاديث متعددة ،
وفي السنن والمسانيد ما يكثر عدده (٠٠٠) •
هذا ما قاله شيخ الاسلام احمد بن تيمية رحمه الله تعالى ، في مجموع
الفتاوى ، في المجلد الاول ، صفحة ٣١٣ ، ٣١٤ • وهو كلام مختصر
مجمل ، وشرحه في نفس المجلد صفحة ١١٦ — ١٢٠ ، وفي مواضع اخرى من
كتابه سندكرها باذن الله تعالى •
وهناك ما شرحه به :-

يقول :

(ومن ذهب سلف الامة واثمتها وسائر اهل السنة والجماعة : اثبات الشفاعة
لاهل الكبائر ، والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مقال ذرة من ايمان •
وايضا : فالاحاديث المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة ،
فيها :- استشفاع اهل الموقف ليقضى بينهم ، وفيهم المؤمن والكافر •
وهذا فيه نوع شفاعة للكفار •

وايضا : ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب انه قال :
يا رسول الله : هل نفعت ابا طالب بشي ؟ فانه كان يحوطك ،
ويغضب لك •

قال : " نعم • هو في ضحضاح من نار ، ولولا انا لكان في الدرك الاسفل
من النار " •

وعن عبد الله بن الحارث قال :

سمعت العباس يقول :

قلت يا رسول الله : ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه ذلك ؟

قال : " نعم " . وجدتته في غمرات من نار ، فأخرجته الى ضحاح " .

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ذكر عنده عمه " ابو طالب " فقال :

" لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجمل في ضحاح من النار

يلغ كعبيه ، يخلي منه دماغه " .

فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في احد الكفار ان يخفف عنه العذاب ،

بل في ان يجعله اهون اهل النار عذابا ،

والشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس ، عند الاطلاق ، وهي

ان يشفع الشفيع الى غيره ابتداء ، فيقبل شفاعته .

فاما اذا اذن له في ان يشفع ، فيشفع . لم يكن مستقلا بالشفاعة ، بل

يكون مطيعا له اى تابعه في الشفاعة ، وتكون شفاعته مقبولة ، ويكون الامر

كله للامر المسؤول .

وقد ثبت بنص القوان في غير اية : ان احدا لا يشفع عنده الا باذنه ،

كما قال تعالى :

" من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه " . " ١ " .

وقال تعالى : " ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له " . " ٢ " .

وقال تعالى : " ولا يشفعون الا لمن ارتضى " . " ٣ " .

١ - سورة البقرة اية (٢٥٥) .

٢ - سورة سبأ اية (٢٣) .

٣ - سورة الانبياء اية (٢٨) .

وامثال ذلك •

والذى يبين ان هذه هي الشفاعة المنفية انه قال تعالى :
" وانذره الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا

شفيع لهم يتقون " • " ١ "

وقال تعالى : " الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى

على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع " • " ٢ "

فأخبر انه ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع (٥٠١ هـ

وقال رحمه الله في موضع اخر : " ٣ "

(وله صلى الله عليه وسلم — في القيامة — ثلاث شفاعات : —

اما الشفاعة الاولى : فيشفع في اهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد ان تتراجع

الانبياء : ادم ، ونوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى بن

• مريم ، عن الشفاعة حتى تنتهي اليه •

واما الشفاعة الثانية : فيشفع في اهل الجنة ان يدخلوا الجنة •

• وهاتان الشفاعتان خاصتان له •

واما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار •

وهذه الشفاعة له ، ولسائر النبيين ، والصديقين ،

• وغيرهم •

• فيشفع فيمن استحق النار ان لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها ان يخرج منها •

• ويخرج الله تعالى من النار اقواما بخير شفاعة ، بل بفضله ورحمته •

• ويبقى في الجنة ممن دخلها من اهل الدنيا ، فينشي الله لها اقواما فيدخلهم الجنة (

٥٠١ هـ

١ — سورة الانعام اية (٥١) •

٢ — سورة السجدة اية (٤) •

٣ — انظر : مجموع الفتاوى (٣ : ١٤٧ ، ١٤٨) •

واليك النص التالي من كلام شيخ الاسلام ، وفيه يحمل معنى الشفاعة على

الدعاء المستجاب ، له صلى الله عليه وسلم :

يقول رحمه الله تعالى :

(وهو صلى الله عليه وسلم ، شفيع الخلائق ، صاحب المقام المحمود ،

الذي يخبطه به الاولون ، والآخرين ،

فهو اعظم الشفعاء قدرا ، واعلاهم جاها عند الله تعالى ، وقد قال

تعالى عن موسى :

" وكان عند الله وجيها " . " ١ "

وقال تعالى عن المسيح :

" وجيها في الدنيا والاخرة " . " ٢ "

ومحمد صلى الله عليه وسلم ، اعظم جاها من جميع الانبياء والمرسلين ،

لكن شفاعته ودعاؤه ، انما ينتفع به من شفعه له الرسول ودعا له ،

فمن دعا له الرسول ، وشفعه له ، توسل الى الله بشفاعته ودعاؤه ،

كما كان اصحابه يتوسلون الى الله بدعاؤه وشفاعته ، وكما يتوسل الناس يوم القيامة

الى الله تبارك وتعالى ، بدعاؤه وشفاعته صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما) . " ٣ "

ويقول ايضا :

(واما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا والدين باتفاق المسلمين ،

وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ، ورفع الدرجات ، متفق عليها

بين المسلمين .

وقد قيل ان بعض اهل البدعة ينكرها .

واما شفاعته لاهل الذنوب من امته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم

١ - سورة الاحزاب اية (٦٩) .

٢ - سورة ال عمران اية (٤٥) .

٣ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١ : ١٤٣) .

باحسان ، وسائر ائمة المسلمين الاربعة ، وغيرهم ،
وانكرها كثير من اهل البدع من الخوارج " ١ " ، والمعتزلة ، والزيدية " ٢ " .
وقال هؤلاء : من يدخل النار لا يخرج منها ، لا بشفاعة ، ولا غيرها .
وعند هؤلاء ما ثم الا من يدخل الجنة فلا يدخل النار ، ومن يدخل النار ،
فلا يدخل الجنة . ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب .
واما الصحابة ، والتابعون لهم باحسان ، وسائر الائمة كالأربعة وغيرهم ،
فيقرون بما تواترت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله
يخرج من النار قوما بعد ان يعذبهم الله ما شاء ان يعذبهم ، ويخرجهم بشفاعة
محمد صلى الله عليه وسلم ، ويخرج اخرين بشفاعة غيره ، ويخرج قوما بلا شفاعة " ٣ " .
ومعد :

فهذا هو كلام مقرر السلف - رضي الله عنهم - وقد تبين منه صحة ما
ذكرت ، وهو : ان مذهب السلف في الشفاعة : ثبوتها لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وغيره من الانبياء ، والصالحين يوم الكرب العظيم .
وانما تكون بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن اذن الله له بها .
واستجابة الله لهم حسبما سبق في علمه الازلي كرامة لهم واستحقاقا .
وقد ادرك الشيخ رشيد رضا هذا المعنى عن السلف - رضي الله عنهم -
فتدارك خطأ استاذه ، فعقب على كلامه ، وذكر ان هذا هو مذهب شيخ الاسلام

١ - هم الذين خرجوا على الامام علي رضي الله عنه ، بعد حادثة التحكيم ،
بينه وبين معاوية رضي الله عنه ، وقد قاتلهم الامام علي وقضى على معظمهم .
٢ - من فرق الشيعة ، ينتسبون الى الامام زيد بن علي رضي الله عنه ، وهم
اقرب فرق الشيعة الى اهل السنة ، واغلبهم يسكن ارض اليمن من الجزيرة
العربية .

٣ - مجموع الفتاوى (١ : ١٤٨ ، ١٤٩) .

ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وبه فسر الشفاعة . " ١ "
 وعلى الجملة : فان الشفاعة - عند السلف - يقصد بها سؤال الله الخير
 للناس يوم الموقف العظيم ، اذا اشتد الامر بالناس ، وعظم بهم الكرب ، فهي
 نوع من انواع الدعاء المستجاب .
 واولها الشفاعة العظمى ، ولا تكون الا لنبينا ، وسيدنا الحبيب محمد
 صلى الله عليه وسلم . فانه يسأل الله سبحانه ان يقضي بين الخلق ، ويعجل
 لهم فصل القضاء ليستريحوا من هول الموقف ، فيستجيب الله له ، فيفبطه
 الاولون ، والآخرين ، ويظهر بذلك فضله على العالمين ، وهذا هو المقام
 المحمود الذي وعد به في قول الحق سبحانه وتعالى :

" ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا " . " ٢ "
 الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ،

قال :

" ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن ، فبينما
 هم كذلك ، استغاثوا بادم ، فيقول : لست بصاحب ذلك .

ثم يموسى فيقول كذلك .

ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشي حتى
 يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا ، يحمده اهل الجمع
 كلهم " . " ٣ "
 =

١ - انظر: تفسير المنار (٣ : ٣٣) .

٢ - سورة الاسراء اية (٧٩) .

٣ - رواه ابو داود والحاكم . وقد رويت احاديث الشفاعة عن جمهور من الصحابة :
 منهم ما رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك : انظر البخارى (١١ : ٨٢) ،
 باب لكل نبي دعوة . وقد وصله مسلم رقم (٢٠٠) في الايمان : باب
 اختباء النبي صلى الله عليه وسلم ، دعوات الشفاعة لامته .

وقد وردت احاديث كثيرة بهذا المعنى ، تفيد بمجموعها ثبوت الشفاعة
لنبينا صلى الله عليه وسلم يوم الموقف العظيم . " ١ "
وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات " ٢ " ، فهي مشروطة " بالاذن " من
الله عز وجل ، وان تكون لمن ارتضى الله ان يشفع له ، ولا يرتضى الله

-
- = ومنهم جابر بن عبد الله ، وابو هريرة ، وعوف بن مالك ، وعن حذيفة بن
اليمان ، وابي سعيد الخدري ، وابي بن كعب .
انظر سنن الترمذى رقم ٣١٤٧ .
وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .
وانظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٨ .
والعقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ٢٦٧ .
وصحيح مسلم بشرح النورى (٣ : ٥٤ - ٧٧) .
- ١ - انظر كتاب : جامع الاصول في احاديث الرسول ، لابن الاثير الجزرى ،
(١٠ : ٤٧٥ - ٤٩٠) .
- ٢ - ذكر شارح العقيدة الطحاوية ثمانية انواع للشفاعة : منها ما هو متفق عليه بين
الامة ، ومنها ما خالف فيه المعتزلة وغيرهم
- النوع الاول : الشفاعة الاولى ، وهي العظمى الخاصة بنبيينا محمد صلى الله
عليه وسلم ، دون سائر اخوانه من الانبياء والمرسلين .
- النوع الثانى : شفاعته صلى الله عليه وسلم في اقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم
فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .
- النوع الثالث : شفاعته صلى الله عليه وسلم في اقوام اخرين قد امر بهم الى
النار ، ان لا يدخلوها .
- النوع الرابع : شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها
فوق ما كان يقتضيه ثواب اعمالهم .
- النوع الخامس : الشفاعة في اقوام ان يدخلوا الجنة بغير حساب .
- النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عن يستحقه .
- النوع السابع : شفاعته ان يؤذن لجميع المؤمنين ان يدخلوا الجنة =

الشفاعة الا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الالهي . " ١ " .
اسأل الله ان تكون ممن يشفع لهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يوم
الموقف العظيم ، وان تكون من الذين ينعم الله عليهم بعفوه ورضاه ، امين .

-
- = النوع الثامن : شفاعته في اهل الكبائر من امته ممن دخل النار ،
فيخرجون منها ، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة
والنبيون ، والمؤمنون ايضا .
انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ - ٢٥٨ / والعقائد
الاسلامية ص ٢٦٧ ، ٢٩١ ،
والاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
ومجموع الفتاوى (١ : ١٤٣ - ١٤٩) ، (٣ : ١٤٧) ،
(٥ : ٣٠٩) ، (١١ : ١٨٤ ، ١٨٥ (٢)) ،
(١٦ : ١٩٥ ، ١٩٦) .
١- انظر العقائد الاسلامية ص ٢٦٨ .
وانظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة ص ٢٤٢ .

ب : - " الحوض " :

=====

واما الحوض فهو مكرومة من الله تعالى ، لنبيه ، تفضل الله به عليه وعلى

امته صلى الله عليه وسلم .

وقد نص عليه البيان القراني في قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر فصل

لربك وانحر ان شانئك هو الابتر " . ١

روى مسلم عن انس رضي الله عنه قال :-

" بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد ، اذ اغفي

اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما .

قلنا : ما اضحكك يا رسول الله ؟

قال : لقد انزلت علي انفا سورة ، قدراً : بسم الله الرحمن الرحيم ،

" انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر " .

ثم قال : اتدرون ما الكوثر ؟

قلنا : الله ورسوله اعلم .

قال : فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه

امتي يوم القيامة ، انيته عدد النجوم في السماء ، فيختلج المبد منهم ،

فأقول : رب انه من امتي ، فيقول : انك لا تدري ما احدث بعدك . " ٢ " .

وحاصله : ان ماء الحوض والكوثر شيء واحد كما نص عليه هذا الحديث ،

وان اصله في الجنة . فما كان جارياً منه في الجنة فهو ماء الكوثر ، وما انصب

١ - سورة الكوثر ، مكية واياتها ثلاث ، نزلت بعد العاديات .

٢ - الحديث صحيح على شرط مسلم ، انظر المسند (٣ : ١٠٢) .

منه في خارج الجنة فهو ماء الحوض ، وهو الذي يريده المؤمنون الثابتون على دين الله ، قبل دخولهم الجنة ، ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فرطاً لهم عنده .

وانا انما سقت هذه المقدمة ، لاني لم اجد للشيخ محمد عبده قولاً في الحوض ، ووجدت له رأياً في معنى الكوثر الوارد ذكره في السورة ، يخالف فيه نص الحديث السابق ، عن انس رضي الله عنه .

واليك نص كلام الشيخ محمد عبده :

يقول :

” فاذا جرينا على ان الكوثر هو النبوة او العلم او الحكمة او نور

القلب ، - وهو الهدى والرشاد - كان المعنى : ان الذي اعطيناك من هذه المواهب هو الكثير الذي لا يكثره شيء ، وان استقله الضعفاء ، او استخف به الاعداء .

واي كثير يعد كثيراً بالنسبة الى الهدى والرشاد ومعرفة طريق السعادة ؟

أليس الهدى منبج القوة والعزة ، وهو الذي يحفظهما بعد حصولهما ؟

اذ القوة والمال - اذا لم تكن معهما الهداية التي تقيم صاحبها على الطريق المستقيم

- لا بقاء لهما ، وصيرهما الى الزوال ، وصير كثرتهما الى قلة .

وكما قال سيدنا علي رضي الله عنه : ” العلم يحفظك وانت تحفظ المال ” .

ولا سبيل الى حفظ المال الا بالعلم .

والجهل والضلال مضيعة كل شيء من جاه او مال .

وعلى ان الكوثر هو الخير الدنيوي والاخروي يكون المراد :-

ان هؤلاء المستعجلين بالسيئة يظنون انك في قل وضعف ، وان اغنياءهم

واقوياءهم في عز ونعمة ، ولا يعلمون اننا قد اعطيناك من الخير الذي يعظم في نفوسهم

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

- وانظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٦٢ .

مما لا يعرفون ، ومن الخير المدخر لك في الخيب مما لا يدركون ، شيئا كثيرا لا
تحد كثرته •

واما ان هناك نهرا في الجنة اسمه الكوثر ، وان الله اعطاه نبيه ،
فلا يفهم من معنى الآية ، بل الذي يدل عليه سياق السورة ، وموضع نزولها هو
الذي بيناه من احد القولين •

والاول - وهو النبوة وما في معناها - ارجح •

اما الاعتقاد بوجود هذا النهر في الجنة ، فموقوف على تواتر الاخبار التي
وردت به ، وقد ذهب جماعة الى انها متواترة المعنى ، فيجب الاعتقاد بوجود
النهر على وجه عام دون تفصيل اوصافه لكثرة الخلاف فيها •••
وبالجملة : فخير وجود النهر من الاخبار الغيبية ، لا يجوز الاعتقاد به
الا بعد التيقن انه ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فاذا وصلت فيه الى
اليقين الذي لا يجوز عندك تبذله ، وكان علمك بصدوره عنه - عليه السلام -
كعلمك بوجود مكة او المدينة قبل ان تراهما ، فاعتقد به ، والا ففوض الامر الى الله ،
قل : لا اعلم • والله اعلم (١٠١ هـ) " ١ "

هذا هو كلام الشيخ محمد عبده في الكوثر ، اما الحوض فلم يتعرض له ،
وهو من الاخبار الغيبية ، التي ورد الخبر فيها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم •
والواقع ان الشيخ محمد عبده في جريانه على ان الكوثر هو النبوة او الخير
الكثير ، كان مسبقا الى هذا الراى ، وقد سبقه اليه كثير من ائمة المفسرين
المشهورين • " ٢ "

-
- ١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٥٤٣ ، ٥٤٤) •
 - ٢ - انظر : فتح القدير (٥ : ٥٠٢) •
 - وانظر : مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦٨٣) •

- فقد قال ابوبكر بن عياش : هو كثرة الاصحاب والامة .
• وقال عكرمة : الكوثر ، النبوة .
• وقال الحسن : هو القرآن .
• وقال الحسن بن الفضل : هو تفسير القرآن ، وتخفيف الشرائع .
• وقال ابن كيسان : هو الايثار .
• وقيل : هو الاسلام ، وقيل : لا اله الا الله ، وقيل : الشفاعة ،
• وقيل : رفعة الذكر ، وقيل : نور القلب ، وقيل : المعجزات ، وقيل :
• اجابة الدعوة ، وقيل : الفقه في الدين ، وقيل : الصلوات الخمس .
• وهذا الذي ذهب اليه الشيخ محمد عبده في معنى الكوثر ، ونسبه الى
• كثير من المفسرين ، اقرب الى المعنى اللغوي :
• ان الكوثر في اللغة : فعمل . من الكثرة . وصف به للمبالغة في الكثرة ،
• مثل النوفل من النفل ، والجوهر من الجهر .
• والعرب تسمي كل شي كثير في العدد او القدر او الخطر ، كوثرًا .
• ومنه قول الشاعر :
• قد تارتقح الموت حتى تكوثرًا . " ١ "
• والكوثر من الرجال : السيد الكثير الخير . والكوثر من الغبار الكثير " ٢ " .
• وقيل لاعرابية رجح ابنها من السفر : بم رجح ابنك ؟ قالت : بكوثر .
• وقال الكميت :
• وانت كثير يا ابن مروان طيب
• وكان ابوك ابن الحقائق كوثرًا

فيكون المعنى على هذا :

١ - انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦٨٣) .

٢ - انظر مختار الصحاح ، للرازي ص ٥٦٤ .

انا اعطيتك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة الى الغاية .

قال البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهم ، انه قال في الكوثر : هو الخير الذي اعطاه الله اياه .

قال ابويشور : قلت لسعيد بن جبير : فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : الكوثر :

الخيار الكثير .

وهذا التفسير يعم النهر وغيره ، لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ، ومن ذلك النهر . كما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد رضي الله عنهم اجمعين . * ١ *

وايضا فان الشيخ محمد عبده قد تجاهل اكثر كلام المفسرين ، واهل

الحديث ، في ان الكوثر نهر في الجنة .

فقد ذهب اكثر المفسرين - كما حكاه الواحدى - الى ان الكوثر نهر في

الجنة .

وقيل : هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف العظيم ، قاله عطاء .

ومن الذين قالوا انه نهر في الجنة ، ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

واسامة بن زيد ، وانس بن مالك ، وابن عباس في احد قوليه .

وهؤلاء من اقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومفهم المراد

من كلامه * ٣ *

وقد اخرج ابن ابي شيبة واحمد وابوداود ، والنسائي وابن جرير وابو يعقوب

-
- ١ - انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦٨٣) .
 - ٢ - انظر فتح القدير ، للشوكاني (٥ : ٥٠٣) .
 - ٣ - انظر حادى الارواح الى بلاد الافراح ، لابن القيم ص ١٢٣ وما بعدها .

المنذروا بن مردويه ، والبيهقي في سننه ، عن انس قال :
اغني رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفائة ، فرفع رأسه مبتسماً ،

فقال :

" انه انزل علي انفا سورة " اقرأ : (بسم الله الرحمن الرحيم : انا

اعطيناك الكوثر) ، حتى ختمها .

قال : " هل تدرون ما الكوثر " ؟

قالوا : الله ورسوله اعلم .

قال : " هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه امتي يوم القيامة

... الى اخر الحديث . فقد سبق ذكره ، وقد اخرجه مسلم في صحيحه

عن انس رضى الله عنه .

واخرج البخارى ومسلم ، وغيرهما عن انس ، قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم :

" دخلت الجنة ، فاذا انا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي الى

ما يجرى فيه الماء ، فاذا مسك انفر . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال :

هذا الكوثر الذى اعطاكه الله . "

وقد روى انس رضى الله عنه من طرق ، كلها صريحة بأن الكوثر هو النهر

الذى في الجنة .

واخرج ابن ابي شيبة ، والبخارى ، وابن جرير ، وابن مردويه عن ام

المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، انها سئلت عن قوله تعالى " انا اعطيناك الكوثر "

قالت : هو نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم في بطن الجنة .

واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما انه نهر في الجنة .

واخرج الطبراني في الاوسط عن حذيفة في قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر "

قال : نهر في الجنة . وحسن السيوطي اسناده .

واخرج ابن جرير وابن مردويه عن اسامة بن زيد مرفوعاً : " انه قيل لرسول الله

صلى الله عليه وسلم :

انك اعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر ؟

قال : اجل ، وارضه يا قوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ " ١ " .

قال الامام الشوكاني رحمه الله في " فتح القدير " :

(فهذه الاحاديث تدل على ان الكوثر هو النهر الذي في الجنة ، فيتعين

المصير اليها ، وعدم التحويل على غيرها ، وان كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في

لغة العرب . فمن فسر به بما هو اعم مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ،

فهو تفسير ناظر الى المعنى اللغوي . . .

وهذا التفسير من جبر الامة - ابن عباس رضي الله عنهما - ناظر الى المعنى

اللغوي كما عرفناك ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فسر في ما صح

عنه انه النهر الذي في الجنة ، واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل) " ٢ " .

والرأى عندي : ان الكوثر هو النهر الذي في الجنة ، عليه خير كثير .

وليس المراد الخير الكثير ومنه النهر الذي في الجنة .

لان الرسول صلى الله عليه وسلم ، صرح بهذا في حديث انس .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه

خير كثير " .

والكوثر هو اصل الحوض ، وهو يصب فيه ، واصله في الجنة ، فما كان

جاريا داخل الجنة فهو الكوثر ، والماء المنصب خارجها ينصب في الحوض ،

وهو الذي ترد عليه امة محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم القيامة ، في الموقف .

١ - انظر مجموع هذه الاحاديث في جامع الاصول في احاديث الرسول

(١٠ : ٤٦١ - ٤٧٤) وفي الصحيحين .

٢ - فتح القدير (٥ : ٥٠٤) .

اقول : هذا ما يجب على المؤمن اعتقاده ، فان الاحاديث الواردة فيه تبلغ حد التواتر ، رواها من الصحابة اكثر من ثلاثين صحابيا . " ١ "

ويكون اول من يرده محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم ترده بعده امته ، ولا يصل اليه كافر ، ولا من فعل الكبائر . " ٢ "

قال صلى الله عليه وسلم : " انا فرطكم على الحوض " ٣ " ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظم ابدا ، وليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم ، فيقول صلى الله عليه وسلم : انهم امتي . فيقال : انك لا تدري ما عملوا بعدك ؟ فأقول : سحقا ، سحقا لمن يدل بعدي . " ٤ " .

وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ، ثم انصرف الى المنبر فقال : " اني فرط لكم وانا شهيد عليكم ، والله لانظر الى حوضي الان ، واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض ، او مفاتيح الارض ، واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ، ولكن اخاف ان تتنافسوا فيها . " ٥ "

واخرج البخاري ومسلم عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

-
- ١ - انظر شرح المفيدة الطحاوية ص ٢٥٠ / وشرح المفيدة الواسطية ص ١١٥
 - ٢ - انظر الدين الخالص (١ : ١١١) .
 - ٣ - الفرط : هو من يتقدم الواردة ليرتاد لهم الماء ، ويهيئ لهم الارسان والدلاء ، والمعنى انا متقدمكم وسابقكم الى الحوض / انظر مختار الصحاح ص ٤٩٩ .
 - ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ : ٥٣ ، ٥٤) .
 - ٥ - متفق عليه ، انظر صحيح البخاري كتاب الجنائز / صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ : ٧٥) .

" اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ اناس دوني ،
فأقول : يارب مني ومن امتي ، فيقال : اما شمعت ما عملوا بعدك ، والله ما
برحوا بعدك يرجعون على اعقابهم " ١ " ٠ "

هذا ، وعلى المؤمن ايضا ان يؤمن بما ورد في صفة الحوض على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الاحاديث من غير تأويل . . .
قال شارح الطحاوية :

(والذي يتلخص من الاحاديث الواردة في صفة الحوض :

انه حوض عظيم ، ومورد كريم ، يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر ،
الذي هو اشد بياضا من اللبن ، وابرد من الثلج ، واحلى من العسل ، واطيب
ريحا من المسك ، وهو في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه
مسيرة شهر .

وفي بعض الاحاديث : انه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع ، وانه
ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ، ويشمر الوان الجواهر
، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء .

وقد ورد في احاديث ان لكل نبي حوضا ، وان حوض نبينا صلى الله عليه
وسلم اعظمها واحلاها واكثرها واردا " ٢ " ٠ جعلنا الله منهم بفضله وكرمه) " ٣ " ٠

-
- ١ - صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ : ٥٥) .
٢ - حسن ، الخرجه الترمذي (٢ : ٦٧) ، طبع الهند وقال غريب ، ثم ذكر
انه ورد مرسلا وقال : " هو اصح " ، ورواه الطبراني ايضا كما في " المجمع " (١٠ : ٣٦٣) ، وقال : " وفيه مروان بن جعفر السمرى وثقه ابن ابي
حاتم ، وقال الازدي : يتكلمون فيه ، وبقية رجاله ثقات " .
قال الشيخ محمد ناصر الدين الالباني " ثم وجدت ما يقوى الحديث ،
فخرجه في الصحيحة (١٥٨٩) .
/ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ .
٣ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥١ ، ٢٥٢ /
وانظر العقائد الاسلامية ص ٢٨١ .

ومن الاحاديث الواردة في صفة الحوض ، ما اخرج به البخارى عن عبد الله

ابن عمرو رضي الله عنهما انه قال :-

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " حوضي مسيرة شهر ، ماؤه ابيض من

اللبن ، وريحه اطيب من المسك ، وكيزانه " ١ " كنجوم السماء ، من شرب منها

فلا يظلم ابدا " ٢ " .

اقول :

هذا غيض من فيض من الاحاديث الصحيحة الواردة عن المصطفى صلى الله عليه

وسلم ، في ذكر حوضه ، وقد بلغت حد التواتر . فيجب ان نصدق بها ،

والتصديق بالحوض من الايمان

نقل النووى رحمه الله عن عياض قوله :

(احاديث الحوض صحيحة ، والايمان به فرض ، والتصديق به

من الايمان . وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة ، لا يتأول ولا يختلف فيه

وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة : فذكره مسلم من رواية ابن

عمرو بن العاص ، وعائشة ، وام سلمة ، وعقبة بن عامر ، وابن مسعود ،

وحذيفة ، وحارثة بن وهب ، وابي ذر ، وثوبان وانس ، وجابر بن سمرة ،

ورواه غير مسلم ، من رواية ابى بكر الصديق ، وزيد بن ارقم ، وابي امامة

وعبد الله بن زيد ، وابي برة ، وسويد بن جبلة ، والزهراء بن عازب ،

واسماء بنت ابى بكر ، وخولة بنت قيس

وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا) " ٣ " .

١ - اى انيته وباريقه .

٢ - انظر فتح البارى (١١ : ٣٩٦ - ٣٩٨) / صحيح مسلم بشرح

النووى (١٥ : ٥٥) .

٣ - انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٥ : ٥٣) .

هذا ، وقد ورد في بعض الاحاديث ان لكل نبي حوضا ، وان حوض نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ، اعظمها ، واحلاها ، واكثرها واردا " ١ " .
جعلنا الله ممن يردده ، بفضلته وكرمه ، آمين .

-
- ١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ / والاسئلة والاجوبة الاصلية ص
٢٦٩ / والعقائد الاسلامية ص ٢٨١ .
وحديث " ان لكل نبي حوضا ترده امته ، وانهم ليتباهون ايهم اكثر
واردة " .
اخرجه الترمذى من طريقين :
الاول : عن سمرة بن جندب رضي الله عنه رقم ٢٤٤٥ ، واسناده
ضعيف .
وقال الترمذى هذا حديث غريب .
الثاني : عن الحسن البصرى . قال الترمذى : وقد روى الاشعث بن
عبد الملك .
هذا الحديث عن الحسن بن النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسل .
ولم يذكر فيه عن سمرة ، وهو اصح .
انظر جامع الاصول (١٠ : ٤٦٧) ، تحقيق عبد القادر
الأرتاؤوط .

٤ - العرض ، الحساب ، الجزاء

=====

ويعنى بالعرض ، عرض الناس على الله ، يوم الدين .
وبالحساب ، توقيف الله تعالى العباد قبل الانصراف من المحشر على
اعتقاداتهم واقوالهم واعمالهم خيرا كانت او شرا .
وبالجزاء ، مجازاة العباد على اعمالهم واقوالهم ومعتقداتهم ، بعد
محاكمة رابنية عادلة ، لهم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . " ١ "

" رأى الشيخ محمد عبده في العرض والحساب والجزاء " :

=====

أ : رأيه في العرض :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان الانسان اذا مات لقي الله عز وجل كما يلاقي
الغائب من يقدم عليه ، وهناك بعد البعث ، يوم الموقف العظيم ، يتحقق
هذا اللقاء لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل يوم القيامة ، وهي مرحلة :
الحساب العادل ، والجزاء العادل

يقول الشيخ محمد عبده :-

(وهناك لقاء الله ، فان الموت يكشف عن الروح فطاء الخفلة ، ويجلو

لها وجه الحق ، فتعرف من الله ما كانت تنكره ، فقد لقيته كما يلاقي الغائب

من يقدم هو عليه . وما بعد الموت من رجعة الا يوم البعث ، يوم يقوم الناس للعرض

على ملك يوم الدين . كما قال تعالى :

" يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية " ١ " ٠

وهناك يرتفع الالتباس ، ويعرف كل عامل ما جراه عمله (٢ " ٠

ب : رايه في الحساب :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان الحساب يكون بعد البحث والعرض ، يقول :-

(وبعد البحث يكون الشروع في الحساب) ٣ " ٠

وان الشيخ محمد عبده في مسألة الحساب يجمع بين التفويض والتأويل ،
على الطريقة التي وضعها لنفسه ، وهي : الجمع بين طريق السلف والخلف ،
كما سبق ٠

فهو يؤمن بالحساب ، وهذا لا خلاف فيه ، وان الحساب يكون
بالكتب والصحف ، وهي كتب و صحف مما استأثر الله بعلم حقيقتها ٠٠٠
يقول :-

(وهذه الكتب التي تكتب فيها اعمال المجهين او اعمال الابرار مما
استأثر الله بعلم حقيقته ٠٠٠

وليس علينا منها من أوراق أو أخشاب أو معادن آخر أو من أرواح غير
اجسام ، كل ذلك مما لا حاجة الى البحث فيه لاستكمال الايمان ، وقد
يكشفه الله للمصطفين من عباده ٠٠٠ " ٤ "

والكتابة هنا على النحو الذي يليق بتنزيه الله تعالى ، وهو اعلى من

١ — سورة الحاقة اية (١٨) ٠

٢ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٦٨) ٠

٣ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٦٨) ٠

٤ — نفس المصدر (٥ : ٣٣٨) ٠

كتابتنا التي نعرفها ، واشد منها ضبطا ، لكنا لا نكلف بالبحث عنها ،
فذلك مما نؤمن به ، ونكل علم حقيقته الى الله . . . " ١ "

والصحف التي تنشر يوم القيامة بعد البحث ، هي صحف الاعمال .
والذي يجب علينا اعتقاده ان اعمال العباد تظهر لهم ثابتة مهيئة لا يرتابون
فيها يوم الجزاء ، ويعبر عن معنى ذلك الثبوت والبيان ، بنشر صحف الاعمال .
اما كون الصحف على مثال الاوراق التي نكتب عليها في الدنيا ، او على
مثال اللوح ، او ما يشبه ذلك ، مما جرى استعماله للكتابة عليه ، فذلك
مما لم يصل علمنا اليه ، ولن يصل اليه بمجرد العقل ، ولم يرو عن المعصوم
صلى الله عليه وسلم ، فيه نص قاطع (" ٢ ")

لكن الشيخ محمد عبده ، يذهب الى تقرير التمثيل والتصوير في كيفية
ايتاء الكتاب " باليمين " او " اليسار " او " وراء الظهر " على وجه يليق بكتاب
الله ، وحكمته الباهرة ، كما يرى هو ،
واليك شرح الاية الكريمة ، وهي قوله تعالى من قائل : " فاما من اوتي
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " " ٣ " ، لكي نقف من شرحه على
ما ذهب اليه .

يقول :-

(واما الكلام في ايتاء الكتاب باليمين او وراء الظهر ، فاليك ما يليق منه
بكتاب الله ، وحكمته الباهرة :

١ - نفس المصدر (٥ : ٣٥٩) .

٢ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٣٨) .

٣ - سورة الانشقاق اية (٨) .

- اليمين تذكر في كتاب الله عبارة عن القوة ، او اليمين ، او الخير .
قال الله تعالى : " واقبل بعضهم على بعض يتسائلون . قالوا انكم كنتم
تأتوننا عن اليمين . قالوا بل لم تكونوا مؤمنين " ١ " .
قال صاحب الكشاف : بعد ان ذكر شرف اليمين وما يناط بها من الاعمال :
" واستعيرت لجهة الخير وجانبه ، فقيل : اتاه عن اليمين — اي
من قبل الخير وناحيته — فصدده عنه واضله " ١ هـ " ٢ " .
وقال البيضاوي : " عن اقوى الوجوه وايمانها ، او عن الدين والخير " ١ هـ " ٣ " .
وجاء في الكشاف ايضا : " وجاء في بعض التفاسير : من اتاه الشيطان من جهة
اليمين ، اتاه من قبل الدين ، فليس عليه الحق . ومن اتاه من جهة الشمال ،
اتاه من قبل الشهوات ، ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة
والثواب والعقاب . ومن اتاه من خلفه ، وخوفه الفقر على نفسه ، وعلى من
يخلف بعده ، فلم يصل رحما ، ولم يؤد زكاة " ١ هـ " ٤ " .
وقال تعالى في سورة الحاقة : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين " ٥ " .
: اي لو ادعى علينا شيئا لم نقله ، لقتلناه صبورا .
قال البيضاوي : " وهو تصوير لاهلاكه بأفطح مما يفعله الملوك بمن يخضبون عليه .
وقيل : اليمين بمعنى القوة " ١ هـ " ٦ " .
وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى : " فراغ عليهم ضربا باليمين " ٥ " ٧ " .

-
- ١ — سورة الصافات الايات (٢٧ — ٢٩) .
 - ٢ — تفسير الكشاف للزمخشري (٣ : ٣٣٨) .
 - ٣ — تفسير البيضاوي ص ٦٢٠ .
 - ٤ — تفسير الكشاف (٣ : ٣٣٩) .
 - ٥ — سورة الحاقة الايات (٤٤ : ٤٥) .
 - ٦ — تفسير البيضاوي ص ٧٨٦ و ٧٨٧ .
 - ٧ — سورة الصافات اية (٩٣) .

١٠٠ : تقييده باليمين ، للدلالة على قوته ، لان قوة الاله تستدعي قوة الفعل "١٠١ هـ

فاذا استعملت اليمين لتمثيل القوة ، قابلتها اليسار والشمال ، في

تصوير الضعف ، وكذلك يقال في الخير والشر ، وما يقابلهما .

ثم ، مما لا يحتاج الى بيان ، ان اليمين هنا الة الاخذ لا الة الاعطاء ،

لانها مضافة الى ضمير العبد ، فيكون المعنى : فاما من اوتي كتابه فاخذه او تناوله بيمينه ، فكأنه يقول : فاما من عرض عليه كتابه ، وقدم اليه سجل اعماله ، فتناوله بيمينه ، فأمره كيت وكيت .

ومن يتناول شيئاً بيمينه ، يكون قد توجه اليه بعزمه ، واندفع نحوه بقوة

نفسه ، بخلاف من يتناول ما يعطاه ، يأخذ بيساره ، فان مد اليسار اليه دليل

كراهته له ، واطهر في الدلالة على الكراهة والنفور مما يعرض عليه ان يستدبره ، ويعرض عنه ، فيكون وراء ظهره .

فمعنى اية الحاقة ، والاية التي نحن بصدد ها : فاما من عرض عليه

كتابه ، وقدم اليه ليأخذه ، فاندفع اليه بعزيمة نفسه ، لشعوره بأنه

مستودع الصالحات ، وسجل البر والمكرمات ، فشأنه كذا .

واما من قدم اليه كتابه ، وعرض عليه عمله ، فخزيت نفسه ، وخارت

عزيمته ، فمد اليه يساره لعله لا يستطيع ضبطه ، فيسقط منه ، فلا يرى ما

فيه ، او يعرض عنه ، فيوليه ظهره ، لشعوره بأنه ديوان السيئات وسسجين

المخازي ، فأمره كيت وكيت .

ويرشد الى ذلك ما ورد في التفصيل في سورة الحاقة ، فانه تعالى يقول :

" فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقروا كتابيه اني ظننت اني ملق

حسابيه " . " ٢ " .

١ — تفسير البيضاوي ص ٦٢٣ .

٢ — سورة الحاقة الايات (١٩ — ٢٠) .

• ودعوة الناس الى القراءة دليل الفرح والنشاط وقوة العزيمة .
" واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابه ولم ادر ما
حسابه ياليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه " ١٠٠ "
وهذا قول المخدول الكاره لما عرض عليه (١٠١ هـ

وحاصل كلام الشيخ محمد عبده في الحساب هو النتيجة التالية ، التي
سجلها بقلمه ، وهي قوله :-

(فايتاء الكتاب باليمين أو اليسار أو وراء الظهر ، تمثيل وتصوير لحالة

المطلع على اعماله في ذلك اليوم :

فمن الناس ، من اذا كشف له عمله ، ابتهج واستبشر - وهو التناول

• باليمين

ومنهم من اذا تكشفت له سوابق اعماله ، عجب وسر ، واعرض عنها وادبره ،

وتمنى لو لم تكشف له - وهذا هو التناول باليسار او من وراء الظهر .

وهذا اتفق المعنيان في الايتين ، ولم تنق حاجة الى الجمع بين

الشمال ، ووراء الظهر ، باختراع معنى لا يليق بكتاب الله تعالى ، كما

جرى عليه كثير من المفسرين (١٠١ هـ " ٢ "

ج : رايه في الجزاء :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان في اليوم الاخر وقت جزاء ، فيجزى الله عباده

، او يجازيهم على ما كسبوا في الحياة الدنيا ، من اقوال وافعال ، بالخير او الشر .

١ - سورة الحاقة الايات (٢٥ - ٢٩) .

٢ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٦٨ - ٣٧٠) .

وهذا الوقت هو المسمى بـ " يوم الدين " ، في قوله تعالى :

" مالك يوم الدين " . " ١ "

ويوم الدين هذا ، يوم امتاز عن سائر الايام ، لانه اليوم الذي يلقي

فيه كل عامل جزاء عمله ، ويوفى حسابه .

قال الشيخ محمد عبده : " ٢ "

(وفي ذلك اليوم يوفى كل فرد من افراد العاملين جزاءه كاملا لا يظلم شيئا

منه ، كما قال تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا

يره " . " ٣ "

" تقويم كلام الشيخ محمد عبده " :

=====

والى هنا ينتهي كلام الشيخ محمد عبده في العرض والحساب والجزاء .

واذا اردنا ان نحكم على كلامه في العرض والجزاء ، فانا نقول : هو

عين كلام السلف رضي الله عنهم .

اما الحساب : فهو مع السلف ايضا في وجوب الايمان به ، وتفويض كفيته

الى علم المحاسب ، وهو الله سبحانه وتعالى .

لكن الشيخ محمد عبده ، يؤول معنى ايتاء الكتاب باليمين او الشمال ،

او من وراء الظهر ، ويقرر انها تمثيل ، وتصوير لحالة المطلق على اعماله في ذلك

اليوم ، مقتديا في ذلك بكلام بعض المفسرين من الخلف كالزمخشري والبيضاوي .

وما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، وسلك فيه مسلك بعض المفسرين من

تأويل اليمين ، والشمال . . . الخ ، بعيد عن مذهب السلف ، الذين قالوا ،

١ - سورة الفاتحة اية (٤) .

٢ - تفسير المنار (١ : ٥٥) .

٣ - سورة الزلزلة الايات (٧ - ٨) .

نؤمن بالحساب والكتاب ، وباليمين والشمال ، ومن وراء الظهر كما وردت في
القران ، وفي احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نزيد ولا ننقص ،
ولا نؤول ، ولا نسأل عن حقيقة ما ورد .

فذلك مما نؤمن به ، ونكل علم حقيقته الى الله .

ومثل هذا قالوا في العرض والجزاء .

ونحن الان بسبيل عرض كلامهم حسب ماورد في كتب التفسير ، والحديث

، والاصول ، عن : العرض والحساب والجزاء يوم القيامة ، وفي ذلك كفاية

لطالب العلم ، وغنى عن التأويل من اجل التقرب الى الازهان .

وما وسع الصحابة - رضي الله عنهم - في فهم مثل هذه الامور يسعنا ،

وفيه الغنى واليه المرجع والمنتهى .

" ايمان السلف بالعرض والحساب والجزاء " :

=====

قال السلف - رضي الله عنهم - : ونؤمن بالجزاء ، وقبله العرض

فالحساب .

ونؤمن ان الجزاء يكون بعد محاكمة رابية عادلة ، يعرض فيها الناس

على الله ، لا تخفى منهم خافية ، وتقام في هذه المحكمة الالهية جميع الحجج

، والبراهين سواء كانت لهم او عليهم ، ويسمح لهم بالاطلاع على اعمالهم ،

وقراءة صحفهم . وهو منتهى العدل والحكمة .

قال الطحاوي : (ونؤمن بالبعث وجزاء الاعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب

وقراءة الكتاب ، والثواب والمقاب . . .) " ١ " .

فأما البحث فقد سبق الحديث عنه .

وأما العرض : فقد دل عليه الكتاب والسنة :

أما الكتاب : فقوله تعالى : " فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي

يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون

لا تخفى منكم خافية " . " ١ "

وقوله تعالى : " وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة

بل زعمتم انن نجعل لكم موعدا " . " ٢ "

وقوله تعالى : " يوم تبدل الارض غير الارض وحزوا لله الواحد القهار "

فمجموع هذه الايات ، تفيد البروز والعرض على الله ، بل في كل اية

منها نص صريح ، ودليل قاطع على العرض على الله يوم القيامة .

وأما السنة : فمن عدى بن حاتم رضي الله عنه ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال :

" ما منكم من احد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ،

ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع

منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة " . " ٤ "

وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ليس احد يحاسب يوم القيامة الا هلك " ، فقلت : يا رسول الله :

أليس قد قال الله : " فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انما ذلك العرض وليس احد يناقش

الحساب يوم القيامة الا عذب " . " ٥ "

١ - سورة الحاقة الايات (١٥ - ١٨) .

٢ - سورة الكهف اية (٤٨) .

٣ - سورة ابراهيم اية (٤٨) .

٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ : ٣٤٠) .

٥ - صحيح البخاري (١١ : ١٣٨) / وانظر مختصر تفسير ابن كثير

(٣ : ٦١٩) .

فهذان الحديثان فيهما ان الكلام مع الله ، وابرار الاعمال ، واطهارها ،
والمحاسبة السهلة اليسيرة التي لا نقاش فيها . . . كل ذلك يدخل في معنى العرض
على الله يوم القيامة .

قال الامام الشوكاني : (وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما
لم يكن عالما به ، وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالاعمال) . " ١ "

وقال الامام ابن كثير : (تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى
عليه شيء من اموركم بل هو عالم بالسرائر والظواهر والضمائر) . " ٢ "

ونقل الامام ابن كثير قول امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
" حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا ،

فانه اخف عليكم في الحساب غدا ، وتزينوا للعرض الاكبر " . " ٣ "

ومما تجدر الاشارة اليه ، انه ورد في بعض الاحاديث ان الناس يعرضون
يوم القيامة ثلاث عرضات :

اثنتان في الجدل والمعانير ، وواحدة في نشر الصحف وتطايرها .
روى الامام احمد والترمذي وابو بكر بن ابي الدنيا عن الحسن قال :
سمعت ابا موسى الاشعري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : فعرضتان جدال ، ومعانير
، وعرضة تطاير الصحف ، فمن اوتي كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا دخل
الجنة ، ومن اوتي كتابه بشماله ، دخل النار " . " ٤ "

-
- ١ - فتح القدير (٥ : ٢٨٢) .
 - ٢ - مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٥٤٣) .
 - ٣ - نفس المصدر ونفس الصفحة .
 - ٤ - أخرجه الامام احمد والترمذي ، وعبد الله بن حميد ، وابن ماجه ،
وابن ابي حاتم وابن مردويه .
انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٥٤٣) / وفتح القدير
(٥ : ٢٨٣) / وشرح المعقيدة الطحاوية ص ٤٦٨ .

وهذا الحديث حكم عليه العلماء بالضعف " ١ " .
ولعل في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه " وتزينوا للعرض الاكبر " ما يقوى الحديث ، فيكون العرض الاصغر : الجدل والمعانير .
والعرض الاكبر : عضة تطاير الصحف في الايدي ، فأخذ بيمينه ، واخذ بشماله - والله اعلم .

اما الحساب : فيبدأ باستلام الصحف والكتب وقراءتها ، والتعرف على ما فيها من اعمال واقوال ومعتقدات ، فيعرفون ما لهم وما عليهم ، وهذا حق يؤمن من السلف به ، ويوجبون الايمان به . ومن انكره كفر .
قال الله تعالى : " فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا ، واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثورا ويصلى سعيرا " . " ٢ "

وقال تعالى : " فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقروا كتابيه " . " ٣ " .
وقال تعالى : " واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه " . " ٤ " .

١ - قال المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني : حديث ضعيف لان الحسن البصري مدلس ، وقد عنعنه ، وهذه علة . وان ثبت سماعه من ابي هريرة وابي موسى ، فان ثبوت مطلق السماع لا يغني في رواية (المدلس حتى يصرح بالتحديث كما هو مقرر في " المصطلح " ، الا اذا ثبت رواية الكتاب التي فيها التصريح بسماع الحسن من ابي موسى .
/ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٨ ، الهامش .

٢ - سورة الانشقاق الايات (٧ - ١٢) .

٣ - سورة الحاقة اية (١٩) .

٤ - سورة الحاقة اية (٢٥) .

قال تعالى : " واذا الصحف نشرت " ١ •

وقال تعالى : " ووضح الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يفاد رصغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا " ٢ •

وقال تعالى : " ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون " ٣ •

فهذه الايات ، وغيرها ، يفهم منها ان الكتاب هو الذى كتبه الحفظة

على الانسان ، وهي الصحف ، وهي التي يقرأها العباد • ٤ •

والدليل على هذا ما سبق في بحث الملائكة ان من اصنافهم صنفا موكلون

بكتابه اعمال الانسان واقواله ، وهم الحافظون الكرام الكاتبون ، الذين قال

الله عنهم : " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون " ٥ •

وقال تعالى : " هذا كتابنا ينطق بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " ٦ •

فما يستنسخه هؤلاء الكرام ينطق بالحق ، ويقروءه العباد يوم الحساب •

ثم ان الناس في الحساب متفاوتون :

١ : فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا اى سهلا بلا تعسير " ٧ • اى لا

يحقق عليه جميع دقائق اعماله •

-
- ١ — سورة التكويد اية (١٠) •
 - ٢ — سورة الكهف اية (٤٩) •
 - ٣ — سورة المؤمنون اية (٦٢) •
 - ٤ — انظر : فتح القدير (٥ : ٢٨٤) •
 - ٥ — سورة الانفطار الايات (١٠ — ١٢) •
 - ٦ — سورة الجاثية اية (٢٩) •
 - ٧ — انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦١٩) •

قال الشوكاني : (لا مناقشة فيه) .

ونقل عن مقاتل قوله : لانها تفقر ذنوبه ولا يحاسب بها .

ونقل ايضا كلام بعض المفسرين ، قال :

قال المفسرون : هو ان تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله فهو

الحساب اليسير (" ١ ")

٢ : ومنهم من يناقش الحساب فيسأل عن كل صغيرة وكبيرة ، ويطالب بالعدر

والحجة ، فلا يقبل منه عذرا ولا حجة ، فيهلك مع الهالكين ، ويفتضح بين

الخلايق بسيئات اعماله .

قال تعالى : " وان كان مثقال حبة من خردل اثينا بها وكفى بنا حاسبين " ٢٠ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم

افناه ؟ وعن عمله فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من اين اكتسبه ؟ وفيما انفق ؟

وعن جسمه فيم ابلاه ؟ " ٣٠ .

٣ : ومنهم من يعفى من الحساب ، فيدخل الجنة من غير حساب ، تفضلا وكرما

من الله ، وهذه هي الزمرة الاولى ، كما ذكر الامام ابن القيم رحمه الله

، وثبت في الكتب الصحاح .

فقد ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب ، عن

ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : —

١ — انظر فتح القدير (٥ : ٤٠٦ ، ٤٠٧) .

٢ — سورة الانبياء اية (٤٧) .

٣ — اخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح : / انظر سنن الترمذي

بشرح ابن العربي (١ : ٢٥٣) .

٤ — انظر حادي الارواح الى بلاد الافراح ص ٨٨ وما بعدها .

” ويدخل الجنة من امتي زمرة هم سبعون الفا تضي وجوههم اضاءة القمر
ليلة البدر ” .

فقال عكاشة بن محصن الاسدي ، قال : يا رسول الله : ادع الله
ان يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم .
فقال رجل من الانصار فقال : يا رسول الله : ادع الله ان يجعلني منهم ،
فقال : سبقك بها عكاشة ” . ١

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، قال : ” ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا من غير حساب ، او سبعمائة
الف ، اخذ بعضهم بيمض حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة ، وجوههم على صورة
القمر ليلة البدر ” . ٢

قال الامام ابن القيم رحمه الله فـ

(فهذه هي الزمرة الاولى ، وهم يدخلونها بخير حساب) . ٣

— اللهم اجعلنا منهم بفضلك وكرمك يا الله —

٤ — ومنهم من يخلو الله به ، ويقرره بذنوبه ، ويستتر عليه ، ولا يناقشه

الحساب ، رحمة به . . . وهي النجوى ” . ٤

ورد انه قيل لابن عمر رضي الله عنهما : كيف سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، يقول في النجوى ؟

١ — متفق عليه .

٢ — متفق عليه .

٣ — انظر حادي الارواح الى بلاد الافراح ص ٨٨ .

٤ — يعني مناجاة الله لمعبده المؤمن في الآخرة .

قال : سمعته يقول : " يدنو احدكم من ربه حتى يضع كتفه عليه ،

فيقول : اعلمت كذا ، وكذا ؟ فيقول : نعم .

ويقول : اعلمت كذا ، وكذا ؟ فيقول : نعم .

فيقرره ثم يقول : اني سترت عليك في الدنيا ، واني اغفرها لك اليوم . ثم

يعطى صحيفة حسناته .

واما الكفار : فينادى على رؤوس الاشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم .

الا لعنة الله على الظالمين " ١ " .

واما كيفية الحساب : فالسلف يؤمنون بما ورد في القران ، وبما ثبت في

السنة ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا يكلفون انفسهم البحث والسؤال عما ورد .

فهم يؤمنون بأخذ العباد صحائفهم وكتبهم من غير تأويل " ٢ " ، كما قال

الله تعالى :

" وكل انسان الزمناه طائفة في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه

منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " ٣ " .

والمراد بهذه الصحف التي يقرأها الناس : الكتب التي كتبت فيها

الملائكة اعمالهم في الحياة الدنيا . " ٤ " .

ويكون اخذها باليد اليمنى للمحسنين ، او اليسرى او من وراء الظهر ،

لغير المحسنين كل ذلك على الحقيقة من غير تأويل ، كما قال المفسرون من

السلف .

١ — متفق عليه . انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ : ٤٠٧ ، ٤٠٨) .

٢ — انظر مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣ : ١٤٦) .

٣ — سورة الاسراء الايات (١٣ — ١٤) .

٤ — انظر شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٢١٢ ، ابراهيم البيجوري

فقد ذكروا في تفسير قوله تعالى : " واما من اوتي كتابه وراء ظهره " ٠ " ١)

، اقوالا : " ٢ "

قال الكلبي : (لان يمينه مقلولة الى عنقه ، وتكون يده اليسرى خلفه) .

وقال قتادة ومقاتل : (تفك الواح صدره وعظامه ثم تدخل يده ، وتخرج من

ظهره ، فيأخذ كتابه كذلك) .

قال الامام ابن كثير : (اى بشماله من وراء ظهره ، تشنى يده الى ورائه ،

ويعطى كتابه بها كذلك) . " ٣ "

وورد ان الله سبحانه يشهد على المباد الارض بما حدث على ظهرها ،

قال الله تعالى في سورة الزلزلة : " يومئذ تحدث اخبارها " ٠ " ٤ "

فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

" يومئذ تحدث اخبارها " ، قال : —

اتدرون ما اخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم .

قال : فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها ، ان

تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا ، قال : فهذه اخبارها .

وورد ايضا بانه يكون في هذا الحساب شهادة الاعضاء على ما فعله العبد ،

قال تعالى : " ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها

شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعطون وقالوا لجلودهم لم

شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه

ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن

١ — سورة الانشقاق اية (١٠) .

٢ — انظر : فتح القدير ، للشوكاني (٥ : ٤٠٧) .

٣ — مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦١٩) .

٤ — سورة الزلزلة اية (٤) .

ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون " ١ " ٠

قال السبكي رحمه الله :

(واعلم انه سيشهد على العاصي احد عشر شاهدا في هذا اليوم

المشهدود : اللسان ، والايدي ، والارجل ، والسمع ، والبصر ،
والجلد ، والارض ، والليل ، والنهار ، والحفظة الكرام ، والمال)^٢

وساق على ذلك عددا من الايات والاحاديث .

وحاصل ذلك انه يشهد على العباد جميع من يستشهدهم الله عليهم . وان الايدي

التي تنطق يوم القيامة لا يعجزها ان تأخذ كتابها باليمين او الشمال او من وراء

الظهر ، باذن الله ، والله على كل شيء قدير .

ثم يأتي الجزاء ، فيجزى الله العباد ، ويجازيهم بمقتضى عدله .

قال تعالى : " يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين " ٣

والدين الحق هو الجزاء الحق ، كما ذكر شراح العقيدة الطحاوية " ٤ " ،

وكما فسر الشيخ محمد عبده " يوم الدين " في سورة الفاتحة . " ٥ "

وقال تعالى : " من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا

يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون " ٦ " ٠

١ — سورة فصلت الايات (١٩ — ٢٢) .

٢ — الدين الخالص ، لمحمود خطاب السبكي ، (١ : ١٠٥) .

٣ — سورة النور اية (٢٥) .

٤ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٥ .

٥ — انظر تفسير المنار (١ : ٥٥) .

٦ — سورة القصص اية (٨٤) .

وحسينا في بيان هذا الامر قول الحق جل وعلا : " ولله ملك السموات
والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة
تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا
كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " • " ١ " •
صدق الله العظيم •

٥ — " الميزان والوزن "

=====

الميزان : هو عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال * " ١ "
 والوزن : لاطهار مقادير الاعمال ليكون الجزاء بحسبها * " ٢ "
 " رأى الشيخ محمد عبده في الميزان " :

=====

يرى الشيخ محمد عبده انه لم يرد في القران الا كلمة " الميزان " ،
 وهو بمعنى تقدير الله الاعمال وما تستحقه من الجزاء يوم القيامة ، وذلك انما يكون
 على حسب ما يعلم لا على طريقة ما نعلم .

ولهذا ، (فعلينا ان نفوض الامر فيه الى الله سبحانه وتعالى مع
 الايمان به) * " ٣ " .

ويرى الشيخ محمد عبده ايضا ، ان الكلام في الميزان ، وان له
 لسانا وكفتين . . . الخ ، جراءة على غيب الله بغير نص صريح فتواتر عن
 المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ويكتفي الشيخ محمد عبده ان يفهم من الميزان ما يراه كافيا في الايمان ،
 ويكل علم ما عداه الى الله سبحانه وتعالى .

واليك ما فهمه الشيخ محمد عبده في الميزان والوزن :-

يقول في تفسير قوله تعالى " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية " * " ٤ " :

-
- ١ — انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٢٢) .
 - ٢ — انظر : شرح المفيدة الطحاوية ص ٤٧٢ .
 - ٣ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٤٩٣) .
 - ٤ — سورة القارة الايات (٦ — ٧) .

: (ثقل ميزانك : اى كان لك قدر وقيمة ، كأنك اذا وضعت

في كفة ميزان كان لك بها رجحان .

وانما يكون المقدار والقيمة لاهل الاعمال الصالحة ، والفضائل الراجحة ،

فهو لاهلهم يجزون بالنعيم الدائم (٠٠٠) .

ومثل هذا يقول في تفسير قوله تعالى : " واما من خفيت موازينه فانه

هاوية " ١ " :

: (خف ميزانك : سقطت قيمتك ، فكأنك لست بشيء حتى لو وضعت في

كفة ميزان لم ترجح بك عند اختها) .

ويستشهد الشيخ محمد عبده على رايه هذا ، بالقران ،

يقول : (وهذا المعنى قد صرح به القران في قوله تعالى : " فجهت

اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ") . " ٢ "

هذا ما وسع الشيخ محمد عبده في فهم الميزان والوزن ، وما عداه ،

فعلمه موكل الى الله سبحانه ، وهذا القدر — فيما يرى الشيخ محمد عبده —

كاف في الايمان .

ويتعجب الشيخ محمد عبده ، مما قاله بعض المفسرين ، وعلما الحديث

من السلف في وصف الميزان " ٣ " ، فيقول : —

(ومن عجيب ما قاله بعض المفسرين : " انه ميزان بلسان وكفتين كأطباق

السموات والارض ، ولا يعلم ما هيته الا الله " .

فماذا بقي من ما هيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه الى

الله ؟) .

١ — سورة القارة الايات (٨ — ٩) .

٢ — سورة الكهف اية (١٠٥) .

٣ — سيأتي عما قريب بان الله .

ويصف الشيخ محمد عبده هؤلاء المفسرين بالجرأة على غيب الله بخير نص صحيح ، فيقول :-

(والكلام فيه جرأة على غيب الله بخير نص صريح متواتر عن المعصوم

صلى الله عليه وسلم) .

والشيخ محمد عبده ، لا يعترف بهذا الميزان ، وينكره لعدة اسباب :-

منها :-

- ١ - ما ذكره قبل قليل وهو عدم وجود نص صريح متواتر يثبت هذا .
- ٢ - لان المعاني والمعقولات ، لا توزن بذلك الميزان الذي له كفه ولسان ، كالميزان الذي اخترعه البشر .
- ٣ - ان هذا الميزان انما هو معيار للانتقال الجسمانية ، والاوزان المحسوسة ، فكيف توزن به الاقوال والاعمال ، والاعتقادات ؟ .

وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده :-

(أيأبي عالم الخيب والشهادة ان يستعمل في وزن المعاني والمعقولات

الا ذلك الميزان الذي اخترعه بعض البشر قبل ان يبلغ بهم العلم ما بلغ بأهل

العصر الحاضر وما سيلنخ بأهل العصور المقبلة ؟

على ان جميع ما اخترع البشر وما يبتكرون - مهما دق ولطف - انما هو

معيار للانتقال الجسمانية والاوزان المحسوسة .

وهلا يكون الاليق بالقام الالهي ان يكون ميزان المعاني المعقولة لديه

اسمى واعلى من ان يكون على نمط ما يستعمله البشر مهما ارتقت المعارف وسمت بهم

المعلوم ؟) (٠٠٠) " ١ "

١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٤٩٢ ، ٤٩٣) .

” نقد كلام الشيخ محمد عبده ” :

=====

واني ارى ان الشيخ محمد عبده ، لم يغير من طريقته التي سار عليها

شيئا ولم يبعد عن منهجه في فهم الحقائق الخبيبية ، قيد انملة .

فهو يزعم انه على طريقة السلف في تفويض علم الماهية الى الله سبحانه

وتعالى ، ومع الخلف في فهم ما يمكن فهمه منها للانتفاع به حتى يصح اعتقاده .

وقد قلنا — فيما مضى — ان الجمع بين الطريقتين غير ممكن ، لكن ،

قد يلتقي مذهب السلف ، ومذهب الخلف في نقاط محددة ، وهذا لا يعني

انهما شيء واحد ، او يمكن الجمع بينهما .

ثم ان الشيخ محمد عبده في بعض الاحيان لا يقف عند التقاء المذهبين ،

بل يذهب مذهبها اخر مغايرا ، كما سبق في بحث الملائكة .

وهو هنا ، يؤول معنى الميزان الوارد في سورة القارعة ، بالقيمة والقدر

، ويستشهد على ذلك باية سورة الكهف ” فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ” .

اقول : هذه الاية الكريمة ، وان صح القول بأن معناها : لا يكون

لهم عندنا قدر ، ولا نعبأ بهم ” ١ ” ، الا ان بعض العلماء يفسرها بقوله :

لا يقام لهم ميزان توزن به اعمالهم ، لان ذلك انما يكون لاهل الحسنات والسيئات

من الموحدين ، وهو لاهل الحسنات لهم . ” ٢ ”

وايضا : فان جمهور المفسرين ، واهل الحديث ، وعلماء اللغة ، لا

يقرون هذا الراى ، ولهم راى اخر ، على اختلاف فيما بينهم في كيفية هذا الوزن ،

الحاصل يوم القيامة .

١ — انظر فتح القدير (٣ : ٣١٦) .

٢ — نفس المصدر ونفس الصفحة .

وهذه هي بعض اقوالهم :-

- أ : — قيل المراد بالوزن : وزن صحائف اعمال العباد بالميزان وزنا حقيقيا .
قال الشوكاني : هذا هو الصحيح ، وهو الذي قامت عليه الادلة . " ١ "
- ب : — وقيل : توزن نفس الاعمال ، وان كانت اعراضا فان الله يقبلها يوم
القيامة اجساما .
- ج : — وقيل : تجعل الحسنات اجساما نورانية ، والسيئات اجساما ظلمانية " ٢ "
- د : — وقيل : الميزان الكتاب الذي فيه اعمال الخلق .
- هـ : — وقيل الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء . وذكرهما من باب ضرب
المثل كما تقول : هذا الكلام في وزن هذا .
- قال الزجاج : هذا سائغ من جهة اللسان . " ٣ "
- ومعد :

فاني ارى ان اولى الطرق بالاتجاه ، طريق السلف رضي الله عنهم ،
واني ارى رايبهم في الوزن والميزان ، لانه راى مني على الاسانيد الصحيحة .
والاولى ان نتبع ما جاء في الاسانيد الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقد جاء في الاخبار الصحيحة انه ميزان حقيقي له كفتان ولسان ، وان
الله سبحانه وتعالى ، يحول اعمال العباد الى اجسام لها ثقل ، فتوضع الحسنات
في كفة ، والسيئات في كفة
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :-
(ان الله سبحانه يزن الحسنات والسيئات . وعلى هذا دل الكتاب والسنة .
وهو معنى الوزن) . " ٤ "

١ — نفس المصدر (٢ : ١٩٠) .

٢ — انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٢٣) .

٣ — انظر : فتح القدير (٢ : ١٩٠) .

٤ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١٤ : ٤٩) .

والذى دل عليه الكتاب ، ما سبق من الايات ، الوارد قيها ذكر الميزان

• والوزن •

والذى دلت عليه السنة ، وهو راي السلف في الوزن والميزان — ،

ما يلي :-

أ — روى الامام احمد رضي الله عنه ، من حديث ابي عبد الرحمن ، قال :

سمعت عبد الله بن عمرو يقول :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

" ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ،

فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول له :-

اتنكر من هذا شيئا ؟ اظلمتك كتبتي الحافظون ؟ •

قال : لا ، يارب •

فيقول : بلى ، ان لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم اليوم عليك •

فتخرج له بطاقة فيها : اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا

عبده ورسوله •

فيقول : احضروه •

فيقول : يارب : وما هذه البطاقة مع هذا السجلات ؟

فيقال : انك لا تظلم •

قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة •

قال : فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يتحمل شيء " بسم الله الرحمن

الرحيم " • " ١ " •

١ — صحيح ، صححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وحسنه

الترمذي •

انظر مسند الامام احمد (٢ : ٢١٣) • وذكره الالباني في سلسلة

الاحاديث الصحيحة ، ص ١٣٥ •

- ب : روى البخارى ، قوله صلى الله عليه وسلم :
- " كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان :
- سبحان الله وحده ، سبحان الله العظيم " . " ١ "
- ج : روى مسلم عن ابي مالك الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
- " الظهور شطر الايمان ، والحمد لله تلاء الميزان " . " ٢ "
- والدليل على ان الله سبحانه وتعالى يقب الاعراض اجساما ، ما جاء في الخبر الصحيح ، وهو :
- أ : — روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : —
- " يؤتى بالموت كمشا اخر ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا اهل الجنة : فيشرئبون وينظرون ، ويقال : يا اهل النار : فيشرئبون وينظرون ويرون ان قد جاء الفرج ، فيذبح ، ويقال : خلود لا موت " . " ٣ "
- ب : — وجاء في الخبر الصحيح ايضا : " ان البقرة وال عمران يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيابتان او فرقان " ٤ " من طير صواف .
- ج : — وثبت في الصحيح انه يأتي القران في صورة شاب شاحب اللون ، ونحو ذلك .

١ — متفق عليه .
٢ — صحيح . : انظر رياض الصالحين ص ٣٤ ، ٣٥ .
٣ — اخرج في المسند (٢ : ٤٢٣) ، بسند صحيح .
٤ — لعلها : فرقان .

فثبت بهذه الاخبار الصحيحة وزن الاعمال ، وثبت ان الميزان له كفتان •

قال الامام ابن القيم في قصيدته المشهورة : " ١ "

افما تصدق ان اعمال المبيــــاد : تحط يوم العرض في الميــــزان

وكذاك تنقل تارة وتخف اخــــرى : ذاك في القران ذو تهيــــبان

وله لسان كفته تقيــــمــــه : والكفتان اليه ناظرــــتان

ما ذاك امرا معنويا بل هــــو : المحسوس حقا عند ذي الايمان

قال شارح الطحاوية :

(فلا يلتفت الى ملحد معناه يقول : الاعمال اعراض لا تقبل الوزن •

وانما يقبل الوزن الاجسام) • " ٢ "

وعلى الجملة فان الامة الاسلامية في الصدد الاول من الاسلام اجمعت على

الاخذ بالظواهر من غير تأويل " ٣ " ، فلا يحق لاحد - مهما كان - ان يستبعد

حمل هذه الظواهر على حقائقها ، بخجة عدم فهم هذه الظواهر ، ويسخ الناس

ما وسع اهل القرون الاولى الذين شهد لهم الرسول بالخيرية ...

يقول الامام الشوكاني رحمه الله :

(واما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها ، فما

يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع اليه ، بل غاية ما تشبثوا به مجرد

الاستبعادات العقلية ، وليس في ذلك حجة على احد •

فهذا اذا لم تقبله عقولهم ، فقد قيلته عقول قوم هي اقوى من

عقولهم من الصحابة ، والتابعين وتابعيهم ، حتى جاءت البدع كالليل المظلم •

١ - انظر قصيدة ابن القيم مع شرحها (٢ : ٥٩٣) ، الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ •

٢ - شرح المفيدة الطحاوية ص ٤٧٤ •

٣ - انظر : فتح القدير (١٢ : ١٩٠) •

وقال كل ما شاء ، وتركوا الشرع خلف ظهورهم ، وليتهم جاؤا بأحكام عقلية يتفق
العقلاء عليها ، ويتحد قبولهم لها ، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق
هواه ، ويوافق ما يذهب اليه : هو او من هو تابع له . فتتناقض عقولهم على
حسب ما تناقضت مذاهبيهم .

يعرف هذا كل منصف ، ومن انكره فليصف فهمه وعقله من شوائب التعصب
والتذهب ، فانه ان فعل ذلك اسفر الصبح لعينيه) . " ١ " .
وامن بما امن به الصحابة والتابعون لهم باحسان الى يوم الدين .

٦ - الصراط والمزور عليه

=====

اصل الصراط : الطريق ، ويلفظ بالسین ايضا ، فيقال : الصراط ،

واشتقاقه من سرط ای ابتلع ، وبابه : فهم .

وقيل : سمي بذلك لانه يستقرط المسابلة ای (المارة) : ای

يبتلعهم .

والصراط لغة في الصراط . " ١ "

والصراط في لسان الشرع يطلق على معنيين :

(احدهما) : وهو المنهج الذي شرعه الله وامرهم باتباعه والالتزام به ،

وهو المراد من الاية الكريمة : " وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون " . " ٢ "

وقوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " . " ٣ "

وهذا يكون في الحياة الدنيا .

(ثانيهما) : الجسر المنصوب على متن جهنم للمزور عليه الى الجنة يوم القيامة ،

ويرده الاولون ، والآخرين على اختلاف مذاهبيهم ، واضرابهم ، ويكون مزورهم

عليه بحسب اعمالهم ، وتفاوت درجاتهم .

فيكون ادق من الشعرة واحد من السيف تحت قدمي الكافر ، فيترنج من

فوقه ، ثم يهوى في النار .

اما المؤمن فينهبسط عرشا تحت قدميه ، فيمر من فوقه مسرعا الى ما اعدده

الله له من النعيم في الجنة . " ٤ "

١ - انظر مختار الصحاح للرازي ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

٢ - سورة الانعام اية (١٥٣) .

٣ - سورة الفاتحة اية (٦) .

٤ - انظر : الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٧٠ / وانظر العقائد الاسلامية

ص ٢٨٢ ، / وانظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٥٧ .

وهذا الصراط يكون في الآخرة ، واليه تشير الآية الكريمة :
” وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر الظالمين فيها جثيا ” . ” ١ ”

وقد فسر العلماء الورود بانه المرور على الصراط ، ومنهم عبد الله بن
مسعود ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد رضي الله عنهم . ” ٢ ”
وما تكلم عنه الشيخ محمد عبده هو المعنى الاول ، وهو الصراط بمعنى
المنهج الحق او الدين الحق ، او جملة ما يوصل الانسان الى سعادته في الدنيا
، والآخرة كما هو مبين في الهامش . ” ٣ ”

-
- ١ - سورة مريم الايات (٧١ - ٧٢) .
 - ٢ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٤٦١) / وفتح القدير
(٣ : ٣٤٤) / وشرح الطحاوية ص ٤٧١ .
 - ٣ - قال الشيخ محمد عبده :
(الصراط : هو الطريق المستقيم : ضد المموج . وليس المراد بمقابل
المستقيم المموج ذا التمعج ، والتمازج ، بل المراد كل ما فيه انحراف
عن الغاية التي يجب ان ينتهي اليها .
والمستقيم في عرف الهندسة : اقرب موصل بين طرفين ، وهذا المعنى
لازم للمعنى اللغوي ، كما هو ظاهر بالبداهة .
وانما قلنا : ان المراد بمقابل المستقيم كل ما فيه انحراف ، لان كل
من يميل وينحرف عن الجادة يكون اضل عن الغاية ممن يسير عليها في خط ذي
تمازج . لان هذا الاخير قد يصل الى الغاية بعد زمن طويل ، ولكن الاول
لا يصل اليها قط ، بل يزداد بعدا كلما اوغل في السير ، وانهمك فيه ،
وقد قالوا : ان المراد بالصراط المستقيم : الدين او الحق او العدل ،
او الحدود .
ونحن نقول : انه : جملة ما يوصلنا الى سعادتي الدنيا والآخرة ،
من عقائد واداب واحكام وتعاليم .
لم سمي الموصل الى السعادة من ذلك صراطا وطريقا ؟

اما المعنى الثاني فلم اجد للشيخ محمد عبده كلاما فيه ، فقد عاجلته
المنية قبل ان يكمل تفسير القران الكريم ، وان كان يغلب على الظن انه مع السلف
في فهم الاية الكريمة ، والايمان بالصراط كما وردت به الاخبار عن المعصوم صلى
الله عليه وسلم ، من غير بحث عن طههته ، لان ذلك مما استأثر الله بحمله ،
ولو كان في المعرفة بها فائدة لبينها الله سبحانه وتعالى .

وانما قلت هذا بناء على القاعدة التي وضعها الشيخ محمد عبده وسار على

اساسها في فهم الامور الخبيثة من غير جهد ، وعناء .

ولانه لو حصل واول الشيخ محمد عبده ، معنى الصراط ، وحمله على معنى
من المعاني المفيدة — كما يرى — لنقل ذلك عنه ، وتناقلته الايدي بالكتابة ،
كما كان بالنسبة لتاويل الدجال ، والملائكة ، والجن ، والميزان . . .
الى اخر ما ذكرنا سابقا .

ولما لم يحصل هذا اكتفينا بالقول انه مع السلف — من باب حسن الظن —

في فهم معنى الصراط ، من غير زيادة ولا نقصان . لانه المذهب الاسلامي ،
والله اعلم .

= خذ الحق مثلا وهو الاعتقاد الصحيح بالله وبالنهضة وماحوال الكون
والناس ، تجد معنى الصراط فيه واضحا ، لان السبيل او الصراط هو ما
اسلكه واسير فيه لبلوغ الغاية التي اقصدتها ، كذلك الحق الذي يبين لي
الواقع في العقيدة الصحيحة هو كالجادة بين السبل المتفرقة المضلة ، فالطريق
الواضح للحس يشبهه الحق للعقل والنفس ، سير حسي ، وسير معنوي ،
كذلك اذا اعتبرت المعنى في الحدود والاحكام اتجده واضحا . . .
قسمت احكام الاعمال الى واجب ومندوب ومباح ومحرم ومكروه فكان ههنا
صريحا لنا من تمييز الخير من الشر ، بانفسنا واجتهادنا ، فبيان الاحكام
بالهداية الكبرى وهي الدين كالتاريخ الواضح يسلك بالعمل .
ومع هذا نجد الشهوات تتلاعب بالاحكام ، وترجمها الى اهوائها كما
يصرف السفهاء عقولهم وخواصهم قيما يرد بهم ، وهذا التلاعب بالدين انما
يصدر من علمائه) .

وهذا هو مذهب السلف في الصراط :

يوئمن السلف رضي الله عنهم انه يكون بعد العرض والحساب والميزان
والجزاء ، انصراف الناس من الموقف العظيم ، ليمروا فوق الجسر الممتد على ظهر
جهنم ، وهو الصراط .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(والصراط منصوب على متن جهنم — وهو الجسر الذي بين الجنة والنار —

يمر الناس عليه على قدر اعمالهم ، فمنهم من يمر كالمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق
الخطاف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر
كركاب الابل ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يمشي مشيا ، ومنهم من يزحف
زحفا ، ومنهم من يخطف فيلقي في جهنم ، فان الجسر عليه كالليب تخطف
الناس بأعمالهم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة ، فاذا عبروا عليه وقفوا على
قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض ، فاذا هذبوا ، ونقوا اذن
لهم في دخول الجنة) . " ١ "

والمور على الصراط يكون عاما لجميع الناس : مؤمنهم ، وكافرهم ، ومن
يحاسب ، ومن يعفى من الحساب ، ويدخل في ذلك الانبياء والصديقون
والشهداء .

واول من يمر عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته . " ٢ "

ومن استقام على الصراط الذي هو بالمعنى الاول ، استقام على هذا الصراط .
قال الامام الغزالي في " الاحياء " :

(فمن استقام على الصراط المستقيم ، خف على صراط الاخرة ، ونجا ،

ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا ، واثقل ظهره بالاوزار ، وعصى تعثر في اول قدم

١ — مجموع الفتاوى (٣ : ١٤٦ ، ١٤٧) .

٢ — انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣ : ١٧) .

من الصراط وتردى) " ١ "

وقال الدكتور البوطي :

(واعلم ان هذا الصراط انما هو تجسيد لمعنى الصراط الذي الزم الله به

عباده في الدنيا ، فمن ضيق على نفسه سبل العيش والحياة حتى لا يخرج عن صراط

الله ، ومنهجه الذي امر باتباعه ، اتسع امامه الصراط الممتد على متن جهنم ،

ومن وسع على نفسه سبل العيش والحياة في الدنيا فتجاوز حدود الله واحكامه ،

ضاق عليه ذلك الصراط غدا) " ٢ "

هذا ، والاحاديث الواردة في ذكر " الصراط " والمرور عليه كثيرة " ٣ "

، اذكر منها :-

أ : - عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون " ٤ " في رؤية القمر

ليلة البدر ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : فانكم ترونه كذلك . يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان

يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس ، الشمس ، ويتبع

من كان يعبد القمر ، القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت " ٥ " ،

١ - احياء علوم الدين ، للبخاري (٤ : ٥٢٤) .

٢ - كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٥٨ .

٣ - انظر : شرح الطحاوية ص ٤٧٠ / وشرح الواسطية ص ١٢٦ .

/ صحيح البخاري (١١ : ٣٦٥) / صحيح مسلم بشرح النووي

(٣ : ١٧) .

٤ - اي تشكون .

٥ - الطواغوت : كل ما عبد من دون الله تعالى ، وتجاوز حده .

الطواغيت • وتبقي هذه الامة فيها مناققوها " ١ " ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : انا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك " ٢ " ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ، فيقول : انا ربكم ، فيقولون : انت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون انا وامتي اول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم ، سلم •

وفي جهنم " ٣ " كلاب " ٤ " مثل شوك السعدان " ٥ " ، هل رأيتم

السعدان ؟

- ١ — قال النووي : قال العلماء : انما بقوا في زمرة المؤمنين لانهم كانوا في الدنيا مستترين بهم ، فيتسترون بهم ايضا في الآخرة ، ويسلكون مسلكهم ، ويدخلون في جفنتهم ، ويتبعونهم ، ويمشون في نورهم حتى يضرب الله بينهم بصور ويندب عنهم نور المؤمنين ، حتى يكون مقرهم الدرك الاسفل من النار • / انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣ : ١٩) •
وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٩ •
- ٢ — قال الامام ابن حجر : قال القرطبي في تأويل ذلك : هو مقام هائل يضحن الله به عباده ليميز الخبيث من الطيب ، وذلك انه لما بقي المناقون مختلطين بالمؤمنين زاعمين انهم منهم ظانين ان ذلك يجوز في ذلك الوقت كما جاز في الدنيا امتحنهم الله بان اتاهم بصورة هائلة قالت للجميع : انا ربكم ، فاجابه المؤمنون بانكار ذلك لما سبق لهم من معرفته سبحانه ، وانه منزه عن صفات هذه الصورة ، فلهذا قالوا : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئا •
- انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ : ٣٨٠ ، ٣٨١) •
- ٣ — ورد في لفظ البخاري " وه " اي في الجسر المنسوب على جهنم •
- ٤ — جمع كلوب بفتح الكاف ، وضم اللام المشددة ، وهو حديدة مكوفة الرأس ، مديبته •
- ٥ — نبت معروف في الصحراء ، له شوك عظيم من كل الجوانب •

قالوا : نعم يا رسول الله •

قال : فانها مثل شوك السعدان ، غير انه ما يعلم ما قدر عظمها الا الله •
تخطف الناس باعمالهم " ١ " • فمنهم المؤمن بقي بعمله " ٢ " ، ومنهم المجازي
حتى ينجى " ٣ " • ١٠١ هـ

ويفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ،
ويحال بينهم بسور يمنهم من الوصول اليهم بعد ان كانوا يستترون بهم ، ويمشون
في نورهم ، فيصلون الى الظلمة دون الجسر ، فيهبون في الدرك الاسفل من النار ،
وفي ذلك يكون مقرهم •

قالت عائشة رضي الله عنها : -

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اين يكون الناس يوم تهدل الارض

غير الارض ، والسماوات ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " هم في الظلمة دون الجسر " • " ١٤ "

وحاصله : ان جميع الناس يمرون يوم القيامة ، فوق الصراط حسب

اعمالهم ، وينجي الله المؤمنين من عباده ، ويهلك الظالمين ، فاذا عبر المؤمنون

الصراط ، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص الله من بعضهم البعض ،

فاذا انتهوا ، اذن لهم في دخول الجنة •

روى البخاري رحمه الله عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن

١ - اي بسبب اعمالهم ، ويجوز ان يكون المعنى : تخطفهم بحسب اعمالهم •

: انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣ : ٢١) •

٢ - واللفظ عند البخاري : (فمنهم الموق بعمله ومنهم المخردل) ، والموق :

الهالك ، والمخردل : اي القطع او المصروع •

٣ - اخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم ، وهو جزء من حديث طويل •

/ انظر صحيح البخاري (١١ : ٣٦٧) • / صحيح مسلم بشرح

النووي (٣ : ١٧) •

٤ - رواه مسلم (١ : ١٧٣) • وفي حديث سبق قال : (فوق الصراط) •

النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال :
" يخلص المؤمنون من النار ، فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار
فيقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وتقوا اذن لهم
في دخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لا احد هم اهدى بمنزله في الجنة منه
بمنزله كان في الدنيا " . " ١ " .
قال الامام النووى :

(ولقد اجمع السلف على اثبات الصراط ، وهو جسر على متن جهنم ،
يمر عليه الناس كلهم ، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم ، والاخرون يسقطون
فيها ، اعادنا الله الكريم منها) . " ٢ " .
اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، وارزقنا حسن الانابة اليه في حياتنا
الدنيا ، واحسن احوالنا فوق الصراط ، وارزقنا حسن المرور عليه يوم القيامة ،
واعذنا من النار ، وادخلنا الجنة بفضلك وكرمك يا رب العالمين .

-
- ١ — فتح البارى شرح صحيح البخارى (١١ : ٣٣٦) .
 - ٢ — نقله عن النووى ، صاحب كتاب العقيدة الاسلامية واسسها ، الاستاذ
عبد الرحمن جبنكة الميداني (٢ : ٣٥٤) .

٧ — الجنة والنار والخلود في كل منهما

=====

الجنة : هي دار اولياء الله ، وما فيها من النعيم القيم لهم .
والنار : هي دار اعداء الله ، وما فيها من انواع العذاب لهم . " ١ "
ونعرض رأى الشيخ محمد عبده في هذه المسألة ، ثم نقدر ما يستحق
النقد منه ، على ضوء الكتاب والسنة ، ونبين مذهب السلف — رضوان الله عليهم
— ونذكر نقاط الاتفاق والافتراق بين رأى الشيخ محمد عبده ، ورأى السلف . . .

" رأى الشيخ محمد عبده "

=====

وقبل ان اذكر ما قاله الشيخ محمد عبده في " الجنة والنار " ، اشير

الى ان ما ورد عنه في هذا الموضوع رايان :

(الاول) : نقله مستر " بلنت " — صديق الشيخ محمد عبده —

ونسبه الى الشيخ محمد عبده . وهو في هذا الراى ينكر العذاب الابدى في الآخرة .

(الثاني) : نقله السيد رشيد رضا — تلميذ الشيخ محمد عبده —

ونسبه الى الشيخ محمد عبده . وهو في هذا الراى يؤمن بالجنة والنار ،

والخلود الابدى .

بالاضافة الى ما كتبه الشيخ محمد عبده بخط يده في تفسير جزء عم ،

يصرح فيه بوجود الجنة والنار وما اعد الله لاهلها . . .

واليك ما ورد عنه مفصلا :

(أولا) : نقل مستر بلنت في مذكراته عن يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٣م
بلندن ، ونقلته مجلة " كوكب الشرق " في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢م
ميلادية ، ونقله الشيخ محمد عمارة ضمن الاعمال الكاملة للاستاذ الامام (٢ : ٤٦٥)
عن الشيخ محمد عبده ، قوله :

(في الحياة الآخرة ، حالة سعيدة وأخرى شقية ، ولكن على أى صورة
تكون السعادة ويكون الشقاء ؟ فهذا ما لا علم لي به ، على اني لا اعتقد
بالعذاب الابدى) ٥١هـ

لقد رأى الشيخ محمد عبده - ان صح النقل عنه - انه لا بأس عليه
ان يعترف في الحياة الآخرة بوجود حالتين يؤهل اليهط الناس : الاولى سعيدة ،
والثانية شقية ، من غير معرفة الحالة التي تكون فيها السعادة ويكون فيها الشقاء .
هذا في الوقت الذي لا يؤمن فيه الشيخ محمد عبده بالعذاب الابدى في

الآخرة .

وسأعقب على هذا الراى ، بعد ان اسوق راية الثاني في الموضوع ،

الراى الثاني :

=====

يبرز من خلال ما ورد له من نصوص ، منها ما هو مسطر بقلمه -

كتفسير " جزء عم " ، المنسوب اليه ، ومنها ما هو وارد في " تفسير المنار "

للشيخ محمد رشيد رضا ، معزوا اليه ، ومنسوبا له .

واليك بيان ذلك :

أ : - بعض النصوص الواردة فيها لفظ الجنة ، ولفظ النار ، معا :

قال : (وليس بعد الدنيا من موطن الا الجنة ، جعلنا الله من

اهلها بالتوفيق للتقوى . او النار ، نعوذ بالله منها ، وما يقرب اليها من قول

وعمل) ٥١هـ

وقال : (ورد لفظ الجنة والجنات كثيرا في مقابلة النار ، والجنة في اللغة البستان ، والجنات جمعها ، وليس المراد بهما مفهومهما اللغوي فقط وإنما هما دارا الخلود في النشأة الآخرة .

فالجنة دار الأبرار والمؤمنين ، والنار دار الفجار والفاستقين ، فنوع من بهما بالغيب ، ولا نبحث في حقيقة أمرهما ، ولا نزيد على النصوص القطعية فيهما شيئا لأن عالم الغيب لا يجري فيه القياس) . " ١ "

وقال : (فاعلم ان هناك جنة ونارا ، وان من الناس من يلقي في تلك ومنهم من يدخل في هذه . . . حتى لا يكاد يدخل احد الجنة الا بعد ان يكون زحزح عما كان صائرا اليه من السقوط في النار) . " ٢ "

ب : - بعض النصوص الواردة في الجنة :

قال : (الجنة هي دار النعيم في الآخرة ، وسميت بهذا الاسم من الاجتنان وهو الستر . لتكاثف اشجارها ، وتظليلها بالتفاف اغصانها) . " ٣ "

وقال : (المراد منها ههنا دار النعيم في الحياة الآخرة) . " ٤ "

وقال : (والجنة دار الثواب كما هو معروف) . " ٥ "

وقال : (ولا بد ان يكون اهل الثواب في دار النعيم) . " ٦ "

-
- ١ - تفسير المنار (١ : ٢٣١ ، ٢٣٢) .
 - ٢ - تفسير المنار (٤ : ٢٧٢ ، ٢٧٣) .
 - ٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام (٥ : ٣٩٣) .
 - ٤ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام (٥ : ٤٧٨) .
 - ٥ - نفس المصدر (٥ : ٣٣٩) .
 - ٦ - نفس المصدر (٥ : ٣٤٩) .

ج :- بعض النصوص الواردة في النار :

قال : (النار هي موطن عذاب الآخرة ، نوؤمن بها لأنها من عالم الغيب الذي أخبر الله تعالى به ولا نبحث عن حقيقتها ، ولا نقول أنها شبيهة بنار الدنيا ، ولا أنها غير شبيهة بها ، وإنما نثبت لها جميع الأوصاف التي وصفها الله تعالى بها) " ١ " .

وقال : (" ويصلى سعيرا " " ٢ " يقاسي حر نار شديدة الاحتراق) " ٣ " .

وقال : (الجحيم : جهنم التي يعاقب بالعذاب فيها أهل الكفر

والطغيان ، وتسعيرها إيقادها إيقادا شديدا) " ٤ " .

وقال : (فالعذاب الذي أعد لهم في جهنم هو عذاب الحريق) " ٥ " .

وقال : (وصف النار بالكبرى لأنها نار تلك الدار الآخرة ، وهي أشد

أيلاما لمن يعذبون بها من هذه النار التي نعرفها فتلك أكبر

من هذه) " ٦ " .

وقال : (وتلك النار الحارة لا نعرف كنهها ولا كيفية إيقادها ، ولكننا

نوؤمن بها وأن عمال السوء ، وحلفاء الباطل يصلونها) " ٧ " .

وقال : (" تصلى نارا حامية " " ٨ " : هي نار ملتهبة يهوى فيها

ليلقي جزاء ما قدم من عمل) " ٩ " .

١ - تفسير المنار (١ : ١٩٧) .

٢ - سورة الانشقاق آية (١٢) .

٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الأعمال الكاملة للإمام (٥ : ٣٦٨) .

٤ - تفسير جزء عم ، ضمن الأعمال الكاملة للإمام (٥ : ٣٣٨) .

٥ - نفس المصدر (٥ : ٣٧٦) .

٦ - نفس المصدر (٥ : ٣٨٩) .

٧ - نفس المصدر (٥ : ٣٩٢) .

٨ - سورة الفاشية آية (٤) .

٩ - المصدر السابق (٥ : ٤٩٤) .

وقال : (وهي نار يجب علينا الايمان بها ، ولكن لا ينبغي لنا البحث في حقيقتها لانها من امور الآخرة التي استأثر الله بعلم حقائقها وانما هي عذاب اليم " لمن يصلها) " ١ " .

وقال : (نار جهنم هي دار العذاب في الآخرة ، وهي نار يجب علينا الايمان بها ، والتصديق باب العذاب فيها اشد من العذاب في نار الدنيا ، كما يجب علينا ان لا نبحث في حقيقتها ، ولا بم تتقد ، ولا اين يكون موضعها ، فذلك مما لا يمكن لمقولنا ان تصل اليه) " ٢ " .

وقال : (ان دار العذاب ثابتة لا رب فيها ، وترونها بأعينكم ، فاجعلوا صورة عذابها حاضرة في اذهانكم فتكون منبهة لكم الى ما هو خير لكم مما تلهون) " ٣ " .

وقال : (" سيصلى ناراً ذات لهب " " ٤ " : المراد من هذه النار : نار الآخرة التي لا يعلم حقيقتها الا الله) " ٥ " .

د : — بعض النصوص الواردة في الخلود :

قال : (" وهم فيها خالدون " " ٦ " : الخلود في اللغة طول المكث . ومن كلامهم : خلد في السجن كما في " الاساس " " ٧ " . وفي الشرع : الدوام

١ — نفس المصدر (٥ : ٤٢٩) .

٢ — نفس المصدر (٥ : ٤٧٧) .

٣ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٤٩٧) .

٤ — سورة المسد اية (٣) .

٥ — المصدر السابق (٥ : ٥٥٦) .

٦ — سورة البقرة اية (٢٥) .

٧ — اساس البلاغة للزمخشري .

الابدى اى لا يخرجون منها ولا هي تفتى بهم ، فيزولوا بزوالها ، وانما هي

حياة ابدية لانهاية لها) . " ١ "

" ٢ "

وقال : (" خالدون فيها " : اى لا يخرجون منها ابدا) .

وهذا في الحديث عن نار جهنم .

وقال : (وانها دار الخلد اى ان من دخلها من اهلها لا يخرج

منها ابدا) . " ٣ "

ه : - وعن اللذة في الجنة :

قال : (فلا بد ان يكون الاكل والشرب هناك على ما ورد لحكمة

اخرى ، او هو لتحصيل لذة لا نعرفها لانها من احوال عالم الغيب ، وانما نؤمن

بما ورد ، ونفوض امر حقيقته وحكمته الى الله) . " ٤ "

وقال : (ونحن نعلم ان الحكمة في لذة الازواج بالمصاحبة الزوجية

المخصصة هي التناسل ، وانما النوع ، ولم يرد ان في الاخرة تناسلا ،

فلا بد ان تكون لذة المصاحبة الزوجية هناك اعلى وحكمتها اسى) . " ٥ "

وقال بعد ان فسر نعيم الجنة وبين بعضها من انواعه كالاكل ، والشرب

والنظر الى الله . . . الخ .

(كل هذه الانواع من النعم التي ذكرت في الايات ، مما ترغب فيه

النفوس وتتسابق اليه الهمم ، لهذا حفز الله بها عرائم المحسنين ليزدادوا احسانا ،

١ - تفسير المنار (١ : ٢٣٤) .

٢ - تفسير جزء عم ، السابق (٥ : ٥٢٤) .

٣ - نفس المصدر (٥ : ٤٧٨) .

٤ - تفسير المنار (١ : ٢٣٣) .

٥ - تفسير المنار (١ : ٢٣٤) .

وليطمح فيها السواقف على اول الطريق فيلزم الجادة الواضحة ويدع المعوجة ،
الملتبسة ، ويسلك سبيل السابقين ، وليرد بها من جار على النهج ، ويقبضه على
الصراط المستقيم .

هذا والفهوم منها ما يشبه ما نحن فيه ، فما ظنك بها لو كانت ارقى
واكمل واعلى وافضل ، وانه لا يدانيها شي . مما نعده في الدنيا الا في الاسم
اوضرب من الشبه البعيد كما هو حقيقة امرها والحق في شأنها) . " ١ "

و : وعن العذاب يقول :

(ان جهنم قد قدرها الله مرصادا واحدا يرصدون فيه للعذاب ،
وهي مرجعهم الذي ينتهون اليه ، وانهم سيقبون فيها مددا طويلا ، مجدبين ،
معدمين لا يجدون شيئا من النعيم والراحة ، ولا يدوقون فيها روحا ينفس عنهم حر
جهنم ، ولا يدوقون من الشراب الا الماء الحار والصديد الذي يسيل من ابدانهم
جزءا . يوافق اعمالهم ، لانهم كانوا لا ينتظرون يوم الحساب ، ولذلك اقترفوا
السيئات ، واتوا قبائح الاعمال ، وكذبوا بالدلائل ، التي اقامها الله على صدق
رسله ، تكذبا اشد تكذيب ، وقد احصى الله كل شي في كتاب علمه ، فلم
ينب عنه شي . مما صدر منهم ، وسيوفيهم جزءا . ما صنعوا وستكون كلمته العالية
ان يقول لهم : ذوقوا فلن تزيدكم الا عذابا) . " ٢ "

" ٣ "

ويقول : (" كلما تضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب ")
: يعني كلما ظنوا انهم تضجوا واحترقوا وانتهوا الى الهلاك اعطيناهم قوة جديدة من

١ - تفسير جزء عم ، السابق (٥ : ٣٦٠ ، ٣٦١) .

٢ - نفس المصدر (٥ : ٣١٣) .

٣ - سورة النساء اية (٥٦) .

الحياة بحيث ظنوا انهم الان حدثوا ووجدوا ، فيكون المقصود دوام العذاب
وعدم انقطاعه (" ١ ")

ويقول : (وقد جاء في الكتاب الكريم " ولا طعام الا من غسلين " ٢ ")
والغسلين ما شأنه ان يغسل عن الابدان كالقيح والصديد ونحوهما .

وفي سورة الواقعة : " ثم انكم ايها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من

زقوم " ٣ " الى اخر الايات .

وفي الدخان : " ان شجرة الزقوم طعام الاثيم " ٤ " .

وفي الصافات : " اذ لك خير نولا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة

لظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلحها

كأنه رؤوس الشياطين فانهم لا يكون منها فطالون منها

البطون " ٥ " .

فهذا كله يدل على ان طعام اهل النار شي يوافق النشأة الاخرة ،

وقد عبر الله عنه بالمبارات المختلفة ، وكلها مما يصور في اذهاننا بشاعته وخبثه

لتنفر منه نفوسنا وتطلب كل وسيلة للفرار منه فتبعد بذلك عن العقائد الفاسدة

والاعمال الخاسرة (" ٦ " هـ .

ز : - رأيه في الجنة التي هبط منها ادم عليه السلام .

يرى الشيخ محمد عبده ان الجنة التي هبط منها ادم ، بستان من

١ - تفسير المنار ، الجزء الخامس ، تفسير اية (٥٩) من سورة النساء .

٢ - سورة الحاقة اية (٣٦) .

٣ - سورة الواقعة اية (٥٢) .

٤ - سورة الدخان اية (٤٣) .

٥ - سورة الصافات اية (٦٢) .

٦ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٩٣) .

- البساتين ، كان ادم وزوجه مضمين فيها ، من غير تعيين المكان ولا البحث عنه .
 - لانه لو كان في ذلك فائدة لوصل الينا علمه ، وان الشجرة التي نهاهما من الاكل منها شجرة مخصوصة ، وان الشيطان ظلمهما بوسوسته في صدورهما ، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم الى ضده ، ثم ان ادم تاب الى الله من معصيته هذه فقبله الله ، ثم جعل سمادة هذا النوع باتباع هدى الله ، وشقاءه بتركه .
- يقول الشيخ محمد عبده :

(وهذا التفسير تنحل اشكالات كثيرة ، وهي :-

- ١ - ان الله خلق ادم في الارض ليكون هو ونسله خليفة فيها ، فالخلافة مقصودة ملهم بالذات ، فلا يصح ان تكون عقوبة عارضة .
 - ٢ - انه لم يذكر انه بعد خلقه في الارض عرج به الى السماء ، ولو حصل لذكر ، لانه امر عظيم .
 - ٣ - ان الجنة الموعود بها لا يدخلها الا المؤمنون المقنون ، فكيف دخلها الشيطان الكافر الملعون ؟
 - ٤ - انها ليست محلا للتكليف .
 - ٥ - انه لا يمنع من فيها من التمتع بما يريد منها .
 - ٦ - انه لا يقع فيها العصيان .
- وبالجملة : ان الاوصاف التي وصفت بها الجنة الموعود بها ، لا تنطبق على ما كان في جنة ادم ، ومنه : كون عطاياها غير مجدود ولا مقطوع ، وغير ذلك) . ٢٠١ هـ

١ - انظر تفسير المنار (١ : ٢٧٧) .

٢ - تفسير المنار (١ : ٢٧٧) .

وقد أيد الشيخ رشيد رضا هذا الرأي ، قال :

(وقد كان ظهري عند كتابة تفسير الآيات شيء آخر لم يذكره الاستاذ

الإمام ، ولم أراه في كتب التفسير وهو ان القول بأن آدم اسكن الجنة الآخرة

يقضي ان تكون الآخرة هي الدار الأولى ، والدنيا • فتكون التسمية للدارين

غير صحيحة ، وينافي أيضا كون الجنة دار ثواب يدخلها المقنون جزاء بما كانوا

يعملون ، كما ورد في الآيات الكثيرة) • " ١ "

ومعد :

فهذه النصوص تفيد بجملتها أن رأى الشيخ محمد عبده في الجنة

والنار ، هو الايمان بهما ، وانهما مخلوقتان خلقهما الله عز وجل ثوابا لمن

اطاع ، وعقابا لمن عصى ، وانهما مخلوقتان الى الابد ، لا تفنيان ولا تهيدان •

والان ، وعد ان تبين لنا هذا نقول :

أليس من حقنا ان نعجب من الراى الاول الذى ساقه هذا المستشرق

" بلنت " ونسبه الى الشيخ محمد عبده ، ونقله الكاتب " محمد عمارة " ضمن

اعمال الشيخ محمد عبده ؟ •

بل أليس من حقنا ان نستنكره ، ونشجبه ، ونكذب ذلك الكافر

" بلنت " الذى يريد ان يدخل على الرجل الكذب في دينه وعقيدته ؟ •

ثم اين يكون هذا الراى — المنسوب الى الشيخ محمد عبده — مع هذه

النصوص القاهرة للشيخ محمد عبده ، التي سطرها بقلمه او نقلها عنه تلميذه

القرب اليه ، وايهما تصدق : السيد رشيد رضا " المسلم " او مستر بلنت

" الكافر " ؟ •

وهل تصدق صاحب الدار ومالكها ام السارق المتلصص عليها ؟
اما العقل والعلم والكرامة والحق فيقول كل ذلك : ان الذى يصدق هو
مالك الدار — اعني الشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا — .
واما الجهل والهوان والباطل فيقول كل ذلك : بل الذى يصدق هو
اللمس المحتمل المستحل لساحة الدار ، — اعني مستربلنت — .
لا شك ان المدعو مستربلنت قد اقتضى على صديقه ، وبالغ في الكذب عليه
، والا لتعارض كلام الشيخ محمد عبده السابق — الذى ذكره " بلنت " ،
واللاحق الذى ورد عنه وعن تلميذه .

وهنا نقول :

ليس عيبا ان يرى الرجل الراى فيخالفه غدا ، فان المعصوم من

عصم الله تعالى ، وكل ابن ادم خطاء ، وخير الخطائين التوابون .
فان الراى الذى قيل ان الشيخ محمد عبده يؤمن به وهو الذى ذكره
" بلنت " ، وملخصه : " ان الشيخ محمد عبده ينكر العذاب الابدى " . وقد
سبق الراى الاخر الذى سطره الشيخ محمد عبده بقلمه ، ونقله ترجمان افكاره
— السيد رشيد — في مناره . وملخصه : " ان الشيخ محمد عبده يؤمن بالجنة
والنار ويخلودهما الى الابد — باذن الله — " .

واللاحق مقدم على السابق ، لانه يعنى ابطاله والرجوع عنه .

فبناء على ما مضى استطيع ان اتقول :

ان الشيخ محمد عبده مع السلف في هذا الموضوع — بل هو واحد منهم —
يؤمن بالجنة والنار ، وانهما مخلوقتان ، لا تفنيان ولا تبيدان ، فان الله سبحانه
وتعالى خلقهما قبل الخلق ، وخلق لهما اهلا ، واعد هما للثواب والعقاب .
وهذا بيان مذهب السلف باختصار في حقيقة الجنة ، وحقيقة النار ،
وحقيقة الخلود في كل منهما اعرضه ليظهر صدق ما قلناه ، وصحة مذهب الشيخ محمد
عبده الاعتقادى في الجنة والنار والخلود فيهما ، بعد ان سقنا النصوص الصريحة

الواضحة في هذا الموضوع .

وهاك ما قاله السلف ، باختصار :

(اولا) : " الجنة " :

=====

كلام السلف - رضي الله عنهم - في حقيقة الجنة ، وما اليها . . .

كلام طويل جدا ، فابن القيم رحمه الله الف كتابا في ذكر الجنة ونعيمها ودرجاتها

واهلها ، واحوالهم فيها . . . الى اخر ما فيها مما اعده الله لمن يدخلها - سماه

" حادي الارواح الى بلاد افراح " ١ ، لم يترك شاردة ولا واردة الا ضمنها

هذا الكتاب ، فجزاه الله عنا خيرا الجزاء .

وشيخ الاسلام الامام احمد بن تيمية - في مجموع الفتاوى - تكلم عن الجنة

في مواطن متعددة ، ذكر فيها وجود الجنة وبقائها ٢ ، ونعيمها والتلذذ فيها ،

وان الجنة درجات والناس يتفاوتون فيها . ٤

ولا مجال هنا لوصف نعيم الجنة . فحديث ذلك يطول ، ولا يكاد يفي

بالاحاطة بها .

وحاصل كلام السلف كما ورد عند شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه الامام

ابن القيم - رحمهما الله تعالى - هو :

الايمان بوجود الجنة ، وانها مخلوقة ، خلقها الله عز وجل ثوابا لمن

خافه ، واتقاه ، وانها مخلوقة قبل الخلق ، ولا تزال موجودة الى الان ،

وانها باقية الى الابد ، لا تفتى ولا تبيد .

١ - انظر : حادي الارواح الى بلاد الافراح ، دار الكتب العلمية - بيروت ،

لبنان ، توزيع دار الباز - مكة المكرمة ، يقع في ٢٩٦ صفحة .

٢ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١٨ : ٣٠٧) .

٣ - انظر : نفس المصدر (٤ : ٣١١ - ٣٢٩) .

٤ - انظر : نفس المصدر (١١ : ١٨٨ - ١٩٠) .

وان الجنة فيها من النعم ما لا يملحه الا الله .
وقد اكره الله من ذكر نعميها ، في القران الكريم ، نذكر من هذه الايات :
قوله تعالى : " ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم انهم
كانوا قبل ذلك محسنين " ١ .

وقوله تعالى : " وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب
حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها
بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولد ينم مزيد " ٢ .

وقوله تعالى : " جزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا
يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت
قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت
قواريرا ، قواريرا من فضة قدرها تقديرا ويسقون فيها
كاسا كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا واذا رايتهم رايت نعيمان وملكا كبيرا عليهم ثياب
سندس خضر واستبق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم
شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا " ٣ .

وقوله تعالى : " ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من
سندس واستبق متقابلين كذلك وزوجناهم بخور عين يدعون
فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة -

١ - سورة الذاريات ، الايات (١٥ - ١٦) .

٢ - سورة السجدة ، الايات (٣١ - ٣٥) .

٣ - سورة الانسان ، الايات (١٢ - ٢٢) .

الاولى وقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم " ١ " .
وقوله تعالى : " ان المقيمين في جنات ونعيم فاكهين بما اتاهم ربهم

وقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر
مصنوفة وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتمهم ذريتهم بايمان الحقناهمهم ذريتهم
وما التناهم من علمهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم
ما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ايطوف عليهم فلما ان لهم
كانهم لو لوء مكنون " ٢ " .

وايضا فان الرسول صلى الله عليه وسلم ء كان كثيرا ما يحدث
عنها ء ويبشر العاملين ء بها . ويكي العبد قوله صلى الله عليه وسلم
في وصف الجنة ء في الحديث القدسي " ٣ " ء يقول الله تعالى :
" اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فاقرؤا ان شئتم " فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا
يعملون " ٤ " .

واما الجنة التي هي من ادم فقد اختلف العلماء — من اهل السنة ء
غيرهم — فيها :

هل هي البستان او المكان الذي تظله الاشجار من كل جانب كما هو معلوم
لدينا ؟ ام هي دار الخلود في الآخرة ؟ ء على ثلاثة اقوال : — " ٥ "

-
- ١ — سورة الدخان ء الايات (٥١ — ٥٧) .
 - ٢ — سورة الطور ء الايات (١٧ — ٢٤) .
 - ٣ — فتح الباري شرح صحيح البخارى (٦ : ٢٤٧) .
 - ٤ — سورة السجدة ء اية (١٧) .
 - ٥ — انظر الخلاف حول هذه المسألة في :
تفسير البحر المحيط ء لابي حيان التوحيدى (١ : ١٥٥ — ١٥٧) =

(الاول) : ان المراد بها بستان من البساتين او غيضة من الغياض

كان ادم عليه السلام ، وزوجة منعمين فيها ، وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها ، وهي في موضع عال من الارض .

واليه ذهب المحققون من اهل السنة كالامام " ابو حنيفة " " ١ " ، والامام

" ابو منصور الماتريدي " .

ونقله ابن الخطيب عن ابي القاسم البلخي ، وايي مسلم الاصبهاني " ٢ "

وابن عيينة ، وابن قتيبة ، ويحكي عن ابن عباس ، وعن وهب بن منبه " ٣ "

(الثاني) : انها جنة الخلد . واختاره ابو عيسى الرماني في

تفسيره .

ثم قال : والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل واكثر اصحابنا

وهو قول ابي علي وشيخنا ابي بكر وعليه اهل التفسير " ٤ "

وهو ايضا قول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

قال : (والجنة التي اسكنها ادم وزوجته عند سلف الامة ، واهل

السنة والجماعة : هي جنة الخلد .

= (٤ : ٢٧٤ ، ٢٨١) ، طبعة القاهرة الاولى ١٣٢٨ هـ .
والكشاف للزمخشري (١ : ٤٥ ، ٢٥٩ - ٢٦٢) ، طبعة
القاهرة ١٣٠٧ هـ .

ومدارك التنزيل وحقائق التاويل للنسفي (١ : ٣٤) .

وتفسير البيضاوي ص ٢٦ .

١ - انظر حادي الارواح ، لابن القيم ص ١٩ .

٢ - انظر نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

٣ - انظر نفس المصدر ص ٢٠ .

٤ - انظر نفس المصدر ص ١٩ .

ومن قال انها جنة في الارض ، بأرض الهند ، او بأرض جدة ، او غير ذلك ، فهو من المتفلسفة والملحدين او من اخوانهم المتكلمين المبتدعين ، فان هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة .
والكتاب والسنة يردان هذا القول ، وسلف الامة وائمتها متفقون على بطلان هذا القول (١) .

(الثالث) : التوقف .

واختاره ابن الخطيب . وحجته : ان الكل ممكن ، والادلة متعارضة ، فوجب التوقف ، وترك القطع .
اقول :-

اثار الفريق الاول اشكالات ، قيماً لو كانت الجنة هي دار الخلود .
واجاب الفريق الثاني عن هذه الاشكالات .
وتوقف البعض ، وقال : ان السكوت عن الكلام في هذا افضل .
ولكل من الفريقين اشكالات ، واجوبة . اطلال في بيانها الامام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه السابق " حادي الارواح " من صفحة (١٩ - ٣٥) . ولم يرحح ابن القيم اراها ، وان كان يفهم من سياق كلامه انه مع شيخه في انها جنة الخلد .

لان ابن القيم ، ساق حجج من اختار انها جنة الخلد التي يدخلها الناس - المؤمنون - يوم القيامة ، وجوابهم عما احتج به منازعهم في صورة التقرير لهذا المذهب ، والتأييد له . والله اعلم .

والذي اراه - ولا اجزم به - ان الاشكالات التي اوردها الفريق الاول ، عقلية . وان الادلة التي اعتمد عليها الفريق الثاني ، عقلية وصحيحة ، رواها مسلم عن ابي هريرة ، وعن حذيفة ، وابي موسى الاشعري ، وسعيد بن

جبير ، وابن عباس ، وله طرق عنه كثيرة ، وفي بعضها :
" كان آدم قال لربه ان عصاه : رب ان اتيت ه واصلحت .
فقال له ربه : اني راجعك الى الجنة " .

وهؤلاء - رضي الله عنهم - نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قلا صحيحا .

ولا يصار الى العقل بوجود النقل الصحيح ، ويسعدنا ما وسع الصحابة رضي
الله عنهم . ان فهموا انها جنة الخلد ، ولم يستفسروا عنها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

ولو كانت على الارض لورد في ذلك اخبار ، واخبار . ولكنه الذي فطر
الله عليه المؤمنين جميعا ، ولم يخطر بقلهم سواه ، والله اعلم بالصواب .

(ثانيا) : " النار " .

=====

وكما يؤمن السلف رضي الله عنهم ، بوجود الجنة ، يؤمنون بوجود النار
، وانها مخلوقة من مخلوقات الله اعداها لعقاب العصاة ، وانها مخلوقة قبل
الخلق ولا تزال وانها باقية الى الابد ، لا تنفى ولا تبعد .
ولا مجال هنا ايضا لوصف احوال النار وعذابها ، فحديث ذلك يطول .
واكتفي بذكر بعض الايات القرآنية ، في ذلك :

قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها

الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما

يؤمرون " . (١)

وقال تعالى : " يوم نقول لجهنم اهل امثلاث وتقول هل من مؤيد " . (٢)

١ - سورة التحريم ، آية (٦) .

٢ - سورة ق ، آية (٣٠) .

ومن الاحاديث اذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم " ١٠

ومما يكون من تحاور ، وتخطب بين اهل الجنة واهل النار ، اذ كبر

قول الحق تبارك وتعالى :

" ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فان مؤمن بينهم ان لعنتا الله على

الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويفنونها عوجا وهم بالآخرة كافرون " ٢٠

وقوله تعالى :

" ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او

مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين " ٣٦

(ثالثا) : " خلود الجنة والنار " .

=====

ان خلود الجنة وبقاء نعيمها ، وخلود النار وبقاء عذابها ، امر ثابت لا

شك فيه ، وهو قول جمهور الائمة من السلف والخلف ، وهو ما يعلم بالضرورة

ان الله سبحانه وتعالى قرره ، وان الرسول طيه السلام اخبر به " ٤ " .

هذه حقيقة لا يمارى فيها الا معطل ولا يكابر فيها الا فاسق كافر .

١ — فتح الباري شرح صحيح البخارى (٦ : ٢٥٦) ، والموطأ ص ٦١٤ .

٢ — سورة الاعراف ، الايات (٤٤ — ٤٥) .

٣ — سورة الاعراف ، اية (٥٠) .

٤ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٨٠ وما بعدها /

وانظر العقائد الاسلامية ص ٣٠١ .

والآيات التي توضح هذه الحقيقة في كتاب الله كثيرة ، وفي السنة ما

يوكدها مما لا يدع مجالاً لمتشكك أو سبيلاً لمعاند .

ومما ورد من الآيات :

قوله تعالى : " ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات

الفرديس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولا " . " ١ "

وقوله تعالى : " ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم

وهم فيه ملبسون " . " ٢ "

" ٣ "

وقوله تعالى : " ونادوا يا مالك ليقتلنا ربك قال انكم ما تكونون "

وقوله تعالى : " ان المتقين في جنات وهمون ادخلوها بسلام

آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب

وما هم منها بمخرجين " . " ٤ "

وهذه النصوص وغيرها تفيد بقاء الجنة والنار ، وبقاء من فيهما .

أما السنة :

فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : -

" من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت " . " ٥ "

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم :

١ - سورة الكهف ، الآيات (١٠٧ - ١٠٨) .

٢ - سورة الزخرف ، الآيات (٧٤ - ٧٥) .

٣ - سورة الزخرف ، آية (٧٧) .

٤ - سورة الحجر ، الآيات (٤٥ - ٤٨) .

٥ - الحديث صحيح ، رواه مسلم ، انظر هامش صفحة ٤٨٢ من شرح

المقيدة الطحاوية .

" اذا صار اهل الجنة الى الجنة ، واهل النار الى النار . جيء
بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا اهل
الجنة لا موت ، يا اهل النار لا موت ، فيزداد اهل الجنة فرحا الى
فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم " . " ١ "

وظاهر الحديث يفيد معنى الخلود في كل من الجنة والنار ، بأوجز
عبارة ، وابلغ اسلوب .

ولا تعارض بين هذه النصوص وبين غيرها مما قد يوهم المعارضة ،
لان هذا كلام الله ، ولا تعارض بين كلامه سبحانه . وهو ما اجمع
عليه العلماء من السلف والخلف ، وما اتفق عليه المسلمون ، واهل الحق
جميعا .

” الخاتمة ”

الخاتمة - نسال الله حسننها -

=====

خاتمة هذه الرسالة ، تشتمل على موقف الشيخ " محمد عبده " ، من

القضيتين التاليتين :

القضية الاول ، هي :

" رأى الشيخ " محمد عبده " في حجية خبر الواحد ، في الامور

والمسائل الاعتقادية " .

القضية الثانية ، هي :

" رأى الشيخ " محمد عبده " في الدعوة الى الله ، والامر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، وما يتبع ذلك من ذم البدع والخرافات " .

١ : رأى الشيخ " محمد عبده " في حجية خبر الواحد في

الاستدلال على المعائد

=====

يرى الشيخ " محمد عبده " انه يجب ان يقتصر في الاعتقاد على ما هو صريح في الخبر المتواتر " ١ " • اما اخبار الاحاد " ٢ " فلا يطعن في ايمان المرء عدم التصديق بها •

١ — تنقسم السنة باعتبار طريقة وصولها اليها الى متواتر واحاد • وزاد الحنفية قسما ثالثا هو المستفيض او المشهور • فاما المتواتر فهو في اللغة مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما • وهو ما خوذ من الوتر • وفي الاصطلاح خبر جمع يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب لكثرتهم او ثقتهم • عن امر محسوس او عن جمع مثلهم الى ان ينتهي الى محسوس من مشاهدة او سماع • وهنا ينتهي الخبر الى السماع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاهدة افعاله واقاراره •

ويتضح من هذا التعريف ان هناك شروطا اربعة لابد من تحققها في

الحديث المتواتر :

اولها : ان يكون رواته عالمين بما اخبروا به وجازمين • غير مجازفين ولا ظانين •

وثانيها : ان يكون علمهم مستندا الى شيء محسوس كمشاهدة او سماع •

وثالثها : ان يبلغ عددهم الى مبلغ يمنع في العادة تواطؤهم على الكذب •

ورابعها : ان يستمر العدد المعتبر في كل الطبقات • اى في اوله

واوسطه واخره •

والتواتر قد يكون باللفظ • وقد يكون بالمعنى • وهو بنوعيه

يفيد القطع واليقين بصدق الخبر ووضوحه • ولا خلاف بين العلماء في ذلك •

٢ — واما حديث الاحاد فهو كل حديث لم يجمع شروط التواتر السابقة • وقد

يتفرد به واحد فيسمى غريبا • وقد يرويه اثنان فاكثر فيسمى عزيزا • =

يقول الشيخ محمد عبده : (يجب ان يقتصر في الاعتقاد على ما هو صريح في الخبر ،
ولا تجوز الزيادة على ما هو قطعي بظني . وشرط صحة الاعتقاد ان لا يكون فيه شيء
يمس التنزيه وعلو المقام الالهي عن مشابهة المخلوقين .

فان ورد ما يوهم ظاهرة ذلك في المتواتر وجب صرفه عن الظاهر اما
بتسليم لله في العلم بمعناه من اعتقاد ان الظاهر غير مراد ، او تاويل تقوم عليه
القرائن المقبولة .

اما اخبار الاحاد فانه يجب الايمان بما ورد فيها على من بلغته وصدق
بصحة روايتها ، اما من لم يبلغه الخبر ، او بلغه وعرضت له شبهة في صحته ،
وهو ليس من المتواتر فلا يطعن في ايمانه عدم التصديق به .
والاصل في جميع ذلك : ان من انكر شيئا وهو يعلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم حدث به او قرره فقد طعن في صدق الرسالة وكذب بها ، ويلحق به
من اهل في العلم بما تواتر عنه ، وعلم انه من الدين بالضرورة ، وهو ما في الكتاب
وقليل من السنة في العمل) . " ١ "

= وقد يستفيض بان يرويه جماعة فيكون مشهورا او مستفيضا ، وعلى هذا فلا
يفيد وصفه بانه حديث احاد انه مروى عن واحد دائما
واما المشهور والمستفيض فهو قسم من خبر الاحاد على الصحيح ،
خلافًا للحنفية الذين جعلوه قسما قائما بنفسه .
/ انظر رسالة الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ص ١٤ .
محمد ناصر الدين الالباني .
١ - رسالة التوحيد ص ١٦٠ .

والحديث المتواتر — عند الشيخ محمد عبده — هو رواية خبر عن شهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة • وايتة قهر النفس على اليقين بما جاء فيه • ويرى الشيخ محمد عبده ان هذا النوع من الاخبار ، لا نزاع بين العقلاء في انه يحصل اليقين بالمخبر به • "١"

ولكن التواتر — في نظر الشيخ محمد عبده — لا يصح ان يكون برأى جماعة ، او برأى اخرين :

(فحد التواتر هو ما تراه في القران : تعرفه طبقة يوء من تواطؤ كل منها على الكذب الى ان وصل اليك لا تنكره فرقة من فرق المسلمين قاطبة • "٢"

فهذا التواتر هو الذي يوجب اليقين وليس الامر كذلك في احاديث الاحاد) •

ويقول الشيخ محمد عبده : (والاحاد لا يوءخذ في باب العقائد ••• على ان الحديث الذي يصل الينا من طريق الاحاد ، انما يحصل الظن عند من صح عنده ، اما من قامت له الادلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة • وعلى اى حال ، فلنا ، بل علينا ، ان نفوض الامر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب ، وبدليل العقل) • "٣"

الى هنا وينتهي رأى الشيخ محمد عبده في حديث خبر الواحد ، وحاصله ان خبر الواحد ليس حجة في المسائل الاعتقادية ، وان كان حجة في الاحكام الشرعية لان العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي ، بالاية او الحديث المتواتر تواترا حقيقيا ، ان كان هذا الدليل لا يحتمل التأويل • وان احاديث الاحاد

-
- ١ — انظر : الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤١٨ ، ٤١٩) •
 - ٢ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٥٤٣ ، ٥٤٤) •
 - ٣ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٥٦٨) •

لا تفيد العلم وانها لا تثبت بها عقيدة " ١ " مناقشة ، ونقض هذا الرأي :

=====

اقول : ليس في وسعي ان اتجاهل ما قاله الشيخ محمد عبده ، وهو الاصل الذي عناه بقوله : والاحاد لا يؤخذ في باب العقائد لانه فكرة خاطئة ظهرت عند بعض علماء الكلام المسلمين منذ قرون طويلة وراى خطيرا اخذ به عدد من علماء الاحول المتأخرين ، وتبناه حديثا طائفة من الكتاب والدعاة المسلمين

هذا الرأي — لا صحة له عند كثير من علماء المسلمين ، وقد كتب في الرد عليه كثير من الحلما قديما وحديثا :

ومن اهم الردود ما كتبه الامام ابن القيم في كتاب : مختصر الصواعق

المرسلة " والامام ابن حزم في كتاب " الاحكام في اصول الاحكام " .

والمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في " رسائل الدعوة السلفية " .

الرسالة الثالثة : " الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام " ، والرسالة

الخامسة : " وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين " .

وقد جمعوا في كتبهم ما تيسر لهم جمعه من البراهين القاطعة ، والادلة

الناصعة على فساد هذا الرأي الشاذ ، وقد نقض الشيخ محمد ناصر الدين الالباني ،

دعوى عدم الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة بعشرين وجها ، جمعها في الرسالة

الخامسة ، ضمن رسائل الدعوة السلفية .

١ — وما ينبغي ان ينتبه له ان المراد بحديث الاحاد الحديث الصحيح ، ولو جاء من عدة طرق صحيحة ، لكنها لم تبلغ درجة التواتر ، فمثل هذا الحديث يردّه الشيخ محمد عبده ولا يقبله في العقيدة .

واني ارى ان الشيخ محمد عبده قد سبقه الى رفض الاحتجاج بخبر الواحد
كثيرون من علماء المسلمين ، بغض النظر عن المصدر الاساسي لهذا الرفض هو من
المحتزلة ام من الجهمية ...

لكن طبيعة البحث ، تقتضي الرد على هؤلاء ، وبيان الحقيقة ،
وان كنا نعلم انه قد قال به بعض المتقدمين من علماء الكلام .
وقبل ان اسوق كلام السلف ، وجمهور العلماء في هذه المسألة ، اسوق
شبهة عرضت لاصحاب هذا الراى الشاذ ، واذكر رد العلماء عليها ...
شبهة وجوابها : " ١ "

===== يقول الشيخ ناصر الدين الالباني : (لقد عرضت لهم
— اي الذين يقولون ان حديث الاحاد لا تثبت به عقيدة — شبهة ، ثم صارت
لديهم عقيدة وهي ان حديث الاحاد لا يفيد الا الظن ، ويعنون به الظن
الراجع طبعا ، والظن الراجع يجب الحمل به في الاحكام اتفقا ، ولا يجوز
الاخذ به عندهم في الاخبار الغيبية ، والمسائل العلمية ، وهي المراد
بالعقيدة .

ونحن لو سلمنا لهم جدلا بقولهم : (ان حديث الاحاد لا يفيد الا الظن)
على اطلاقه ، فاننا نسألهم : من اين لكم هذا التفريق ، وما الدليل على انه لا
يجوز الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة ؟

لقد رأينا بعض المعاصرين يستدلون على ذلك بقوله تعالى في المشركين :
" ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس " ٢ " ، وقوله سبحانه : " ان الظن
لا يفني من الحق شيئا " ٣ " ، ونحو ذلك من الايات التي يذم الله تعالى فيها

-
- ١ — عن رسالة : الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ، للشيخ ناصر الدين
الالباني ص ٤٦ ، ٤٧ .
 - ٢ — سورة النجم ، آية (٢٣) .
 - ٣ — سورة الانعام ، آية (١١٦) .

المشركين على اتباعهم الظن •

وفات هؤلاء المستدلين ان الظن المذكور في هذه الايات ليس المراد به

الظن الغالب الذي يفيد خبر الاحاد ، والواجب الاخذ به اتفاقا ، وانما هو

الشك الذي هو الخرص ، فقد جاء في " النهاية " و " اللسان " وغيرهما من كتب

اللغة : " الظن : الشك يعرض لك في الشيء فتحققه وتحكم به " •

فهذا هو الظن الذي نعه الله تعالى على المشركين • وما يؤيد ذلك

قوله تعالى فيهم : (ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) " ١ " ، فجعل

الظن هو الخرص الذي هو مجرد الحذر والتخمين •

ولو كان الظن المضي على المشركين في هذه الايات هو الظن الغالب

كما زعم اولئك المستدلون لم يجز الاخذ به في الاحكام ايضا ، وذلك لسببين اثنين :

الاول : ان الله انكره عليهم انكارا مطلقا ولم يخصه بالمقيدة دون الاحكام •

والاخر : انه تعالى صرح في بعض الايات ان الظن الذي انكره على المشركين ،

يشمل القول به في الاحكام ايضا ، فاسمع الى قوله تعالى الصريح في ذلك :

(سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا ولا ابواننا (فهذا عقيدة) ولا حرمتنا

من شيء) (وهذا حكم) كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل

عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ ان تتبعون الا الظن وان اتم الا تخرصون) " ٢ " •

ويفسرها قوله تعالى : (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبخي

بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا

تعلمون) • " ٣ "

١ - سورة الانعام ، اية (١١٦) ، وسورة يونس ، اية (٦٦) •

٢ - سورة الانعام ، اية (١٤٨) •

٣ - سورة الاعراف ، اية (٣٣) •

فثبت مما تقدم ان الظن الذي لا يجوز الاخذ به انما هو الظن اللغوي المراد
المرادف للخص والتخمين ، والقول بغير علم ، وانه يحرم الحكم به في الاحكام
كما يحرم الاخذ به في العقائد ولا فرق .

وانا كان الامر كذلك فقد سلم لنا القول المتقدم : ان كل الايات والاحاديث
المتقدمة " ١ " الدالة على وجوب الاخذ بحديث الاحاد في الاحكام تدل ايضا
بعمومها وشمولها على وجوب الاخذ به في العقائد ايضا ، والحق ان التفريق
بين العقيدة والاحكام في وجوب الاخذ فيها بحديث الاحاد فلسفة دخيلة في
الاسلام ، لا يعرفها السلف الصالح ولا ائمة الامة الذين يقلدهم جماهير
المسلمين في العصر الحاضر (١٠١ هـ)

رأى السلف في حجية خبر الواحد :

=====

يرى السلف رضي الله عنهم انه يجب الايمان بكل ما ثبت عن المعصوم صلى
الله عليه وسلم ، سواء اكان خبرا متواترا ام خبرا احادا ، من غير تفريق بينهما .
وخبر الواحد عندهم احد طرق المعرفة ، ويفيد العلم اليقيني ، ويوجب
الحمل ، وهو قول الامام احمد كما ذكر ابن ابي موسى " ٢ " ، وسار على ذلك
اتباع الامام احمد ، ومقرروا مذهب السلف ، حيث استدلو على وجوب الاخذ
بحديث الاحاد في العقيدة بأدلة من القران والسنة :

-
- ١ — سيأتي بعضها في كلام السلف ، بعد قليل باذن الله .
 - ٢ — هو محمد بن احمد بن ابي موسى ابو علي الهاشمي ، القاضي ، كان
عالي القدر ، سمي الذكر ، ومقربا عند القادر بالله ، والقائم
بامر الله ، صنف " الارشاد " في المذهب الحنيلي ولد سنة ٣٤٥ هـ
وتوفي سنة ٤٢٨ هـ / ٠ / انظر طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى — مطبعة
السنة المحمدية القاهرة (٢ : ١٨٢ — ١٨٦) .

الدليل الاول :

=====
قوله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله

امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم " ٠ " ١ "

وقوله تعالى : " قل اطعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين " ٠ " ٢ "

هذه الايات وامثالها تفيد ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ،

وان طاعة الله واجبة " ومن يطع الرسول فقد اطاع الله " ٠ " ٣ "

وايضا تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر به واجب ،

لقوله تعالى " وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " ٠ " ٤ "

فهذه الايات وغيرها التي تامر بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ،

فيما اخبر به ، وطاعته فيما امر به ، ليس فيها ما يفرق بين ما هو متواتر ،

وما هو خيرا احاد ، فمتى صح الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجب

الاخذ به ، والايمان بما جاء فيه .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله : (ان الرسول صلى الله عليه وسلم موضح وشارح

لدين الله ، وانه اوتي القران ومثله معه ، وان الله قد امرنا بطاعته ومحبته ،

وتمهدنا بما بلغه ووضحه ، واذا فما وضحه الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغه من

امور الدين لا بد وان يكون محفوظا بحفظ الله تعالى ، لاننا لو جوزنا على بيان

الرسول صلى الله عليه وسلم الكذب والخلط والسهو دون دليل يبين ذلك ،

لادى الامرالى سقوط ضمان الله تعالى ، وكفالتة بحفظ دينه ، وليس المراد

= وانظر كتاب : المختصر في اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل ،

تاليف علي بن محمد بن علي المصروف بابن اللحام ، حققه وقدم له الدكتور

محمد مظهر بقا ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٨٣ .

١- سورة الاحزاب ، اية (٣٥) .

٢- سورة ال عمران ، اية (٣٢) .

٣- سورة النساء ، اية (٨٠) .

٤- سورة الحشر ، اية (٧) .

بذلك دعوى عصمة الرواة ، بل المراد ان الراوي اذا كذب او غلط او سها ، فلا بد من ان يقوم دليل على ذلك ، وان يكون في الامة من يعرف كذبه وغلطه حتى يتم حفظ الله تعالى لحججه وادلته ، ولا يلتبس الحق بالباطل .

وايضا فاننا لو جوزنا الكذب على خبر الرسول والخلط فيه لادى ذلك الى بطلان حجة الله تعالى على عباده . ان في استطاعة كل من احتج عليه بسنة تبين القرآن وتفسره ان يرد ذلك باسم انه من اخبار الاحاد التي لا تفيد العلم ، ولا يحتج بها ، وذلك يبطل الانتفاع بنصوص القرآن ، وتسقط حجة الله على العباد .^١

الدليل الثاني :

===== قوله تعالى : " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " .^٢ وجه الاستدلال : هذه الآية نص في ان خبر الاحاد حجة في التبليغ عقيدة واحكاما . ذلك ان الله تعالى حذى المؤمنين على ان ينفر طائفة منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتعلموا منه دينهم ويتفقهوا فيه . ولا شك ان ذلك يشمل المقائد والاحكام ، بل المقائد اهم من الاحكام .

و (الطائفة) في لغة العرب تقع على الواحد فما فوق .

قال ابن حجر : (وهذا مصير منه الى ان لفظ " طائفة " يتناول الواحد

فما فوقه ، ولا يختص بعدد معين) .^٣

وذكر ابن حجر ان هذا منقول عن ابن عباس وغيره كالنخعي ومجاهد ،

رضي الله عنهم .

-
- ١ - مختصر الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتزلة (٢ : ٣٨٠) .
 - ٢ - سورة التوبة ، آية (١٢٢) .
 - ٣ - فتح الباري شرح صحيح البخارى (١٣ : ٢٣٤) .

الدليل الثالث :

=====
قوله تعالى : " ولا تحف ما ليس لك به علم " ٠ " ١ "

اي لا تتبعه ، ولا تعمل به ، ومن المعلوم ان المسلمين لم يزالوا من عهد الصحابة يقفون اخبار الاحاد ، ويعملون بها ، ويثبتون بها الامور الغيبية ، والحقائق الاعتقادية مثل بدء الخلق واشراط الساعة ، بل ويثبتون بها الله تعالى الصفات ، فلو كانت لا تفيد علما ، ولا تثبت عقيدة لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وائمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في " مختصر الصواعق " ٢ " ، وهذا مما لا يقوله مسلم ٠ " ٣ "

الدليل الرابع :

=====
قوله تعالى : " يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بغيرها فتبينوا " ٤ "

وفي القراءة الاخرى " فتثبتوا " فانها تدل على ان المدل اذا جاء بخبر ما فالحجة قائمة به ، وانه لا يجب التثبت بل يؤخذ به حالا ، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " ٥ "

(وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد ، وانه لا يحتاج الى التثبت ، ولو كان خبره لا يفيد العلم لامر بالتثبت حتى يحصل العلم ، وما يدل عليه ايضا ان السلف الصالح وائمة الاسلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه

١ - سورة الاسراء ، آية (٣٦) .

٢ - انظر مختصر الصواعق (٢ : ٣٩٦) .

٣ - من كلام الشيخ ناصر الدين الالباني في الرسالة الثالثة من رسائل الدعوة السلفية ص ٥٠ .

٤ - سورة الحجرات ، آية (٦) .

٥ - انظر اعلام الموقعين (٢ : ٣٩٤) .

وسلم كذا ، وفعل كذا ، وامر بكذا ، ونهى عن كذا ، وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة . وفي " صحيح البخاري " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في عدة مواضع . وكثير من احاديث الصحابة يقول فيها احد هم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما سمعته من صحابي غيره . وهذه شهادة من القائل ، وجزم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نسب اليه من قول او فعل ، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم .
الدليل الخامس :

===== سنة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه تدل على الاخذ بخبر

• الاحاد

فقد استدلل السلف وجمهور العلماء على قبول خبر الواحد ، بانه قد كثر جدا قبوله والعمل به في الصحابة والتابعين ، عملا شائعا من غير تكبير ، يحصل به اجماعهم عليه عادة وقطعا . " ٢ " فنبه :

أ : - قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما جاءته " الجدة " تطلب ميراثها ، : (مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيئا ، فارجمي حتى اسأل الناس ، فسأل الناس فقال المغيرة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاها السدس . فقال ابوبكر : هل

١ - نقله الالباني في الرسالة الثالثة : الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام

ص ٥٠ و ٥١ .

٢ - انظر : الرسالة للامام محمد بن ادريس الشافعي ، تحقيق الاستاذ احمد

محمد شاكر طبع مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٠ م / ١٣٥٠ هـ ،

ص ٤٠١ ، ٤٣٥ ، ٤٥٢ .

وانظر : اصول السرخسي ، لابي بكر محمد بن سهل السرخسي ، تحقيق : =

معك غيرك ؟ فقال محمد بن مسلمة مثله • فانفذه لها ابو بكر) • " ١ "

ب : - استشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه في " الجنين " • فقال المغيرة :

قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم " بخره " : عبد اوامة •

فقال عمر : لتاتين بمن يشهد معك ، فشهد له محمد بن مسلمة • " ٢ "

ج : - كان عمر رضي الله عنه لا يورث المرأة من دية زوجها حتى اخبره الضحك

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه ان يورث امرأة " اشيم " • " ٣ "

من دية زوجها • " ٤ "

= ابو الوفا الافغاني • مطابيح دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٧٢ هـ (١ : ٣٢٢) •

وانظر : المستصفي من علم الاصول • للبخاري • الطهفة الاولى

(١ : ١٤٨) •

وانظر : فواتح الرحموت • لعبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري

شرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور • مطبوع بهامش المستصفي (٢ : ١٣٢) •

وانظر : كشف الاسرار عن اصول البزدوى لعلاء الدين عبد العزيز البخاري

مطبعة الدار سعادت باستنبول سنة ١٣٠٨ هـ (٢ : ٣٧١ - ٣٧٨) •

١ - رواه الخمسة الا النسائي • وصححه الترمذي • ورواه مالك في الموطأ

(٢ : ٥١٣) • واحمد في المسند (٥ : ٣٢٧) • وابو داود في السنن

(٢ : ١٠٩) • وفي سنن ابن ماجه (٢ : ٩١٠) • وسنن الداربي

(٢ : ٣٥٩) • وانظر نيل الاوطار (٦ : ٦٧) •

٢ - متفق عليه : صحيح البخاري (٤ : ١٩٣) • صحيح مسلم

(٣ : ١٣٠٩) • سنن ابي داود (٢ : ٤٩٧) • سنن النسائي

(٨ : ٤٢) • سنن ابن ماجه (٢ : ٨٨٢) • الموطأ (٢ : ٨٥٥)

• سنن الداربي (٢ : ١٩٦) •

٣ - هو اشيم الضبابي • قتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خطأ • وهو

صحابي مسلم •

انظر / الاصابة (١ : ٥٢) • والاستيعاب (١ : ١١٥) •

٤ - رواه مالك في الموطأ (٢ : ٨٦٦) • واحمد (٣ : ٤٥٢) •

وسنن ابي داود (٢ : ١١٧) • وسنن ابن ماجه (٢ : ٨٨٣) • وسنن

الداربي (٢ : ٣٧٧) •

د : — وعن ابن عمر ان سمعا حدثه : ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين • فسأل ابن عمر اباه عنه • فقال نعم اذا حدثك سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تسأل عن غيره • " ١ "

هـ : — عن عبد الله بن عمر قال :

" بينما الناس بقية في صلاة الصبح اذ جاءهم ات • فقال : ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن • وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها • وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة •

فهذا النص على ان الصحابة رضي الله عنهم قبلوا خبر الواحد في نسخ ما كان مقطوعا عندهم من وجوب استقبال بيت المقدس • فتركوا ذلك واستقبلوا الكعبة لخبره • فلولا انه حجة عندهم ما خالفوا به المقطوع عندهم من القبلة الاولى •

قال ابن القيم : (ولم يفكر طيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم • بل شكروا على ذلك) • " ٣ "

والاحاديث السابقة نصت على قبول خبر الواحد : وهو في الحديث الاول

والثاني المخيرة • وفي الثالث الضحك • وفي الرابع سعد • وايضا تواتر انه عليه الصلاة والسلام كان يبعث الاحاد الى النواحي لتبليغ الاحكام • وهذا يعم العقيدة وغيرها •

١ — انظر : صحيح البخارى (١ : ٤٩) •

٢ — انظر : صحيح البخارى (١ : ٨٢) • وصحيح مسلم (١ : ٣٧٥)

والموطأ (١ : ١٩٥) •

٣ — نقله الشيخ ناصر الدين الالباني ولم يبين اسم الكتاب الذى اخذ عنه •

انظر : الرسالة الثالثة من سلسلة الدعوة السلفية ص ٥٣ •

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة الي اليمن يعلمهم السنة

والاسلام - كماورد - " ١ " وبعث عليا رضي الله عنه ، في موسم الحج الي

" منى " ليعلن سيادة الاسلام في الجزيرة العربية " ٢ " وبعث معاذ بن جبل ،

وابا موسى الاشعري وبعث واحدا واحدا الي الملوك والروما يدعوهم الي الاسلام ،

واكتفى بذلك في الزام الحجة وتبليغ الدعوة .

فلولم يقع العلم بخبر الواحد في امور الدين الاصلية والفرعية ، لم يقتصر

صلى الله عليه وسلم على ارسال الواحد من اصحابه .

يقول الشيخ ناصر الدين الالباني : (وما الا رب فيه ان هو لاه كانوا

يعلمون الذين ارسلوا اليهم العقائد في جملة ما يعلمونهم ، فلولم تكن الحجة

قائمة بهم عليهم لم يعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم افرادا ، لانه بعث

يثنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا معنى قول الامام الشافعي في

" الرسالة " ص (٤١٢) :

" وهو صلى الله عليه وسلم لا يبعث بامر ، الا والحجة للمبعوث اليهم

و عليهم قائمة بقبول خبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان قادرا على

ان يبعث اليهم فيشافهم ، او يبعث اليهم عددا ، فبعث واحدا يعرفونه

بالصدق " (٣)

هذه بعض ادلة السلف رضي الله عنهم التي تدل على الاخذ بخبر الاحاد ،

وتدل ايضا دلالة قاطعة على عدم التفريق بين حديث الاحاد في العقيدة والاحكام ،

وانه حجة قائمة في كل ذلك .

١ - اخرجه مسلم (٢ : ٢٩) ورواه البخاري مختصرا .

٢ - النظر : سيرة ابن هشام (٣ : ٢٠٠) ، والنظر : الرحيق المختوم

ص ٤٠٥ .

٣ - الرسالة الثالثة من رسائل الدعوة السلفية ص ٥٣ .

وانا ذاكر الان بعض اقوالهم التي تدل على ما قرروا من وجوب الاخذ بحديث
الاحاد في الاعتقادات والمعاملات ، وانه يفيد العلم واليقين في كثير من الاحيان ،
من ذلك الاحاديث التي تلقنتها الامة بالقبول

قال الطحاوي رحمه الله : (وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، من الشرع والبيان كله حق) . " ١ "

قال شارح الطحاوية : " يشير الشيخ رحمه الله بذلك الى الرد على
الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بان الاخبار قسماً :
متواتر ، واحاد .

فالمتواتر وان كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة ، فان الادلة
اللفظية لا تفيد اليقين ، ولهذا قدموا في دلالة القران على الصفات ، قالوا :
والاحاد لا تفيد العلم ، ولا يحتج بها من جهة طريقها ، ولا من جهة متنها ،
فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى واسماؤه وصفاته وافعاله من جهة الرسول ،
واحالوا الناس على قضايا وهمية ، وهدموا خيالية ، سموها قواطع عقلية ، وبراكين
يقينية ، وهي هي التحقيق " كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب " . " ٢ "

ومن العجب انهم قدموها على نصوص الوحي ، وعزلوا لاجلها النصوص
فأفترت قلوبهم من الاهداء بالنصوص ، ولم يظفروا بالمقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة
السليمة ، والنصوص النهوية ، ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمقول الصحيح
الموافق للفطرة السليمة

١ — شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٣ .

٢ — سورة النور ، آية (٣٩) .

وطريق اهل السنة ان لا يعد لوا عن النص الصحيح ، ولا يعارضوه بمقول ،
ولا قول فلان ، كما اشار اليه الشيخ رحمه الله ، وكما قال البخاري رحمه الله :
” سمعت الحميدى يقول : كما عند الشافعي رحمه الله ، فاته رجل
فسأله عن مسألة ، فقال : قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذا
وكذا .“

فقال رجل للشافعي : ما تقول انت ؟
فقال : سبحان الله تراني في كنيسة تراني في بيعة تراني على وسطي
زنار ؟ اقول لك : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانت تقول :
ما تقول انت ؟ ”

ونظائر ذلك في كلام السلف كثير . وقال تعالى : ” وما كان لمؤمن ولا
مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ” . ” ١ ”
وخبر الواحد اذا تعلقته الامة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم
اليقيني عند جماهير الامة . وهو احد قسمي المتواتر ، ولم يكن بين سلف الامة في
ذلك نزاع ” . ” ٢ ”

اذ ” ان الخبر اذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعلقته
الامة بالقبول فانه يوجب العلم فيما سبيله العلم . . . والقول الذي يذكر ان خبر
الواحد لا يفيد العلم بحال ، ولا يد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شي
اخرجه القدرة والمعتزلة ” . ” ٣ ”

-
- ١ — سورة الاحزاب ، اية (٣٦) .
 - ٢ — شرح الطحاوية ص ٣٩٨ — ٤٠٠ .
 - ٣ — انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ص ٣٠ ، نقلا
عن كتاب : ” الانتصار لاهل الحديث ” لابن السمعاني
ص ١٦٠ .

قال الامام الشوكاني : " وقال احمد بن حنبل : ان خبر الواحد يفيد بنفسه العلم .

وحكاه ابن حزم في " الاحكام " عن داود الظاهري ، والحسين بن علي الكرابيسي والحارث المحاسبي . وقال : وبه تقول . وحكاه ابن خويز منداد عن مالك بن انس ، واختاره واطال في تقريره . ونقل عن القفال انه يوجب العلم الظاهر ، واستدلوا على القول بانه يفيد العلم نطقا انه يجب العمل به ، وبين صاحب " كشف الاسرار " ان الامام احمد قال : ان خبر الاحاد يفيد العلم ضرورة . وقال داود : انه يفيد العلم استدلالا (١) .

قال القاضي " ابو يعلى " : هذا المذهب .

قال ابو الخطاب : هذا ظاهر كلام اصحابنا ، واختاره ابن الزاغوني ، والشيخ تقي الدين ، وقال : " الذي عليه الاصوليون من اصحاب ابي حنيفة ، والشافعي ، واحمد ، ان خبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول تصديقا له ، وعلا به يوجب العلم ، الا فرقة قليلة من اهل الكلام انكروا ذلك " . اهـ .

وهذا ذكره ابو اسحق ، وابو الطيب ، وذكره عبد الوهاب وامثاله من المالكية ، والسرخسي وامثاله من الحنفية ، وهو الذي عليه اكثر الفقهاء واهل الحديث ، والسلف ، واكثر الاشعرية وغيرهم .

قال ابن الصلاح : ما اسنده البخاري ومسلم : " العلم اليقيني النظرى واقبحه خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بانه لا يفيد في امله الا الظن ، وانما تلقته الامة بالقبول لانه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يخطئ " . (٢)

١ - انظر كتاب : شرح الكوكب المنير المسقى بمختصر التحرير في اصول الفقه ،
تأليف محمد بن احمد الفتوحى الحنبلى المعروف بابن النجار
تحقيق الدكتور محمد الزحيلي ، والدكتور نزيه حماد ،
(٢ : ٣٤٨) .

٢ - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ١٤ ، تصوير دار الكتب العلمية
بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

ويقول ابن الصلاح : وقد كنت اميل الى هذا ، واحسبه قولاً ثم بان لي
ان المذهب الذي اخترناه اولا هو الصحيح لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا
يخطئ ، والامة في اجمعها معصومة من الخطأ . ١٠ هـ
وحكى ابن عبد البر اجماع العلماء على العمل بأحاديث الاحاد في اصول
الديانات .

وقال الامام احمد : لا تتعدى القران والحديث .
وقال ابن قاضي الجبل : مذهب الحنابلة ان اخبار الاحاد المثلثة بالقبول
تصلح لاثبات اصول الديانات وذكره القاضي " ابو يعلى " في مقدمة " المجرى " ،
والشيخ تقي الدين في عقيدته .
قال ابن القاص : لا خلاف بين اهل الفقه في قبول خبر الاحاد " ١ " .
١٠ هـ

وقال الامام ابن القيم : (قال شيخ الاسلام ابن تيمية : فهذا يفيد العلم
اليقيني عند جماهير امة محمد صلى الله عليه وسلم لكن الاولين والآخرين ، اما
السلف ، فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، واما الخلف ، فهذا مذهب الفقهاء
الكبار من اصحاب الائمة الاربعة ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية
والشافعية والحنبلية) . " ٢ " .

وبالجملة فادلة القران ، والسنة ، وعمل الصحابة والتابعين ، واقوال العلماء
تدل دلالة قاطعة على وجوب الاخذ بحديث الاحاد في الخبريات العملية
(العقيدة) ، كما هو في الطلبات العملية .

١ — عن كتاب شرح الكوكب المنير لابن النجار ص ٣٤٩ — ٣٦١ بتصريف .
٢ — انظر : رسالة الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ، للالباني ص
٥٨ ، نقلاً عن مختصر الصواحي (٢ : ٣٧٣) .

لذلك يجب على كل مؤمن بالله ، ومصداق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان يؤمن بكل حديث ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان في العقائد او الاحكام ، وسواء اكان متواترا ام احادا ، استجابة لقوله تعالى " وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " . ١

ومما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من العقائد الاسلامية ، اذكر :

- ١ - شفاعته صلى الله عليه وسلم العظيم في المحشر .
- ٢ - شفاعته صلى الله عليه وسلم لاهل الباطن من امته .
- ٣ - معجزاته صلى الله عليه وسلم كلها ما عدا القران ، ومنها معجزة الشقاق القمر
- ٤ - الاحاديث التي تتحدث عن صفة الملائكة والجن ، والجنة والنار وانهما مخلوقتان .
- ٥ - الايمان بسؤال منكروتكبير .
- ٦ - الايمان بخذاب القبر .
- ٧ - الايمان بالميزان ذي الكفتين يوم القيامة .
- ٨ - الايمان بالصراط .
- ٩ - الايمان بخوضه صلى الله عليه وسلم وان من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا .
- ١٠ - دخول سبعين الفا من امته الجنة بخير حساب .
- ١١ - الايمان بان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة .
- ١٢ - الايمان بمجموع اشراط الساعة كخروج المهدي ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج الدجال ، وخروج دابة الارض من موضعها

هذه بعض المقائد الاسلامية الصحيحة التي ثبتت عن المصوم صلى الله عليه وسلم ، وتلقتها الامة بالقبول يجب علينا تصديقها والايمان بها ، ولا يحق لاحد ان ينكرها او يشكك فيها ، او يؤولها ، لان من يفعل ذلك يتجرأ على قائلها - وهو المصوم صلى الله عليه وسلم - ، جرأة بما لا تحمد عقبا .

ومعد :

فهذا هو رأى السلف في حجية خبر الواحد في امور العقيدة ، نختاره ، وندين الله به ، ويسمنا ما اوسع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، ومن اعتقد خلاف هذا فقد بني عقيدته على الوهم والخيال ، وانشغل عن الحديث الصحيح بأراء الرجال .

ب : - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر -

=====

قال تعالى : " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون " . " ا " صدق الله العظيم .

ان ما قاله الشيخ " محمد عبده " ، في معنى هذه الاية الكريمة ،

قاعدة مكيمة للدعاة الى الله ، واصل شريف يرجح اليه عند تفريق الاهداء ،

واختلاف الاراء .

وهو على قلته ، واجماله ، استوفى عناصر البحث ، وخصائمه . . .

بهمة طالية ، ونظرة متفحصة ثاقبة ، وفكر مستنير . . . الامر الذي يدل على

الواقع المولم الذي كان يعيش فيه ، والطاجة الاكيدة الى العمل بهذا الاصل

في مجتمع تغيرت مفاهيم^{فيه} الناس ، وتصوراتهم عن الاسلام الذي هو دين الله

للناس كافة .

وليس يلزم ان اسوق ما قاله الشيخ محمد عبده ، كلمة ، كلمة . . .

ولكنني استطيع ان اخص ما قال ، واجمع العناصر الرئيسية للموضوع ،

واضعها بين يدي القارئ - خاصة الدعاة - وشرحها من وجهة نظر

قائلها ، واطق عليها - ان كانت هناك حاجة - وهذا هو المناسب للمقام .

يتناول البحث في قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ستة

عناصر ، هي :-

أ : الاعتصام بحبل الله وحدة الامة ، وجامعتها .

ب : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظ الجامعة ، وسياج الوحدة .

- ح : مراتب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر •
د : ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير : الامة بالمعروف
الناهية عن المنكر •
هـ : ما تنقسم به الوحدة الاسلامية •
و : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يستدعي الحرب على البدع والخرافات •

الشيخ :

=====

أ : الاعتصام بحبل الله ووحدة الامة وجامعتها •

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان الاعتصام بحبل الله هو الطريق الوحيد
لتكوين الامة الواحدة ، وضمان قيامها ، وصدر حياتها •
وان الاعتصام بحبل الله يعنى الاحتكام الى كتاب الله في جميع شؤون الامة
الدينية منها ، والاخوية •
يقول الشيخ محمد عبده :

(ومن القواعد المسلمة انه لا تقوم لقوم قائمة ، الا اذا كان لهم
جامعة تضمهم ، ووجدة تجمعهم وتربط بعضهم ببعض فيكونون بذلك امة حية ،
كانها جسد واحد ، كما ورد في الحديث الشريف :
" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى
منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " • " ١ "
وحديث : " المؤمن من المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " • " ٢ "

- ١ - رواه مسلم • ورواه احمد بن حنبل في المسند •
٢ - متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم • ورواه ايضا الترمذى والنسائى •

فاذا كانت الجامعة الموحدة للامة ، هي مصدر حياتها سواء اكانت مؤمنة
ام كافرة ، فلا شك ان المؤمنين اولى بالوحدة من غيرهم ، لانهم يعتقدون ان لهم
الها واحدا يرجعون في جميع شؤنهم الى حكمه الذي يعلو جميع الالهواء ، ويحول
دون التفرق والخلاف . بل هذا هو ينبوع الحياة الاجتماعية لما دون الامم من
الجمعيات حتى البيوت والعائلات) " ١ "

نعم ، انه لا حياة لامتنا الاسلامية ، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة الا
بالرجوع الى الله ، والرجوع الى الله له طريق واحد ، واحد لا سواه ، انه
الرجوع الى تحكيم كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيه تفتح
مفاتيح القلوب البشرية ، وبه الشفاء من كل داء " ٢ "

ب : - حفاظ الجامعة وسياج الوحدة .

=====

ويرى الشيخ محمد عبده ان لكل جامعة وكل وحدة حفاظا يحفظها ،

وسياجا يوحد ها .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ارشدت اليه الاية الكريمة

هو حفاظ الجامعة وسياج الوحدة .

والمعروف ، يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة .

والمنكر ، ضده . وهو ما انكرته العقول والطباع والسليمة .

والمرشد الى ذلك مع سلامة الفطرة ، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه

وسلم .

نعم . ومن يقرأ التاريخ الاسلامي ، يجد صدق ذلك ، فط من امة امرت بالمعروف

١ - تفسير المنار (٤٣ : ٢٦) .

٢ - انظر : مقدمة الظلال ، لسيد قطب . الجزء الاول .

ونهي عن المنكر ، الا دامت ، ودام عزها ، وما من امة فشا فيها المنكر الا اخذها

• الله وانزلها •

فالامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر هو حفاظ الامة الاسلامية ، وسياج

• وحدتها •

ج : — المراتب العملية للامر بالمعروف والنهي عن المنكر •

=====

ويرى الشيخ محمد عبده ان للدعوة الى الخير مراتب :

المرتبة الاولى : هي دعوة سائر الامم الى دين الله وهو الاسلام •

المرتبة الثانية : هي دعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير ، واعتناهم بالمعروف

• ونهيهم عن المنكر •

وهذه المرتبة — الثانية — لها طريقتان :

(احدهما) : الدعوة العامة الكلية ، كالتدريس في المساجد ، والقاء الخطب

• والمواظ •

وانما يقوم على هذا الطريق خواص الامة — اى العلماء — وهم

المشار اليهم بقوله تعالى : " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في

الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " • " ١ "

والطريق الثاني : الدعوة الخاصة ، وهي ما يكون بين الافراد ، بعضهم مع بعض ،

ويستوى في هذا الطريق الدارس وغير الدارس • كل حسب علمه ، وطاقته ،

وهذه الطريق اشار اليها القران الكريم في سورة " العصر " •

قال تعالى : " والمصران الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " • " ٢ "

١ — سورة التوبة ، اية (١٢٢) •

٢ — سورة العصر ، الايات (١ — ٣) •

اقول : نعم •

فلوان المسلمين سلكوا هذا الطريق ، وعموا دعوتهم ، وتجنبوا الخلاف

فيما بينهم ، لانتشرت دعوة الاسلام ، ولاستقام على الحق خلق كثير •

ولقد كان لنا في السلف الصالح اسوة حسنة — بمد الرسول صلى الله عليه

وسلم — ان يقول قائلهم " ١ " ، في احدى الممارك الاسلامية •:

(انما ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد •

ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة) •

وايضا : فلوان افراد الامة تناصحوا فيما بينهم ، ودعوا الى الله وامروا

بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، لمكن الله لهم في الارض ، واسخ عليهم نعمه ظاهرة

وباطنة • ومن عليهم بنعمة الامن والرخاء • وهذه تكاد تكون مقودة في عالمنا

الاسلامي اليوم •

يقول الشيخ محمد عبده : (يجب على الامة الانكار على فاعل المنكر من

افرادها ، وتغييره او النهي عنه ، لئلا يفشو فيها فيصير خلقا من اخلاقها او عادة

من عاداتها ، فتستحق عقوبته في الدنيا — كالضعف والفقر وقد الاستقلال — كما

تستحق عقوبته في الاخرة ، بما دس نفوسها) • " ٢ "

وقال : (ان ما نحن فيه من سوء الحال اثر تفريط كبير ، تمادى في زمن

طويل بمد ما عظم التساهل في ترك التناصح ، وبطل رد ما يتنازع فيه المسلمون الى

الله ورسوله اى الى كتاب الله وسنة رسوله ، وخوت القلوب من احترام الدين ، حتى

لم يعد له سلطان على الارادة ، بل صار كل شخص اسير هواه ، ومتى امس الناس

هكذا — لا دين ولا مروءة ولا ادب — فأي فرق بين الطائفة منهم ، والقطيع من

المعز او البقر ج ؟) • " ٣ "

١ — روى بن عامر ، حين دخل على رستم قائد جيش الفرس في معركة القادسية •

٢ — تفسير المنار (٤ : ٢٦٣) •

٣ — تفسير المنار (٤ : ٣٠) •

يقول رشيد : عند هذا سأل سائل عن قوله تعالى : " يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " . " ١ " . فأجاب " ٢ " :
(ان هذا بعد القيام بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أى ان الانسان لا يضره ضلال غيره اذا هو امره ونهاه ، فانه لا يكون مهتديا مع تركه لهذه الفريضة .

ثم قال : من المعجب ان بعض الناس اشتروا لهذه الفريضة شرطا ، لم يأذن به الله ، ولم ينزله في كتابه ، وهو انه : لا يأمر وينهي الا من كان مؤتمرا ، ومنتھيا .

وقال : ويشترط بعضهم للوجوب شرطا اخر ، وهو الامن على النفس . " ٣ "

١ - سورة المائدة ، آية (١٠٥) .

٢ - ان هذه الشبهة التي سئل عنها الشيخ محمد عبده ، قديمة عرضت للناس

زمن ابي بكر رضي الله عنه ، فقد روى اهل الحديث من طريق قيس بن حازم قال : قام ابو بكر خطيبا ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انكم تقرون هذه الآية " يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " ، وانكم تقعونها غير موضعها ، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا رأى الناس المنكر فلم يخبروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب " .

ولابن مردويه عن ابن عباس قال :

قعد ابو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سعى خليفة رسول الله ، فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مد يده فوضعها على المجلس الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه ، من منبره ، ثم قال : سمعت الحبيب وهو جالس في هذا المجلس يتأول هذه الآية ثم فسرها فكان تفسيره لها ان قال :

نعم ليس من قوم يحمل قبيهم ، دنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يخبروه ولم ينكروه الا حق على الله ان يعمهم بالقوية جميعا ، ثم لا يستجاب لهم ، ثم ادخل اصبعه في اذنيه فقال : ان لا اكون سمعته من الحبيب صمنا .

انظر تفسير المنار (٤ : ٣١) .

٣ - انظر : تفسير المنار (٤ : ٣٠) .

ويرد الشيخ محمد عبده على هؤلاء بقوله :

(وكان ينبغي ان يقولوا : على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يدعو بالحكمة والوعظة الحسنة حتى لا ينفرد الناس او لا يحطهم على ايذائه ، فان الله يقول ، انه لا نجاة للناس الا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ولم يشترط في ذلك شرطاً) . " ١ "

قال رشيد : ثم قال الاستاذ الاطام ما حصله :

(جملة القول ان الدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض حتم على كل مسلم كما تدل عليه الآية في ظاهرها المتبادر ، وغيرها من الايات كقوله تعالى " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه " (" ٢ ") كذلك عمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، واصحابه رضي الله عنهم) . " ٣ "

د : — ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير من امور .

=====

قال الشيخ محمد عبده " ٤ " : (نذكر ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير ، الأمرة بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، اى القائمة بالواجبات التي هي قوام الوحدة وحفاظها ، فان اعمالها لا تتم الا بأمر كثيرة منها :

١ — العلم التام بما يدعون اليه : ان اول ما يجب على هؤلاء الهداية العلم بالقران ، والعلم بالسنة ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، وسلف الامة الصالح ، والقدر الكافي من الاحكام . فهذا شيء من البيان ، وهو في نفسه يحتاج الى بيان ، وتفصيل اهمه :

١ — انظر نفس المصدر (٤ : ٣٢) .

٢ — سورة المائدة ، آية (٧٩) .

٣ — انظر المصدر السابق (٤ : ٣٥) .

٤ — بتصرف : انظر تفسير المنار (٤ : ٣٨ — ٥) .

ان العلم بالقران انما فيه قبل كل شيء الى كونه هدى وعبرة وموعظة على نحو تفسيرنا هذا ، وكذلك السنة ، وما صح من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرته . وينظر في هذا ايضا الى الفرق بين ما تواتر عملا ، وما صح سندا وما ليس كذلك .

٢ - العلم بحال من توجه الدعوة اليهم : في شؤونهم واستعدادهم ، وطبائع بلادهم واخلاقهم ، او ما يعبر عنه في عرف العصر بحالهم الاجتماعية . وقد روى ان من اسباب ارتضاء الصحابة بخلافة ابي بكر ، كونه انساب العرب ، وليس معنى كونه اعلم بالانساب انه كان عنده كتاب : " بخر الانساب " يراجع فيه ، وانما معناه انه كان اعلمهم باحوال قبائل العرب وموطنها ، وتاريخ كل قبيلة ، وسابق ايامها واخلاقها ، كالشجاعة ، والجبن ، والامانة ، والخيانة ، ومكانها من الضعف والقوة ، والغنى والفقر ، وما كان اقدامه - مع لينه وسهولة خلقه التي يعرفها له كل احد حتى الافرنج - على حرب اهل الردة ، الا لهذا العلم الذي كان به على بصيرة ، فلم يهيب ولم يخف ، وقد خاف " عمرو احجم على شدته المعروفة على الكافرين والمنافقين . حتى قال ابو بكر : (والله لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم عليه) . فهذه قوة العلم ، لا قوة الجهل .

٣ - : مناشيء علم التاريخ العام : ليعرف الفساد في العقائد والاخلاق والعمادات فينبون الدعوة على اصل صحيح ويعرفون كيف تنهض الحجة ويبلغ الكلام غايته من التأثير ، وكيف يمكن نقل هؤلاء المدعويين من حال الى حال . ولهذا كان القران مطوياً بعبر التاريخ .

٤ - علم تقويم البلدان : ليعد الدعوة لكل بلاد منها عدتها اذا ارادوا السفر اليها . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم اعلم اهل زمانهم بالتاريخ ، وما يسمى الان : بتقويم البلدان ، والجغرافية ، ولذلك اقدموا على الفتوح ومحاربة الامم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل ، فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع

المياه وما يصلح موقعا للقتال منها ، لهلكوا ، وكان الجهل اول اسباب هلاكهم ،
ومن قرأ ما حفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها ، ومحاوراتهم في تدبير
الاعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان .

ومن الناس من ينفر من التاريخ ، وتقويم البلدان ، الذى هو فرع من فروعهم ،
وما اضر هؤلاء الا بانفسهم وامتهم فقد قطعوا الصلة بينهم وبين القدوة الصالحة
من سلفهم ، حتى صار اكثر المسلمين الا يعرفون مبدء الاسلام ، ولا كيفية نشأته ،
ولا كيف انتسبوا اليه .

فالتاريخ يعرف الانسان بنفسه من حيث هو متدين ان كان له دين ، او
من حيث هو انسان ان كان من نبي الانسان .

وما اضر بالفقه شيء كالجهد بالتاريخ ، لاننا لو حفظنا تاريخ الناس ومنه
عاداتهم ، وعرفهم ، ومضالحهم في البلاد التي كان فيها المجتهدون الواضعون
لهذا الفقه ، لكنا نعرف من اسباب خلافهم ومدارك اقوالهم ما لا نعرفه اليوم ،
فما كان ذلك الخلاف جزافا ولا عبثا .

الم تر ان الشافعي رضي الله عنه وضع بعد مجيئه الى مصر مذهبا جديدا
غير المذهب القديم الذى كان عليه ايام لم يكن خبيرا بغير الحجاز والعراق . . .
وكذلك كان ما خالف به " ابو يوسف " استاذ " ابا حنيفة " مما يرجع
الكثير منه الى ما اختبره من حال الناس في مضالحهم وعرفهم ومنافعهم .

فبالله : كيف ينتسب امرؤ الى امام ويستغل بعلم مذهبه وهو لا يعرف
تاريخه وتاريخ عصره .

وجملة القول : ان الجاهل بالتاريخ لا يصلح ان يكون فردا من الامة الداعية
الى الاسلام ، الامرة بالمعروف ، الناهية عن المنكر في الامور العامة الذى يرجسي
قبوله .

٥ - علم النفس : وهو يساوى علم التاريخ في المكانة ، والفائدة .
اي العلم الباحث عن قوى النفس ، وتصرفها في علومها ، وتأثير علومها في
اعمالها الادارية .

مثال ذلك ان الاصل ان يكون العمل تابعا للعلم ، ولكن كثيرا من الناس

يعتقدون ان عمل كذا ضار ، ويأتونه ، وعمل كذا نافع ، ويتركونه .

فما هو السبب في ذلك ؟ وهل يحسن دعوة هؤلاء الى الخير واقناعهم بترك

الشر من لا يعرف لماذا تركوا الخير واقتروا الشر ؟

فهذه المعرفة هي من علم النفس الذي يؤخذ منه ان من العلم ما يكون صفة

للنفس حاكمة على ارادتها ، مصرفة لها في اعمالها ، ومنها ما هو صورة تعرض للذهن

لا اثر لها في الارادة ، فلا تهتم على العمل ، وانما يكون مظهره القول احيانا .

ولا تظنوا ان الصحابة لم يكن عندهم شيء من هذا العلم ان لم يكونوا

يدرسونه في الكتب ، ويتلقونه عن المعلمين . فانكم اذا قرأتم التاريخ وعرفتم كيف

كانوا يتجادلون في الحرب ، في مواقع الخطب بمجرد الفطوة التي يعبرون عنها

امكنكم ان تعرفوا مكانهم منه .

نعم ان الانسان في كل زمن يحتاج الى نوع من طرق التعليم فير ما كان في

الزمن الذي قبله ، فالحقيقة واحدة ، قد تختلف طرق العلم بها باختلاف الزمان

والمكان والاحوال .

٦ - علم الاخلاق : وهو العلم الذي يبحث في الفضائل وكيفية تربية المرء عليها ،

وعن الرذائل ، وطرق توقيه منها ، وهو ضروري ، وما ولد فيه من الايات

والاحاديث ، واثار الصحابة والتابعين يعني بشهرته واستفاضته عن اطالة الكلام فيه .

٧ - علم السياسة : وليس المراد السياسة الشرعية التي كتب فيها ابن تيمية

وغيره . فهذه على ضرورتها داخلة في علم الكتاب والسنة والاحكام .

وانما المراد العلم بحال دول العصر وعلاقاتها وطرق سعيها

والسياسة بهذا المعنى لم تكن في عصر الصحابة .

٨ - العلم بالفنون والعلوم : المتداولة في الامم التي توجه اليها الدعوة ولو

بقدر ما يفهم به الدعاة ، وما يورد على الدين من شبهات تلك العلوم ، والجواب

عنها يلحق بمعارف المخاطبين بالدعوة .

٩ - المعرفة بالطل والنحل ، ومذاهب الامم فيها ، ليتيسر للدعاة ،

بيان ما فيها من الباطل ، فان لم يتبين له بطلان ما هو عليه ، لا يلتفت الى الحق الذي عليه غيره ، وان دعاة اليه .

١٠ - العلم بلغات الامم التي تراد دعوتها :

وقد ورد في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بعض الصحابة ، بتعلم اللغة العبرانية لاجل اليهود ، الذين كانوا مجاورين له على انهم كانوا قد استعربوا .

فما كانت معرفة لغتهم الاصلية الا مزيد كمال في الفهم عنهم ، ومعرفة حقيقة

شأنهم .

ولا يقال ان الامة التي تولف للدعوة للاسلام يمكنها ان تستغني عن تعلم

لغات الامم بالترجمين من غير المسلمين . فانها ان ظفرت بالمشرح الاجنبي الامين

لا يتيسر لها ان تفهمه من حقيقة الدين عند الترجمة ما يفهمه العالم المسلم . وانما

يلجأ الى مثل ذلك عند الضرورة اذا امكن تاليف جمعية للدعوة ، فالواجب ان يكون

فيها من المسلمين العارفين باللغات ما يكفيها الحاجة الى ترجمة الاجنبي ، كما

تفعل جمعيات الدعوة الى النصرانية ، فان افرادا منها يتعلمون لغات جميع الامم .

هـ : - تصدع الوحدة الاسلامية :

=====

التفرق والاختلاف هما مادة تقويض البناء الاسلامي ، وتصدعه ، بل نفسه

من اساسه . لذلك نهى الله تعالى عنهما مباشرة بعد الاية الكريمة السابقة الداعية

الى تكوين الامة الداعية الى الخير ، فقال تعالى : " ولا تكونوا كالذين تفرقوا

واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " . " ١ " .

قال الشيخ محمد عبده : (ان هذه الاية كالدليل على انه يجب ان تكون

وجهة الامة الداعية ، الامرة ، الناهية ، واحدة . لان الذين سبقوهم ما افلحوا

لعدم وحدتهم ، كانه يقول : لا يمكن ان تكون فيكم امة للدعوة والامر والنهي الا

اذا اجتمعت على مقصد واحد • فالترتيب في الايات طبيعي • ان من البديهي ان المتفقين في المقصد لا يختلفون اختلافا ضارا بنا فيه • وانما يقع الاختلاف بعد التفرق في المقاصد • والتباين في الالهواء يذهب كل الى تأييد مقصده • وارضاء هواه فيه • والاختلاف في الراى لاجل تأييد المقصد المتفق عليه لا يضر • بل ينفع وهو طبيعي (لا مندوحة عنه) • " ١ "

وقال الشيخ محمد عبده في شرح قوله تعالى " واولئك لهم عذاب عظيم " • " ٢ " (اما عذاب الدنيا فهو ان المتفرقين المختلفين الذين اتبعوا الهواء هم • وحكموا في دينهم اراءهم • يكون باسهم بينهم شديدا • فيشقى بعضهم ببعض ثم يتلون بالامم الطامعة في الضعفاء فتذيقهم الخزي والنكال وتسلبهم عزة الاستقلال • واما عذاب الآخرة فقد بين الله في كتابه انه اشد من عذاب الدنيا وابقى) • " ٣ "

قال رشيد : وفي هذا المقام اورد الاستاذ الامام هذا السؤال :

هل قام المسلمون بذلك الامر " ولتكن منكم امة " • وانتهوا عن هذا النهي

" ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا " ؟

وجعل ذلك مجالا لتفكير طلاب العلم •

واما جوابه هو فكما نقلنا لك عن الامام الرازى " ٤ " •

والامر ظاهر في نفسه • وفي الوعد والوعيد المذكورين آنفا •

١ - تفسير المنار (٤ : ٤٨) •

٢ - سورة ال عمران • اية (١٠٥) •

٣ - تفسير المنار (٤ : ٥١) •

٤ - قال الرازى : ان الله تعالى لما امر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وذلك مما لا يتم الا اذا كان الامر بالمعروف نادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتخالفين • ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين اهل الحق والدين • لاجرم حذرهم تعالى من الفرقة والاختلاف لكي لا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف • وعلى هذا الوجه تكون هذه الاية من تتمه الاية السابقة) • وهي قوله تعالى " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " • • • •

انظر : مجلة المنار المجلد العاشر • الجزء العاشر ص ٧٢٢ ٧٢٣ • شوال

وإذا كان لا يزال في ظمأ اليوم — هكذا — منا من يقول ويعتقد ان المسلمين في فلاح وفوز ، فقد علم سائر المسلمين من جميع الطبقات في اكثر البلاد انهم قد فقدوا عزهم واستقلالهم وانهم معذبون بما فقدوا ، وما يتوقعون ان يفقدوا مما بقي لهم .

وان اذكيا شعوبهم يسأل بعضهم بعضا على بعد الدار وقربه عن طريق علاج الداء ، قبل الايداء ، والتماس الشفاء ، قبل الاشفاء ، والعلاج بين ايديهم فمتى يصرون ، والطبيب يناديهم فأني يسمعون ؟ عسى ان يكون ذلك قريبا . " ١ "

و : ذم البدع والخرافات :

=====

وجه الشيخ محمد عبده ، نقدا عنيفا الى اصحاب البدع المذمومة ، والاهام المنشرة . من المسلمين ، خاصة ما استحدث منها في اخريات القرن التاسع عشر .

وهذا موقف احمده للشيخ محمد عبده ، لان الامة الاسلامية بفعل عوامل متعددة منها : الانحطاط الفكري ، والبعد عن القران ، وترك السنة ، انحرفت عن خط سير الاسلام الصحيح ، فاقبلت موازينها ، وتخيرت مفاهيمها وصارت امة على غير امة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولسان حالهم يقول : " انا وجدنا اباؤنا على امة وانا على اثارهم مهتدون " ، " ٢ " كما اذكر الله في حق المشركين . يقول الشيخ محمد عبده : (ان الذين يستمعون باصحاب القبور على قضاء حوائجهم ، وتيسر امورهم ، وشفاء امراضهم ، ونماء حشرهم وزرعهم ، وهلاك اعدائهم ، وغير ذلك من المصالح . عن صراط التوحيد ناكبون ، وعن ذكر الله معرضون) . " ٣ "

- ١ — مجلة المنار المجلد العاشر ، الجزء العاشر ص ٧٢٥ ، شوال ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .
- ٢ — سورة الزخرف ، آية (٢٢) .
- ٣ — تفسير المنار ، الجزء الاول ، عند تفسير آية " اياك نعبد واياك نستعين " .

هذا في حق من يستعين بأهل القبور ، فكيف بخيرهم من أهل البدع او

الضلال ؟

يقول : (ولو اردنا ان نسرده ما وقع فيه المسلمون من الضلال في العقائد الاصلية بسبب البدع التي عرضت على دين الاسلام لطال القيام ، واحتيج الى وضع مجلدات في وجوه الضلال ، ومن اشنعها اثرا ، واشدها ضررا خوض رؤساء الفوق منهم في مسائل القضاء والقدر ، والاختيار والجزء ، وتحقيق الوعد والوعيد ، وتهوين مخالفة الله على نفوس العبيد) . " ١ "

والحق يقال :

ان موقف الشيخ محمد عبده من البدع والخرافات ، والضلال الذي وقع فيه بعض الناس ، من الجهال ، شبهه بموقف شيخ الاسلام ابن تيمية من بعض البدع التي انتشرت في عهده - كبدع الصوفية -

لذلك فان الشيخ محمد عبده يكون مع الحركة السلفية التي انتشرت في بعض البلدان العربية ، كالحركة الوهابية في الجزيرة العربية ، والحركة السنوسية التي انتشرت في ليبيا - من المغرب العربي - وهما حركتان اصلاحيتان ، استوحيت كل حركة مذهبها الاصلاحى من مواقف وازاء شيخ الاسلام ابن تيمية الذي كان يستمد اقواله من المذهب الحنبلى في معظم احواله . " ٢ "

وزيادة في الايضاح ، نستمع الى الشيخ محمد عبده ، وهو يتحدث عن المبتدعة في دين الاسلام

يقول عند تفسيره " ولا الضالين " من سورة الفاتحة :

(القسم الثالث : من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها ، بدون نظري

ادلتها ولا وقوف على اصولها ، فاتبعوا اهواءهم في فهم ما جاء به من اصول العقائد ،

١ - تفسير المنار (١ : ٧٠) .

٢ - انظر كتاب : اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، للمحتسب ص ١٦٢ .

وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين ، ومنهم المبتدعون في دين الاسلام . وهم المنحرفون في اعتقادهم كما تدل عليه جملة القران ، وما كان عليه السلف الصالح واهل الصدر الاول ، ففرقوا الامة الى مشاربي ، يخص بمائها الوارد ، ولا يرتوى منها الشارب ، واني اشير الى طرف من اثارهم في الناس :

ياتي الرجل الى دوائر القضاء ، فيستحلف بالله العظيم ، او بالمصحف الكريم ، وهو كلام الله القديم انه ما فعل كذا ، فيحلف ، وعلامة الكذب بادية على وجهه ، فيأتيه المستحلف من طريق اخر ويحمله على الحلف بشيخ من المشايخ الذين يعتقد لهم الولاية ، فيتخبر لونه ، وتضطرب اركانه ، ثم يرجع في قسمه ويقول الحق . ويقربانه ما حلف اولا انه لم يفعله تكريما للاسم ذلك الشيخ وخوفا منه ان يسلب عنه نعمة ، ارحل به نعمة ، اذا حلف باسمه كاذبا .

فهذا ضلال في اصول العقيدة ، يرجع الى الضلال في الايمان بالله تعالى ، وما يجب له من الوحدانية في الافعال) . " ١ "

ونستمع اليه ايضا وهو يفسر قول الحق تبارك وتعالى : " ولئن اتبعت

اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين " . " ٢ "

لنرى كيف يحمل على العلماء الذين يجارون اهل البدع والاهواء ، ولا يتكرونها

عليهم ، وهم المطالبون في الدرجة الاولى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

والايمان بالله وحده ، واخلاص العبادة له ، وترك الانداد ، والشركاء .

يقول : (هذا الخطاب بهذا الوعيد لا على الناس مقاما عند الله تعالى ،

هو اشد وعيدا لغيره ممن يتبع الهوى ، ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم على ما هم

١ - تفسير المنار (١ : ٢٠)

٢ - سورة البقرة ، آية (١٤٥) .

عليه من الباطل ، فانه افرد به بالخطاب مع ان المراد به امته .
تقرأ هذا التشديد والوعيد ، ونسمة من القارئين ، ولا نؤدجر عن اتباع
اهواء الناس ، ومجاراتهم على بدعهم وخلاواتهم ، حتى انك ترى الذين
يشكون من هذه البدع والاهواء ، ويعترفون ببعد ها عن الدين ، يجارون اهلها
عليها ، ويمارجونهم فيها ، وانذا قيل لهم في ذلك ، قالوا : ماذا نعمل ؟
ما في اليد حيلة ، العامة على ، اخر الزمان وامثال هذه الكلمات هي جيوش
الباطل تؤيده وتمكنه في الارض حتى يحل باهله البلاء . ويكونوا من الهالكين) .

ونختم الكلام بحديث له في موضع اخر من تفسيره ، ينقد فيه اعمال مدعي
التصوف مثل : احياء الموالد ، وما يقال فيها ، وما ينفق فيها من اموال في
غير سبيل الله ، وما يكون من منكرات ومحظورات ، والعلماء في مقدمة الحضور لا
ينكرون من ذلك شيئا ، بل يعتبرون ذلك من الاعمال الشريفة التي تقام باسم
صاحب المولد عليه السلام ، وهو عليه السلام منهم ومن اعمالهم براء
يقول الشيخ محمد عبده : " ٢ "

(ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف في هذا الزمان ، وصارت رسومهم

اشبه بالمعاصي والاهواء من رسوم الذين افسدوا التصوف من قبلهم .
واظهرها في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها " الموالد " .
ومن العجيب ان تبج الفقهاء في استحسانها الاغنياء ، فصاروا يبذلون فيها
الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون بها الى الله تعالى ، ولو طلب منهم بعض هذا
هذا الطل لنشرط او ازالة منكر او اعانة منكب ، لضوا به واخلوا ، ولا يرون ما
يكون فيها من المنكرات منافيا للتقرب الى الله تعالى ، كأن كرامة الشيخ الذي
يحتفلون بمولده تبيح المحظورات ، وتحل للناس التماون على المنكرات .

١ - تفسير المنار (٢ : ١٨) .

٢ - تفسير المنار (٢ : ٧٤) وما بعد ها .

فالموائد اسواق الفسوق ، فيها خيام للمواهر ، وحانات للخمر ، ومراقص
يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المهتكات ، الكاسيات العاريات ، ومواضع
اخرى لضرب من الفحش في القول والفعل ، يقصد بها اضحاك الناس ، وبعض
هذه الموائد يكون في المقابر ، ويرى كبار مشايخ الازهر يتخطون هذا كله لحضور
موائد الاغنياء في السرايا والقباب العظيمة التي يضيئونها ، وينصبون فيها الموائد
المرفوعة ، ويوقدون الشموع الكثيرة ، احتفالاً باسم صاحب المولد ، ويهني بعضهم
بعضاً بهذا العمل الشريف في عرفهم .

لقد حدث ان بعض كبار الشيوخ في الازهر ، دعوني للمشاء عند احد
المحتفلين ، فأبيت اجابة الدعوة في ذلك ، فقلت : انني لا احب ان اكثر
سواد الفاسقين . فان هذه الموائد كلها مكرات . ثم قلت لشيخ صديق ، صاحب
الدعوة : كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد ؟ قال : اربعمائة جنيه .
قلت : لا شك ان هذا في سبيل الشيطان . فلو كلمت صاحبك ان يجعل ذلك
لجماعة من " المجاورين " يذكرونه بخير ، ويدعون له .

فأجاب ذلك الشيخ قائلاً : ان الكون يلزم ان يكون فيه من هذا وهذا .
فقلت : هذا الذي اريد ، فان كوننا ليس فيه الا هذه النققات في الطرق المذمومة
فأحب ان ينفق صاحبك على نشر علم الدين ، ليكون بعض الانفاق عندنا في الخير ،
ويبقى للموائد اغنياء كثيرون .

قال الشيخ حينئذ : اما قرأت حكاية " الشعراني " مع " الزمار " . ان
راى شيخاً كبيراً ينفخ في الزمار ، والناس يتفرجون عليه ، فاعترض عليه في سره ،
فما كان من الشيخ الا ان قال : يا محمد الوهاب : اتريد ان ينقص ملك ربك مؤمار ؟
فعلم الشعراني انه من اولياء الله تعالى : ثم تركي المشايخ بعد سرد الحكاية
وذهبوا الى المولد .

فليتظر الناظرون الى اين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد اهلهم بخير فهم
ولا مراعاة شرع . اتخذوا الشيوخ اندادا ، وصار يقصد بزيارة القبور والاضرحة قضاء

الحوائح وشفاء المرضى ، وسعة الرزق ، بعد ان كانت للعبرة ، وتذكر القهوة ،
وصارت الحكايات الملققة ناسخة فعلا بما ورد من الامري بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،
والتعاون عن الخير ، ونتيجة ذلك كله ان المسلمين رغبوا عما شرع الله الى ما
توهموا انه يرضي غيرهم ممن اتخذوهم اندادا له وصاروا كالا باحيين في الغالب .
فلا عجب اذا عم فيهم الجهل ، واستحوذ عليهم الضعف ، وحرهم ما وعد الله
المؤمنين من النصر ، لانهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين .
ولم يكن في القرن الاول شي من هذه التقاليد والاعمال التي نحن عليها ،
بل ولا في الثاني ، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة ، وانما سرت الينا بالتقليد
او المدوى من الامم الاخرى . ان راي قومنا عندهم امثال هذه الاحتفالات
فظنوا انهم اذا عملوا مثلها ، يكون لديهم عظمة ، وشأن في نفوس تلك الامم .
فهذا النوع من اتخاذ الانداد كان من اهم اسباب تاخر المسلمين ، وسقوطهم فيما
سقطوا فيه .

وهناك نوع اخر لم يكن اثره في الفتك بهم اضعف من اثر الاول ، وهو ترك
الاهتداء بالكتاب والسنة ، واستبدال اموال الناس بهما ، فلو دخل في الاسلام رجل
طقله ، لحار لا يدري من اين يأخذ ، ولا على اي المذاهب والكتب في الاصول
والفروع يعتمد ، ولصعب علينا اقتناؤه بان هذا هو الدين القيم دون سواه ، اوبان
هذه المذاهب كلها على اختلافها شي واحد .

ولو وقفنا عند حدود القران وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من
الهدى ، لسهل علينا ان نفهم ما الحنيفية السمحة ، التي لا حرج فيها ولا عسر ،
وما الدين الخالص الذي لا عوج فيه ولا خلف ؟ ولكننا اذا نظرنا في اقوال الفقهاء ،
وتشعبها ، وخلافاتهم وظللها ، فاننا نحار في ترجيح بعضها على بعض . ان
نجد بعضها يحجج عليه بحديث صحيح ، وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ، ولكنه
غير معتمد عندهم ، بل يقولون فيه : المدرك قوى ، ولا يفتى به .
ولماذا ، لان فلانا قال : نقول رجل من رجال كثيرين جدا نجعل تاريخ اكثرهم

يكفي لترك السنة الصحيحة ، وان ظهران المصلحة فيما جاء تبه السنة . وهذا
قطعت الصلة بين ما نحن فيه ، وبين اصل الدين وبينوعه .

ونحن لا نطمعن في اولئك القائلين ، او المرشحين . سواء منهم من كان

تاريخه معروفا لنا ومن كان غير معروف ، بل نحسن فيهم الظن ونقول :

انهم قالوا بما وصل اليه علمهم ، ولم يجعلوا انفسهم شارعين ، بل باحثين .

وانا نسترشد بكلامهم على انهم دالون وبيّنون لا على انهم شارعون ، بل نقول : انه

يجب على ذي الدين ان ينظر دائما الى كتابه حتى لا يختلط ولا يشتبه عليه شيء

من احكامه ، ولا يجوز لاحد ان يرجع في عقائده وعبادته الا الى الله تعالى ،

فان كانت هناك واسطة ، فهي واسطة الدلالة والتبليغ والتبيين لما نزل الله ،

وتطبيقه على ما نزل لاجله من حياة الروح والكمال الانساني .

فيجب علينا ان نعتقد بان الحكم لله تعالى وحده ، لا يؤخذ الذين

عن غيره كما يجب علينا ان نعتقد بان لا فعل لغيره تعالى ، فلا نطلب شيئا الا منه ،

وطلبنا منه يكون بالاخذ بالاسباب التي وضعها وهدانا اليها ، فان جهلنا او

عجزنا فاننا نلجأ الى قدرته ، ونستمد عنايته وجده ، وهذا تكون موحدين

مخلصين له الدين كما امرنا في كتابه المبين ، ومن خرج عن هذا كان من مشخذي

الانداد ، " ومن يضل الله فما له من هاد " . " ١ " .

١ - سورة غافر ، اية (٣٣) ، وسورة الرعد ، اية (٣٣) .

وسورة الزمر ، اية (٢٣) ، ٢٦) .

x x x

وفي ختام هذا البحث ، لا ادعي انني اثبتت بكل شيء ، او بما عجز
عنه غيري ، ولا ازمع انني قد بلغت فيه مرتبة الكمال ، فالكمال لله وحده ،
والنقص صفة البشر وانا من البشر ، فان الانسان قد يرى الراى اليوم فيخالفه غدا ،
ويعتني لو قدم او اخر ، او زاد او انقص ، ...

فكم من قائل يقول : لو اني قدمت هذا لكان احسن ، ولو اخرت هذا
لكان افضل ، ولو حذفتم ذلك لكان اجمل ، ولو اضفت ذلك لكان اكمل ...

ففاية ما اقول : انني لم ال جهدا ، ولم ادخر وسعا ، فقد بذلت
كل ما في وسعي ، وسهرت الليالي الطوال ، وحاولت جهدي باحثا مستقصيا لان
اخرج هذا الموضوع على احسن ما يمكن ان يكون عليه .

فان انا وفقت الى ذلك فهو من عند الله ، وهو ما قصدت اليه ،
وان قصرت ، فعزائي ان الكمال لله وحده .

وسبحان ربي ، هل كنت الا بشرا ، وهذا لله ، اطلب
العلم ، و فوق كل ذي علم عليم . . .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله
رب العالمين ...

المراجع

=====

(مرتبة حسب حروف الهجاء)

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الابانة عن اصول الديانة .
الاشعري ، علي بن اسماعيل بن اسحاق .
مطبوعات الجامعة الاسلامية ، سنة ١٩٧٥م .
- ٣ - ابن حزم وموقفه من الالهيات . رسالة دكتوراه اعداد الطالب احمد
الناصر الحمد ، اشراف الاستاذ عبد العزيز عبيد ، جامعة ام القرى ،
مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، مطبوعة على الالة الكاتبة .
- ٤ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث .
المحتسب ، الدكتور عبد المجيد عبد السلام .
الكتاب الاول ، دار الفكر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .
- ٥ - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر .
حسين ، محمد محمد حسين .
القاهرة ، المطبعة النموذجية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨٢ هـ .
- ٦ - الاتقان في علوم القرآن .
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي .
الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة البابي الحلبي ، ١٣٧١ هـ -
١٩٥١م .
- ٧ - اثار الزعيم سعد زغلول .
الجزيري ، محمد ابراهيم الجزيري .
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م .

- ٨ - احمد لطفي السيد ، (استاذ الجيل) •
نجار ، الدكتور حسين فوزى النجار •
المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة •
- ٩ - احياء علوم الدين •
الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي •
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، لبنان •
- ١٠ - الايمين في اصول الدين •
الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد • تحقيق محمد مصطفى ابو الملا ،
يطلب من مكتبة الجندي •
- ١١ - الاسعون النووية ضمن مجموعة الحديث النجدية •
النووي ، محي الدين ابوزكريا يحيى بن شرف النووي •
القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٧٥ هـ •
- ١٢ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم •
العمادى ، القاضي ، ابي السعود محمد العمادى الحنفي • تحقيق
عبد القادر احمد عطا ، مطبعة السعادة ، مكتبة الرياض الحديثة •
- ١٣ - اساس التقديس في علم الكلام •
الرازى : محمد بن عمر الرازى •
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بصره ، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م •
- ١٤ - الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية •
تأليف عبد العزيز محمد السلطان •
من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد بالملكة العربية
السعودية ، الرياض ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م •
- ١٥ - الاسئلة والاجوبة الفقهية المقرونة بالادلة الشرعية •
تأليف عبد العزيز محمد السلطان •
من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد بالملكة العربية
السعودية ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م •

- ١٦ - اسرار الماسونية ، او السر المصون في شيعة الفرسيون
• للاب لويس شيخو
• دار منشورات البصرى ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
- ١٧ - الاسلام والتجديد
• تأليف تشارلز ادمز ، ترجمة عباس محمود
• مطبعة الاعتماد ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م
- ١٨ - الاسلام والحضارة الغربية
• للدكتور محمد محمد حسين
• بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٩ م
- ١٩ - الاصابة في تمييز الصحابة
• المسقلاني ، احمد بن حجر المسقلاني
• مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ ، الناشر مكتبة
• المثني ببغداد
- ٢٠ - اصول الدين
• البغدادي ، عبد القاهر البغدادي
• مطبعة الدولة ، استانبول ، الطبعة الاولى ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م
- ٢١ - اصول الدين الاسلامي
• لمحمد علي ناصر ، المكتبة المصرية ، صيدا - بيروت
- ٢٢ - اصول السرخسي
• سرخسي ، لابي بكر محمد بن سهل السرخسي ، تحقيق ابو الوفا
• الافغاني
• مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة ، سنة ١٣٧٢ هـ ، نشر لجنة
• احياء المعارف النمطانية بحيدرآباد ، الهند
- ٢٣ - اصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى
• الدكتور محمد فهمي حجازي
• الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٤ م

- ٢٤ — اصول الايمان •
تأليف الامام ابي عبد الله محمد بن عبد الوهاب •
موجود ضمن مجموعة الحديث ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة •
- ٢٥ — اضواء البيان في تفسير القرآن بالقران •
الشنقيطي ، محمد الامين الجكني الشنقيطي •
الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩ م •
- ٢٦ — اعجاز القرآن •
الباتلاني ، الامام القاضي ابي بكر محمد بن الطيب ، شرح وتعليق
محمد عبد المنعم الخفاجي • الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة
محمد علي اصبيح واولاده ، سنة ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م •
- ٢٧ — اعجاز القرآن ، او الاعجاز في دراسات السابقين •
لمحمد الكريم الخطيب • الكتاب الاول ، الطبعة الثانية ، دار
المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م •
- ٢٨ — اعجاز القرآن ، المسمى معتك الاقران في اعجاز القرآن •
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، تحقيق علي
محمد اليحيوى ، دار الفكر العربي •
- ٢٩ — الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق •
للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطي •
دار المعارف ، بمصر •
- ٣٠ — الاعجاز العددي للقران الكريم •
نوفل ، عبد الزق نوفل ، مطبوعات الشعب •
- ٣١ — الاعجاز الغني في القران •
لعمر السلافي • نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله •
- ٣٢ — الاعلام •
الزركلي ، خير الدين الزركلي •
مطبعة كوستا توماس وشركاه ، الظاهر بالقاهرة ١٣٧٣ هـ •

- ٣٣ - اعلام النبوة •
الماوردي ، علي بن محمد ، مراجعة طه عبد الرؤوف •
القاهرة مكتبة الكليات الازهرية ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م •
- ٣٤ - الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني •
• جمع وتحقيق محمد عمارة •
• دار الكاتب العربي للطباعة والنشر •
- ٣٥ - الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي •
• دراسة وتحقيق محمد عمارة •
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ م •
- ٣٦ - الاعمال الكاملة للاستاذ الامام محمد عبده •
• جمعها وحققها وقدم لها محمد عمارة •
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت •
- ٣٧ - افاتة اللهفان من مزايد الشيطان •
• تحقيق محمد سيد كيلاني •
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م •
- ٣٨ - افراح الروح •
• قطب ، سيد قطب • الدار العلمية بيروت •
- ٣٩ - الافصاح عن معاني الصحاح •
• ليحيى بن محمد بن هبيرة • المؤسسة السعودية بالرياض •
- ٤٠ - الله بين الفطرة والدليل •
• بقلم الشيخ محمد حسن ال ياسين •
منشورات المكتب المالي للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م •
- ٤١ - الله في العقيدة الاسلامية •
• للشهيد حسن البنا • الطبعة الثانية •

- ٤٢ - الله يتجلى في عصر العلم •
تأليف نخبة من العلماء الاوربيين ، اشرف على تحريره جون كلوفر ،
ترجمة الدمرداش عبد الحميد سرحان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ،
دار احياء الكتب العربية • ١٩٦١م •
- ٤٣ - الامام محمد عبده •
تأليف عبد الحليم الجندى ، سلسلة اعلام الاسلام ، دار المعارف
بمصر •
- ٤٤ - الانسان ذلك المجهول •
تأليف الكسيس كارل ، تعريب شفيق اسعد فريد ، بيروت ، ١٩٧٤م •
- ٤٥ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به •
الباقلائي ، ابوبكر محمد بن الطيب ، تحقيق زاهد الكوثري •
الطبعة الثانية ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م •
- ٤٦ - الايمان •
ابن تيمية ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم ، تصحيح وتعليق محمد
خليل هراس ، دار الطباعة المحمدية •
- ٤٧ - الايمان • اركانه ، حقيقته ، نواقضه •
الدكتور محمد نعيم ياسين •
الطبعة الاولى ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م •
- ٤٨ - الايمان بالملائكة عليهم السلام •
بقلم عبد الله سراج الدين •
ومعه بحث مختصر حول عالم الجن •
الطبعة الاولى ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م •
- ٤٩ - الايمان بين الايات القرآنية والحقائق العلمية •
للدكتور عبد السلام داود العبادى •
الطبعة الاولى ، سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م •

- ٥٠ - البحر المحيط • تفسير البحر المحيط •
ابو حيان ، محمد بن يوسف ، الطبعة الثانية ، بيروت دار الفكر
للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م •
الناشر مكتبة ومطابع النهضة الحديثة الرياض •
- ٥١ - بحوث كتابية ، للاستاذ سليمان دنيا •
لم تنشر بعد •
- ٥٢ - بدائع الفوائد •
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر ، المعروف بابن قيم الجوزية •
دار الطباعة المنيرية ، بيروت ، لبنان •
- ٥٣ - البداية والنهاية •
ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي •
الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ م ، مكتبة المعارف ، بيروت •
- ٥٤ - البرهان في علوم القرآن •
الزركشي ، محمد بن عبد الله الزركشي •
مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر •
- ٥٥ - بصائر نوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز •
الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي • تحقيق
الاستاذ محمد علي النجار ، طبعة القاهرة ١٣٨٣ هـ ، يشرف على
اصدارها محمد توفيق عويضة ، الناشر نخبة احياء التراث الاسلامي •
- ٥٦ - بلاغة القرآن •
لمحمد الخضر حسين • اشرف على طبعه ونشره علي الرضا التونسي
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م •
- ٥٧ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية • او نقض تأسيس الجهمية •
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم ، شيخ الاسلام • تصحيح وتكميل
محمد بن عبد الرحمن بن قاسم • مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، الطبعة
الاولى ١٣٩١ هـ •

- ٥٨ - بينات المعجزة الخالدة •
لحسن ضياء الدين عتر ، دارالنصر ، سوريا ، حلب ، الطبعة
الاولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م •
- ٥٩ - تاج العروس من جواهر القاموس •
الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي •
المطبعة الخيرية بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٠٦ هـ ، دارمكتبة الحياة ،
بيروت ، لبنان •
- ٦٠ - تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده •
تأليف محمد رشيد رضا • الطبعة الاولى ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م •
- ٦١ - تاريخ الشعوب الاسلامية •
تأليف كارل بروكلمان ، نقله الى العربية نبيه امين فارس ، ومنير
البعليكي ، الطبعة السادسة ، دارالعلم للملادين ، بيروت •
- ٦٢ - تاريخ المذاهب الاسلامية •
ابوزهرة ، الشيخ محمد ابوزهرة • دارالفكر العربي •
- ٦٣ - تاريخ مصرفي عهد اسماعيل •
تأليف الياس الايوبي ، مطبعة دارالكتب المصنوية ، القاهرة •
١٣٤٣ هـ - ١٩٢٣ م •
- ٦٤ - التبيان في اقسام القرآن •
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر • تصحيح طه يوسف شاهين ، دار
الطباعة المحمدية بالازهر الشريف •
- ٦٥ - التبيان في شرح الديوان •
المتنبي ، ابو الطيب ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ،
عبد الحفيظ شلي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م •

- ٦٦ - التبيان في علوم القرآن •
الصابوني ، محمد علي ، الطبعة الثانية •
- ٦٧ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي •
السيوطي ، جمال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي •
دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ٢ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م •
- ٦٨ - تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي •
بقلم انور الجندي ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٠ م •
- ٦٩ - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر •
تأليف جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت •
- ٧٠ - تربية المرأة والحجاب •
لمحمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١ م •
- ٧١ - ترتيب قاموس المحيط على طريقة المصباح المنير و اساس البلاغة •
للمطاهر احمد الزواوي •
بيروت ، دار الكتب العلمية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م •
- ٧٢ - التصوير الفني في القرآن •
قطب ، سيد ، طبعة دار الشروق بيروت ، القاهرة •
- ٧٣ - تطور الرواية العربية الحديثة في مصر •
تأليف الدكتور عبد المحسن طه بدر •
دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية •
- ٧٤ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده •
للشيخ محمد عبده •
- ٧٥ - تفسير الجلالين للقران العظيم •
جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، و جلال الدين محمد
بن احمد المطي •
الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
و اولاده بمصر •

- ٧٦ — تفسير سورة الفاتحة ، وست سور من خواتيم القرآن •
لرشيد رضا ، مطبعة المنار ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٥٣ هـ •
- ٧٧ — تفسير القرآن العظيم ، الشهير بتفسير ابن كثير •
ابو الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي •
دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ —
١٩٧٠ م •
- ٧٨ — التفسير الكبير •
الرازي ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الملقب بالفخر
الرازي •
الطبعة الاولى ، ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م • المطبعة البهية المصرية
بميدان الازهر ، بصر •
- ٧٩ — تفسير المنار •
محمد رشيد رضا • الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م • دار
المنار •
- ٨٠ — تفسير النسفي •
ابو حفص ، عمر بن محمد •
دار احياء الكتب العربية ، عيس البابي الحلبي وشركاه •
- ٨١ — التفسير ورجاله •
تاليف محمد الفاضل بن عاشور •
الطبعة الثانية ، دار الكتب الشرقية ، تونس •
- ٨٢ — التفسير والمفسرون •
للشيخ محمد حسين الذهبي •
الطبعة الاولى ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢ م • دار الكتب الحديثة •
- ٨٣ — التفكير الفلسفي في الاسلام •
لعبد الحليم محمود • الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ م • مطرم
الطبع والنشر • المكتبة الانجلو المصرية •

- ٨٤ — تلميس ابليس ، او نقض العلم والعلماء •
ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي • تحقيق خير الدين
علي •
بيروت ، دار الوحي العربي •
- ٨٥ — التنبهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من الباحث المنيفة •
تأليف عبد الرحمن الناصر السعدي • وعليها منتخبات من تقارير الشيخ
عبد العزيز بن باز • نشر عبد الرحمن بن رويشد ، سليمان بن حماد •
- ٨٦ — تهذيب التهذيب •
العسقلاني ، احمد بن محمد بن حجر العسقلاني •
الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ، ١٩٦٦ م •
- ٨٧ — التوحيد •
الماتريدي ، ابو منصور الماتريدي • تحقيق الدكتور فتح الله خليفة •
طبعة دار المشرق ، بيروت ، لبنان •
- ٨٨ — تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم •
الشياني ، ابن الديبع الشيباني • مطبعة مصطفى البابي الحلبي •
- ٨٩ — ثلاث رسائل في اعجاز القرآن •
الروائي ، الخطابي ، عبد القاهر الجرجاني • حققها وعلق عليها
محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سعد ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ
— ١٩٦٨ م • دار المعارف بصر •
- ٩٠ — الثقافة الاسلامية •
تأليف نخبة من العلماء المسلمين • تقديم الدكتور راشد بن راجح الشريف •
جامعة ام القرى • مكة المكرمة • المستوى الثاني •
- ٩١ — الثورة المرابية والاحتلال الانجليزي •
لعبد الرحمن الرافعي •
مكتبة النهضة المرابية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩ م •

- ٩٢ — الجامع لاحكام القران •
القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي •
مطبعة دار الكتب المصرية •
- ٩٣ — جامع الاصول في احاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم •
الجزري ، ابن الاثير الجزري ، تحقيق عبد القادر الرناؤوط •
الطبعة الاولى ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •
- ٩٤ — جامع البيان عن تاويل القران •
الطبري ، محمد بن جرير • تحقيق وتخرير محمود شاكر • دار
المعارف مصر •
ومطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت — لبنان •
- ٩٥ — جذور الهلاك •
للاستاذ عبد الله التل • دار الارشاد بيروت • الطبعة الاولى
١٣٩٠ هـ — ١٩٧١ م •
- ٩٦ — المجلس الانيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس •
تأليف محمد احمد حسنين البولاقي •
مطبعة المعارف الاهلية ، ١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ م •
- ٩٧ — جمال الدين الافقاني • تاريخه ورسائله وجماديه •
تأليف محمود ابورية •
اصدار المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م •
- ٩٨ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح •
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم • مطابع المجد التجارية •
- ٩٩ — حادي الارواح الى بلاد الافراح •
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر • تصحيح محمود حسن ويح •
الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م • مطبعة محمد طي الصبح واولاده •

- ١٠٠ — حاشية الشهاب على البيضاوي ، المسمى عناية القاضي وكفاية الرازي
• على تفسير البيضاوي
• احمد بن محمد الشهاب ، المكتبة الاسلامية ، دار صادر ، بيروت .
- ١٠١ — حاضر العالم الاسلامي
• تاليف لوثروب ستودارد الامريكى ، نقله الى العربية الاستاذ عجاج
• نويهض ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- ١٠٢ — حديث عيسى بن هشام
• محمد ابراهيم المويلحي ، مطبعة مصر ، الطبعة الرابعة .
- ١٠٣ — حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر
• تاليف جاك تاجر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٥ م .
- ١٠٤ — حول خصائص القرآن
• تاليف محمد بن علوى المالكي ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١ هـ .
- ١٠٥ — حياة محمد صلى الله عليه وسلم
• لمحمد حسين هيكل ، تقرير الشيخ محمد مصطفى المراغي
• الطبعة الثالثة عشر ، ١٩٦٨ م ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .
- ١٠٦ — خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم
• ابوزهرة ، محمد ابوزهرة ، الطبعة الاولى ١٩٧٢ م ، دار الفكر
• العربي .
- ١٠٧ — خاطرات جمال الدين الافغاني
• تاليف محمد باشا المخزومي ، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
- ١٠٨ — خلق افعال العباد والرد على الجهمية واصحاب التعطيل
• البخارى ، محمد بن اسماعيل البخارى
• مطبعة ومكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٣٨٩ هـ .
- ١٠٩ — دائرة المعارف الاسلامية
• لجماعة من المستشرقين ، نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى
• انتشارات جهان — طهران ، بوذرجمهرى .

- ١١٠ — دستور الاخلاق في القرآن •
الاستاذ محمد عبد الله دراز ، تعريب وتحقيق وتعليق ، الدكتور
عبد الصبور شاهين ، مراجعة الدكتور السيد محمد بدوي •
١١١ — مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية • الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م •
١١١ — دلائل الاعجاز •
الجرجاني ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق وشرح محمد عبد المنعم
خفاجي •
القاهرة ، مكتبة القاهرة ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م •
١١٢ — دلائل النبوة •
البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق عبد الرحمن
محمد عثمان •
المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •
١١٣ — دواء القلوب والابدان من وساوس الشيطان •
تأليف الشيخ عبد الله بن محمد بن الخليلي • مكة ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م •
١١٤ — الدين — بحوث مهيأة لدراسة تاريخ الاديان •
دراز ، محمد عبد الله دراز •
مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •
١١٥ — الدين الخالص •
السبكي ، محمود خطاب السبكي •
الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م •
١١٦ — الدين في مواجهة العلم •
خان ، وحيد الدين خان • ترجمة ظفر الاسلام خان ، مراجعة
عبد الحليم عويس •
الطبعة الثالثة ، المختار الاسلامي ، القاهرة •

- ١١٧ — رائد الفكر المصري محمد عبده •
تأليف عثمان امين ، الطبعة الثانية •
- ١١٨ — الرحيق المختوم •
تأليف ، صفي الرحمن المباركفوري •
الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ، مكة المكرمة •
- ١١٩ — الرد على المنطقيين •
ابن تيمية ، تقي الدين ابي العباس احمد بن تيمية الحراني •
طبعة بومباي ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ م •
- ١٢٠ — رسائل الدعوة السلفية ، وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة
والرد على شبه المخالفين • الرسالة الخامسة • لمحمد ناصر الدين
الالباني •
- ١٢١ — رسائل الدعوة السلفية • الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام •
الرسالة الثالثة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ لمحمد ناصر الدين
الالباني •
- ١٢٢ — الرسالة •
الشافعي ، الامام محمد بن ادريس الشافعي ، تحقيق الاستاذ
احمد محمد شاكر •
طبع مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٠ م •
- ١٢٣ — رسالة الارادة والامر •
ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية •
- ١٢٤ — رسالة التوحيد •
الامام محمد عبده التركماني ، القاهرة مكتبة الجامعة الازهرية
١٣٨٦ هـ / ١٩٥٦ م •

- ١٢٥ — الرسالة التدمرية • مجمل اعتقاد السلف •
ابن تيمية • شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم • تحقيق زهير
الشاويش •
المكتب الاسلامي • بيروت • دمشق • الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ
بيروت •
- ١٢٦ — رسالة القضاء والقدر •
ضمن مجموعة الرسائل الكبرى • لابن تيمية •
١٢٧ — رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته •
تأليف الدكتور احمد الشراصي •
١٢٨ — رفاة رافع الطهطاوي •
تأليف الدكتور جلال الدين الشيبان •
دار المعارف بمصر • سلسلة نوابغ الفكر المصري • ١٩٧٠ م •
١٢٩ — روح البيان •
البرسوي • الشيخ اسماعيل حقي البرسوي •
دار سعادت • مطبعة عثمانية ١٣٣٠ هـ • مطبعة دار الفكر •
١٣٠ — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني •
الالوسي • محمود بن عبد الله الالوسي •
دار الطباعة المنيرية • بيروت • لبنان •
١٣١ — الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية •
لزيد بن عبد العزيز بن فياض • المطبعة اليوسفية • الطبعة الثانية
١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م •
١٣٢ — رؤية الله •
رسالة ما جستير مقدمة من الطالب احمد الناصر الحمد • اشرف
الاستاذ عوض الله جاد حجازي • عام ١٣٩٧ هـ • مطبوعة على الالة
الكاتبة •

- ١٣٣ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .
النووي ، الامام الحافظ ابي زكريا محيي الدين يحيى النووي .
تحقيق محيي الدين الجراح .
- ١٣٤ - زاد المعاد .
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية .
المطبعة المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٢٨ م .
- ١٣٥ - زعماء الاصلاح في العصر الحديث .
تأليف احمد امين . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ،
١٩٧٦ م .
- ١٣٦ - سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية .
تأليف عبد الخالق لاشين ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .
- ١٣٧ - سنن الترمذى ، الجامع الصحيح .
الترمذى ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى . تحقيق
احمد محمد شاكر ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، الطبعة الاولى ١٣٥٦ هـ -
١٩٣٧ م .
- ١٣٨ - سنن ابي داود .
الازدى ، سليمان بن الاشعث بن اسحق الازدى . تعليق الشيخ
احمد سعد علي ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، الطبعة الاولى .
- ١٣٩ - سنن ابن ماجه .
القزويني ، الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني .
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، دار احياء الكتب العربية ،
١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

- ١٤٠ — سنن الداربي •
الداربي ، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام
الداربي •
دار احياء السنة النبوية الشريفة •
- ١٤١ — سنن النسائي •
النسائي ، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن بحر بن
سنان النسائي •
المطبعة المصرية بالازهر ، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر •
- ١٤٢ — السنن الكبرى •
البيهقي ، احمد بن الحسين البيهقي •
مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند •
- ١٤٣ — سيد قطب الشهيد الحي •
بقلم صلاح عبد الفتاح الخالدي • الناشر مكتبة الاقصى — عمان —
الاردن ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م •
- ١٤٤ — سيرة ابن اسحق المسماة بكتاب الصفتا والمبعث والمغازي •
محمد بن اسحق بن يسار ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ،
تقديم الاستاذ محمد الفاسي • معهد الدراسات والابحاث للتعريب •
- ١٤٥ — السيرة النبوية •
ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، تقديم طه
عبد الرؤوف •
- ١٤٦ — السيرة النبوية •
ابن كثير ، للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ،
تحقيق مصطفى عبد الواحد •
- ١٤٧ — السيرة النبوية •
الندوي ، ابو الحسن الندوي • الطبعة الاولى ، دار الشروق •

- ١٤٨ — السيرة النبوية •
ابو شهبة ، الدكتور محمد محمد ابو شهبة ، دار الطباعة المحمدية
١٩٧٠م •
- ١٤٩ — شامل في اصول الدين •
الجويني ، ابو محمد ، والد امام الحرمين الجويني ، تحقيق الدكتور
علي سامي النشار ، وفيصل بدير عون ، وسهير محمد مختار ،
دار المعارف بالاسكندرية •
- ١٥٠ — الشخصية الاسلامية •
النهائي ، الشيخ تقي الدين النهائي • الجزء الاول ،
مطبعة دار السياسة بيروت •
- ١٥١ — شرح الاصول الخمسة •
للقاضي عبد الجبار بن احمد ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان •
الطبعة الاولى ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م مطبعة الاستقلال الكبرى •
- ١٥٢ — شرح حديث النزول •
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم بن تيمية •
المكتب الاسلامي ، الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م •
- ١٥٣ — شرح البيجوري على الجوهرة • تحفة المرید علی جوهرة التوحيد •
البيجوري ، ابراهيم البيجوري ، المطابع الاميرة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م •
- ١٥٤ — شرح العقيدة الاصفهانية •
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني دمشقي •
تقديم حسنين محمد مخلوف ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الاولى •
- ١٥٥ — شرح العقيدة الطحاوية •
الحنفي ، ابن ابي المزعلي بن علي الحنفي ، حققها وراجمها
جماعة من العلماء ، خرج احاديثها محمد ناصر الدين الالباني •
التوضيح بقلم زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي ، الطبعة السادسة ،
١٤٠٠ هـ — بيروت — دمشق •

- ١٥٦ - شرح العقيدة الواسطية •
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم بن تيمية • شرح محمد خليل هراس ،
مراجعة الشيخ عبد الرزاق عفيفي •
- ١٥٧ - شرح قصيدة ابن القيم •
الشرقي ، احمد بن ابراهيم بن عيسى الشرقي ، المكتب الاسلامي ،
الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م •
- ١٥٨ - شرح الكوكب المنير ، المسمى بمختصر التحرير ، او المختبر المبتكر
شرح المختصر في اصول الفقه •
تأليف محمد بن احمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي
المعروف بابن النجار ، تحقيق الدكتور محمد الزحيلي ،
والدكتور نزيه حماد •
- ١٥٩ - شرح المواظف في علم الكلام •
الجرجاني ، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني ،
تحقيق الدكتور احمد المهدي ، مكتبة الازهر ، دار المحامي للطباعة •
- ١٦٠ - شرح المواهب اللدنية •
الزرقاني ، محمد عبد العظيم الزرقاني •
المطبعة الميرية الازهرية ، بمصر •
- ١٦١ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب •
ابن العماد الحنبلي ، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت ،
لبنان •
- ١٦٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى •
للقاضي عياض ، المطبعة العثمانية ١٣١٢ هـ •
- ١٦٣ - صحيح البخاري •
البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري •
طبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م •

- ١٦٤ — صحيح البخارى بحاشية السندى •
المطبعة العثمانية ، الطبعة الاولى ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م •
- ١٦٥ — صحيح مسلم بشرح النووي •
النوى ، يحيى بن مرى الحازمي الشافعي النوى •
المطبعة المصرية ومكتبتها ، ١٣٤٩ هـ •
- ١٦٦ — صحيح مسلم •
النيسابورى ، ابو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى •
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت —
لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٧٥ هـ •
- ١٦٧ — صورة المرأة في الرواية المعاصرة •
تأليف الدكتور طه وادى • مركز كتب الشرق الاوسط ، ١٩٧٣ م •
- ١٦٨ — صيد الخاطر •
ابن الجوزى ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزى •
مراجعة وتعليق الشيخ علي الطنطاوى ، تحقيق ناجي طنطاوى •
دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •
- ١٦٩ — طبقات الحفاظ •
السيوطي ، عبد الرحمن بن الي بكر السيوطي ، تحقيق علي محمد عمر •
مكتبة وهبه ، القاهرة ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م •
- ١٧٠ — طبقات الحنابلة •
لابن ابي عمير ، ابي الحسين • مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة •
- ١٧١ — الطب محراب الايمان •
جلبي ، خالص جلبي •
دار الكتب العربية ، بيروت ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م •
- ١٧٢ — عبقرية العرب في العلم والفلسفة •
فروخ ، عمر فروخ ، الطبعة الثانية ، المكتبة العلمية ، بيروت •
١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م •

- ١٧٣ — عقري الاصلاح والتعليم الامم محمد عبده •
العقاد ، عباس محمود العقاد •
دارالكتاب العربي ، بيروت — لبنان •
- ١٧٤ — العدالة الاجتماعية في الاسلام •
قطب ، سيد قطب • دارالشرق ، بيروت ، القاهرة
١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م •
- ١٧٥ — العروة الوثقى •
تأليف جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده •
الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م ، دارالكتاب العربي ،
بيروت •
- ١٧٦ — العقائد الاسلامية •
سابق ، سيد سابق ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م •
دارالنصر للطباعة •
- ١٧٧ — العقائد النسفية •
النسفي ، عمر بن محمد النسفي • مطبعة ونشر مكتبة المثني ببغداد •
- ١٧٨ — العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية •
النهباني ، يوسف بن اسماعيل النهباني •
- ١٧٩ — العقيدة الاسلامية واسسها •
حبنكة ، الاستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني •
الطبعة الثانية ، ١٣٦٩ هـ — ١٩٧٩ م ، دارالقلم ، دمشق •
بيروت •
- ١٨٠ — عقيدة المسلم •
الغزالي ، الشيخ محمد الغزالي •
- ١٨١ — على مائدة القوان مع المفسرين والكتاب •
احمد محمد جمال • الطبعة الثانية ، دارالفكر — بيروت •

- ١٨٢ — العلمانية نشأتها ، وتطورها ، واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة •
الحوالي ، سفر عبد الرحمن •
دارمكة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م •
- ١٨٣ — العلم يدعو الى الايمان •
تأليف كريس موريسون ، ترجمة محمد صالح فلكي ، تصدير احمد حسن
الباقوري ،
تقديم احمد زكي ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، نيويورك ،
مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م •
- ١٨٤ — غاية المرام في علم الكلام •
الامدى ، سيف الدين الامدى ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ،
القاهرة ، ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م •
- ١٨٥ — الفتح الرباني •
الساعاتي ، احمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي •
الطبعة الاولى ، مطبعة الفتح الرباني •
- ١٨٦ — فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير •
الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني • شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر — الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ •
- ١٨٧ — الفرق بين الفرق •
البغدادي ، صدر الاسلام الاصولي عبد القادر بن طاهر محمد
البغدادي الاسفرائيني ،
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، نشر مكتبة ومطبعة محمد علي
اصبيح واولاده بميدان الازهر ، مطبعة المدني ، القاهرة •
- ١٨٨ — الفصل في الملل والاهواء والنحل •
ابن حزم ، الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهري •
الناشر مكتبة المثنى ببغداد •

١٨٩ — الفطرة والعقيدة الاسلامية — رسالة ماجستير اعداد حافظ محمد الجمبري

• اشرف الاستاذ محمد يوسف الشيخ جامعة ام القرى ، مكة المكرمة

١٣٦٩ هـ ، ١٩٧٩ م

١٩٠ — الفقه الاكبر •

ابو حنيفة ، النعمان بن ثابت • بشرح عبد الكريم تنان •

نشر وتوزيع مكتبة الفزالي ، ومكتبة ابن الفارض ، حماة •

١٩١ — الفقه الاكبر في التوحيد •

الشافعي ، محمد بن ادريس الشافعي • الطبعة الاولى ، المطبعة

الادبية بالازكية •

١٩٢ — الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي •

البهي ، الدكتور محمد البهي •

الطبعة الخامسة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ م

١٩٣ — الفهرست •

ابن النديم ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت —

لبنان •

١٩٤ — فواتح الرحوت •

للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري ، شرح مسلم

الثبوت للعلامة محب الله بن عبد الشكور • الطبعة الاولى ، بالمطبعة

الاميرية ببولاق ، ١٣٢٢ هـ •

١٩٥ — فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة •

الفزالي ، ابو حامد الفزالي ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ،

مطبعة البابي الحلبي ١٩٦١ م •

١٩٦ — في ظلال القرآن •

قطب ، سيد قطب • الطبعة الخامسة ١٣٨٦ — ١٩٧٦ م •

والطبعة الثامنة •

- ١٩٧ — في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة •
للدكتور محمد احمد خفاجي ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م •
- ١٩٨ — القادياني والقاديانية •
دراسة وتحليل ابو الحسن الندوي •
الدار السعودية للنشر ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م •
- ١٩٩ — قاسم امين •
تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي •
- ٢٠٠ — القاموس المحيط •
الفيروز ابادي ، محمد بن يعقوب الفيروز ابادي • مؤسسة الحلبي
وشركاه ، القاهرة •
- ٢٠١ — القرآن العظيم هدايته واعجازه في اقوال المفسرين •
عرجون ، محمد الصادق عرجون •
دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م • مكتبة
الكلبيات الازهرية •
- ٢٠٢ — القرآن الكريم ، دراسة •
ابو الخشب ، ابراهيم علي ابو الخشب ، دار الفكر العربي •
- ٢٠٣ — القرامطة •
ابن الجوزي ، الامام عبد الرحمن بن الجوزي • تحقيق محمد الصباغ •
المكتب الاسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م •
بيروت ، دمشق •
- ٢٠٤ — قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقران •
الجسر ، الشيخ نديم الجسر •
المكتب الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، بيروت — لبنان ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •
- ٢٠٥ — قصة الديانات •
مظهر ، سليمان مظهر ، الوطن العربي •

- ٢٠٦ — قصص الانبياء • — لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب —
النجار ، عهد الوهاب النجار •
مطبعة المدني القاهرة ، ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م ، الناشر
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع •
- ٢٠٧ — قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر •
اعداد ، عادل محمد محفوظ ابو عمشة • اشراف الاستاذ السعيد
السيد عبادة •
رسالة دكتوراه ، مطبوعة على الالة الكاتبة ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م •
- ٢٠٨ — كبرى اليقينيات الكونية •
الهوتي ، الدكتور محمد سعيد رمضان الهوتي •
الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع •
- ٢٠٩ — كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل •
ابن خزيمة ، محمد بن اسحق بن خزيمة ، راجعه وعلق عليه محمد
خليل هواس • دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ، ١٣٩٨ هـ —
١٩٧٨ م •
- ٢١٠ — الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه التأويل ، وهو تفسير
القران الكريم •
الزمخشري ، محمود بن عمر الزمخشري •
مطبعة الاستقامة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م •
- ٢١١ — كشف الاسرار عن اصول فخر الاسلام البيهقي •
البخارى ، علاء الدين عهد العزيز بن احمد البخارى •
مطبعة دار سعادت ، باستانبول ، ١٣٠٨ هـ •
- ٢١٢ — لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخارن •
البغدادي ، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي •
يطلب من المكتبة التجارية بمصر •

- ٢١٣ — لسان العرب •
ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور •
طبعة مصورة عن بولاق ، مطابع كونستانس ماس وشركاه ، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والنشر •
- ٢١٤ — لسان الميزان •
العسقلاني ، احمد بن حجر العسقلاني ، منشورات الاعلمي للمطبوعات ،
بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧١ م •
- ٢١٥ — للكون اله •
الشهابي ، عبد العزيز كامل الشهابي •
دار الاعتصام ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •
- ٢١٦ — اللع •
الاشعري ، علي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري ، صححه وقدم له
الدكتور حموده غرابية ، مطبعة مهر ، شركة مساهمة مصرية ، ١٩٥٥ م •
- ٢١٧ — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين •
الندوي ، ابو الحسن الندوي ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ،
الطبعة العاشرة ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م •
- ٢١٨ — مباحث في علوم القرآن •
الدكتور صبحي الصالح ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ،
بيروت •
- ٢١٩ — مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا •
دار الشهاب القاهرة •
- ٢٢٠ — مجموعة الرسائل والمسائل •
ابن تيمية ، شيخ الاسلام ابي العباس احمد بن عبد الحلیم بن تيمية •
- ٢٢١ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية •
ابن تيمية ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحلیم • جمع وترتيب
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، الطبعة
الاولى ١٣٨١ هـ •

- ٢٢٢ — محاضرات في مقارنة الاديان •
ابوزهرة ، الامام محمد ابوزهرة ، مطبعة يوسف ، القاهرة •
- ٢٢٣ — المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة علم •
الجندي ، انور الجندي •
مطبعة الرسالة ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م •
- ٢٢٤ — محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم •
رضا ، محمد رضا ، مطبعة عيسى البابي الحلبي •
- ٢٢٥ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين •
تحقيق وتقديم الاستاذ سليمان دنيا • دار احياء الكتب العربية ،
الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م • عيسى البابي الحلبي وشركاه •
- ٢٢٦ — محيط المحيط •
بستاني ، بطرس البستاني ، لبنان ، مؤسسة جواد للطباعة •
- ٢٢٧ — مختار الصحاح •
الرازي ، محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي •
دار الكتاب العربي ، بيروت — لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م •
- ٢٢٨ — مختصر تفسير ابن كثير •
اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني •
دار القرآن الكريم ، بيروت — لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١ هـ •
- ٢٢٩ — مختصر الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة • مختصر الموصلي
تحقيق محمد حامد الققي ، وعد الرزاق حمزه ، مكة المكرمة ١٣٤٨ هـ •
- ٢٣٠ — المختصر في اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل •
ابن اللحام ، علي بن محمد بن علي بن عباس بن شيخان البغلي ثم
الدمشقي الحنبلي •
علاء الدين " ابو الحسن المعروف بابن اللحام •
حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور محمد مظهربقا ،
١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م •

- ٢٣١ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد و اياك نستعين •
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب الزويي الدمشقي الشهير
بابن القيم •
دار الفكر العربي ، مطبعة انصار السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م •
- ٢٣٢ - مذاهب الاسلاميين •
الدكتور عبد الرحمن بدوي ، دار الملايين ، بيروت - لبنان •
- ٢٣٣ - المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها •
عميرة ، عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م •
- ٢٣٤ - مذكرات قليني فهي •
الطبعة الثانية ، القاهرة •
- ٢٣٥ - مذكرات محمد فريد •
حققه الدكتور رؤوف عباس حامد •
مطبعة الجبلاوي ، نشر طالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٥ م • القسم الاول •
- ٢٣٦ - مذكراتي في نصف قرن •
تأليف احمد شفيق باشا • الجزء الاول ، مطبعة مصر ، الطبعة
الاولى ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م •
- ٢٣٧ - المرأة المسلمة •
تأليف محمد فريد وجدى ، مطبعة الترقى ، الطبعة الاولى ، ١٣١٩ هـ
- ١٩٠١ م •
- ٢٣٨ - المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم •
حجازى ، عوض الله جاد حجازى •
الطبعة الرابعة ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة •
- ٢٣٩ - المستدرك •
الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابورى المشهور بالحاكم •
مطابع النصر الحديثة •

- ٢٤٠ — المستصفي من علم الاصول • وبهامشه فواتح الرحموت •
الغزالي ، ابو حامد الغزالي ، محمد بن محمد • الطبعة الاولى
بالمطبعة الاميرية ببولاق ، ١٣٢٢ هـ •
- ٢٤١ — المسرحية في الادب العربي الحديث •
تأليف الدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثانية
١٩٦٧ م •
- ٢٤٢ — المسند •
الشياني ، الامام احمد بن محمد بن حنبل الشياني •
المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دار صادر بيروت لبنان •
- ٢٤٣ — مشكلات الجيل في ضوء الاسلام •
المجنوب ، محمد المجنوب •
دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •
- ٢٤٤ — المصطلحات الاربعة بين المودودي ومحمد عبده •
الجبري ، عبد المتعال الجبري •
دار الاعتصام ، الطبعة الثانية •
- ٢٤٥ — مع المصطفى صلى الله عليه وسلم •
بنت الشاطي ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن — بنت الشاطي •
دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٢ م •
- ٢٤٦ — مع القران الكريم •
الحوفي ، الدكتور احمد محمد الحوفي ، دار النهضة للطباعة والنشر ،
مصر •
- ٢٤٧ — المعتمد في اصول الدين •
ابو يعلى ، محمد بن الحسين بن خلف الحنبلي ، تحقيق الدكتور
وديع زيدان حداد ، دار المشرق ، بيروت — لبنان •

- ٢٤٨ - المعجزة الكبرى القرآن •
ابوزهرة ، الشيخ محمد ابوزهرة ، دار الفكر العربي •
- ٢٤٩ - المعجم الكبير •
مجمع اللغة العربية ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠م •
- ٢٥٠ - المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي •
رتبه ونظمه جماعة من المستشرقين • (ونسك) •
مكتبة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٣٦م •
- ٢٥١ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم •
وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت •
- ٢٥٢ - المعجم الوسيط •
اخراج ابراهيم مصطفى ، اشرف على لبعه عبد السلام هارون •
- ٢٥٣ - المعني في ابواب التوحيد والعدل •
للقاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى حطبي ، والدكتور
ابو الوفا الخنيزي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر •
- ٢٥٤ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة •
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب الزري الدمشقي • ابن قيم
الجوزية •
طبعة القاهرة ١٣٢٣هـ •
- ٢٥٥ - المفردات في غريب القرآن • او مفردات الراغب •
الاصفهاني ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني •
تحقيق محمد سيد كيلاني ، الناشر مصطفى الهادي الحلبي بمصر
١٣٨١هـ - ١٩٦١م •
- ٢٥٦ - مقارنة الاديان •
شلي ، الدكتور احمد شلي •
الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢م ، مكتبة النهضة ، القاهرة •

- ٢٥٧ — مقاصد الطالبين ، وشرحه •
التافتازاني ، سعد الدين التافتازاني ، دارالطبعة العامة ١٢٧٧ هـ •
- ٢٥٨ — مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين •
الاشعري ، علي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري ، تحقيق محمد
محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •
- ٢٥٩ — مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط •
الدكتور مكي شبكية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٢ م •
- ٢٦٠ — مقدمة ابن خلدون •
ابن خلدون ، العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون •
مطبعة التقدم بمصر ، ١٣٢٩ هـ •
- ٢٦١ — مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث •
ابن الصلاح ، للعلامة ابي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري •
تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •
- ٢٦٢ — الطل والنحل •
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني •
طبعة دارالاتحاد العربي ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ م ، الناشر مكتبة المثنى
بيгдаاد •
- ٢٦٣ — مناقب الامام احمد بن حنبل •
ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي •
الطبعة الثانية ، منشورات دارالافتاى الجديدة ، بيروت •
- ٢٦٤ — مناهج الادلة في عقائد الملة •
ابن رشد ، ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد ، مع مقدمة محمود قاسم
وتحقيقه ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية •
- ٢٦٥ — مناهج المفسرين •
تأليف الدكتور منيع عبد الحليم محمود ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٨ م •

- ٢٦٦ — مناهل العرفان •
الزرقاني ، محمد عبد العظيم الزرقاني •
الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر •
- ٢٦٧ — من روائع القرآن ، تأملات علمية رادبية في كتاب الله عز وجل •
البوطي ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي • مكتبة القاربي •
- ٢٦٨ — من زعماء الاصلاح محمد عبده •
تأليف احمد امين • مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٦٠م •
- ٢٦٩ — منهج المسلم •
الجزائري ، ابو بكر جابر الجزائري • الطبعة الثامنة •
- ٢٧٠ — منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات •
الشنقيطي ، محمد الامين الجكني الشنقيطي • طبع في مؤسسة مكة
للطباعة والاعلام • توزيع الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة •
- ٢٧١ — المهدوية في السودان •
تأليف ب. م. هولت ، ترجمة الدكتور جميل عبيد ، دار الفكر العربي •
- ٢٧٢ — موافقة صحيح المنقول لصريح المنقول •
ابن تيمية ، شيخ الاسلام ابي العباس احمد بن عبد الحلیم بن تيمية •
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ومحمد حامد الققي •
مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١م •
- ٢٧٣ — المواقف •
الايجي ، محمد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي •
الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ — ١١٠٧م ، مطبعة السعادة بجوار محافظة
مصر •
- ٢٧٤ — الموسوعة العربية الميسرة •
ريحاني ، البرت ریحاني ، وآخرون من الاساتذة •
دار الشعب ، القاهرة ، ومؤسسة فرنكلين ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م •

٢٧٥ — الموطأ •

الامام مالك • ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر
الاصبحي المدني • تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي • مطبعة عيسى
البابي الحلبي وشركاه • دار احياء الكتب العربية • ١٣٧٠هـ — ١٩٥١م •

٢٧٦ — موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعجابه المرسلين •

تأليف مصطفى صبري •

المكتبة الاسلامية ١٣٦٩هـ — ١٩٥٠م •

٢٧٧ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال •

الذهبي • شمس الدين محمد بن احمد عثمان الذهبي • تحقيق علي

محمد الهجاوي •

الطبعة الاولى • دار المعرفة للطباعة والنشر • ١٣٨٢هـ — ١٩٦٣م •

بيروت — لبنان •

٢٧٨ — النبأ العظيم — نظرات جديدة في القرآن •

درازة • محمد عبد الله درازة •

الطبعة الثالثة • ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م • دار القلم • الكويت •

٢٧٩ — النبوات •

ابن تيمية • احمد بن عبد الحلیم بن تيمية • مكتبة الرياض الحديثة •

٢٨٠ — نبوة محمد في القرآن •

عمر • الدكتور حسن ضياء الدين عمر •

الطبعة الاولى • دار النصر • حلب • سوريا •

٢٨١ — النبوة والانبياء •

الصابوني • الشيخ محمد علي الصابوني • الطبعة الثانية • ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م •

١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م •

٢٨٢ — النبوة والانبياء في ضوء القرآن •

الندوي • ابو الحسن الندوي • الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م •

المختار الاسلامي للطباعة والنشر •

- ٢٨٣ - النجاة •
ابن سينا ، أبو طي ، الحسين بن عبد الله بن سينا •
الطبعة الثانية ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م •
- ٢٨٤ - نحو القرآن •
البهي ، الدكتور محمد البهي ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م •
مكتبة وهبة •
- ٢٨٥ - نظرات في القرآن •
الغزالي ، الشيخ محمد الغزالي • الطبعة الرابعة ، ١٣٨٣ هـ -
١٩٦٣ م • دار الكتب الحديثة •
- ٢٨٦ - نقض اوهام المعادية الجدلية (الديالكتيكية) •
البوطي ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي •
دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م •
- ٢٨٧ - نقض المنطق •
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم بن تيمية •
مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م •
- ٢٨٨ - النكت في اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن •
الرواني ، ابو الحسن علي الرواني •
- ٢٨٩ - نهاية الاقدام في علم الكلام •
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني ،
حرره وصححه الفرد خيوم •
- ٢٩٠ - نهج البلاغة •
وهو مجموع ما اختاره الشريف ابي الحسن محمد الرضي ابي الحسن
الموسوي من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ، شرح الاستاذ محمد عمده ، اشرف على طبعه وزاد في شرحه
عبد العزيز سيد الاهل ، منشورات مكتبة الاندلس ، بيروت - لبنان ،
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م •

- ٢٩١ — الواهب الصيب ورافع الكلم الطيب ، او الكلم الطيب والعمل الصالح
ابن القيم ، محمد ابن ابي بكر بن ايوب ، حققه وعلق عليه الشيخ
اسماعيل بن محمد الانصاري ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث والافتاء
والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ، الرياض .
- ٢٩٢ — الوحي المحمدي ،
رضا ، محمد رشيد رضا ، الدليفة السادسة ، ١٣٢٥ هـ مطبعة
نهضة مصر .
- ٢٩٣ — الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام ،
تأليف المهندس احمد عبد الوهاب ، الطبعة الاولى ، دار النهضة
العربية .
- ٢٩٤ — وفيات الاعيان وانها ابناء الزمان ،
ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، تحقيق الدكتور
احسان عباس ،
دار صادر بيروت .

قائمة بأسماء الدوريات ومكان صدورها وتاريخها

=====

- ٢٩٥ — مجلة المنار ، محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ١٨٩٨م — ١٣١٥ هـ .
- ٢٩٦ — مجلة فتاة الشرق ، لبيب هاشم ، القاهرة ١٦ ١٩٠٦م .
- ٢٩٧ — مجلة المجتمع الاسلامي ، تصدرها جمعية الاصلاح الاجتماعي ،
- الكويت .
- ٢٩٨ — مجلة القطف ، يعقوب صوف وفارس النمر ، القاهرة ١٨٧٦م .
- ٢٩٩ — مجلة المصرية ، هدى شعراوي ، القاهرة ١٩٣٧م .
- ٣٠٠ — مجلة الاعتصام ، احمد عيسى عاشور ، القاهرة ١٩٣٩م .
- ٣٠١ — مجلة انيس الجليس ، الكسندرة افرينو ، الاسكندرية ١٨٩٨م .
- ٣٠٢ — مجلة الضياء ، ابراهيم اليازجي ، القاهرة ١٨٩٨م .
- ٣٠٣ — مجلة المؤيد ، الشيخ علي يوسف ، القاهرة ١٨٨٩م .
- ٣٠٤ — مجلة اللواء ، مصطفى كامل ، القاهرة ١٩٠٠م .

=====

فهرس الموضوعات

=====

رقم الصفحة	الموضوع
=====	=====
١	شكر وتقدير
٩ - ٢	القدمة
الباب الاول	
=====	
١٠ - ١٤٨	الشيخ " محمد عبده " عصره وحياته ومصادر ثقافته . (الفصل الاول)
١١ - ٣١	عصره وا هم مظاهر الحياة فيه .
١٤ - ١٧	الحياة السياسية والاقتصادية
١٨ - ٢٤	الحياة الثقافية والادبية
٢٥ - ٢٩	الحياة الدينية والاجتماعية
٣٠ - ٣١	عصر الضعف الاسلامي العام (الفصل الثاني)
٣٢ - ٦١	اطوار حياته
٣٢ - ٤٦	الطور الاول : مولده ونشأته وتعلمه
٤٧ - ٦١	الطور الثاني : طور حياته العملية (الفصل الثالث)
٦٢ - ٧٠	شخصيته واخلاقه
٦٣ - ٦٦	الصورة الاولى
٦٦ - ٧٠	الصورة الثانية

(الفصل الرابع)

- ١١٦ - ٧١ شيوخه وتلاميذه
٩٤ - ٧٣ أ - شيوخه
٧٨ - ٧٣ ١ - د رويش بن خضر
٨٢ - ٧٩ ٢ - محمد عيش
٩٤ - ٨٣ ٣ - جمال الدين الاففاني
١١٦ - ٩٥ ب - تلاميذه
١٠١ - ٩٧ ١ - محمد رشيد رضا
١٠٥ - ١٠٢ ٢ - محمد مصطفى المواقفي
١٠٨ - ١٠٦ ٣ - مصطفى عبد الرازقي
١١٠ - ١٠٩ ٤ - احمد لطفي السيد
١١٦ - ١١٠ ٥ - قاسم امين
١١٦ ٦ - سعد زغلول

(الفصل الخامس)

- ١٣٤ - ١١٧ • ثقافة الشيخ " محمد عبده " ومواهبه واثاره
١٢٣ - ١١٧ المبحث الاول : مصادر ثقافته
١٢٨ - ١٢٤ • المبحث الثاني : مواهبه
١٣٤ - ١٢٩ • المبحث الثالث : تراثه الادبي والفكري

(الفصل السادس)

- ١٤٨ - ١٣٥ • مذهبه في الاصلاح ومنهجه في الدعوة والبحث
١٣٩ - ١٣٧ • اولاً : اهداف تفكيره
١٤٨ - ١٣٩ • ثانياً : جوانب تفكيره
١٤٠ ١ - الجانب القومي والوطني
١٤٢ - ١٤١ • ٢ - الجانب الاجتماعي
١٤٣ - ١٤٢ • ٣ - الجانب التربوي
١٤٨ - ١٤٣ • ٤ - الجانب العقدي

الباب الثاني

=====

- ٤٤٨ - ١٤٩ الالهيات في فكر الشيخ " محمد عبده "
- ١٥٢ - ١٥٠ تعريف الالهيات
- (الفصل الاول)
- ١٦٥ - ١٥٣ أ - رأى " الشيخ محمد عبده " في معرفة الله تعالى
- ١٧١ - ١٦٦ . رأى المختار في هذا الموضوع
- ١٨٣ - ١٧٢ ب - رأى " الشيخ محمد عبده " في اثبات وجوده تعالى
- ١٧٤ - ١٧٢ الطريق الاول
- ١٧٦ - ١٧٤ الطريق الثاني
- ٢٠٧ - ١٨٤ رأى المختار في الاستدلال على الباري سبحانه
- ١٩٤ - ١٨٦ المسلك الاول ، الرد على من انحرف فطرهم
- ٢٠٢ - ١٩٥ المسلك الثاني : العناية الالهية بما يرى في العالم
- ٢٠٧ - ٢٠٣ آيات قرآنية تجمع بين المسلكين
- (الفصل الثاني)
- ٢٣٣ - ٢٠٨ وحدانية الله تعالى
- ٢١٠ - ٢٠٩ رأى الشيخ " محمد عبده " العقلي في اثبات الوحدة
- ٢١٥ - ٢١٠ رأى الشيخ " محمد عبده " الشرعي في اثبات اله واحد
- ٢٢٩ - ٢١٦ مناقشة رأى الشيخ " محمد عبده " في الوجدانية
- ٢٣٣ - ٢٣٠ المعنى الاجمالي للتوحيد عند السلف
- (الفصل الثالث)
- ٣٨٩ - ٢٣٤ صفات الله تعالى وكمالاته
- ٢٣٨ - ٢٣٤ تمهيد
- ٢٤٢ - ٢٣٩ العلاقة بين الذات والصفات

- ٢٦٠ - ٢٤٣ مذهب السلف في الصفات
- ٢٥١ - ٢٤٨ ١ - صفات الله قديمة
- ٢٥٢ - ٢٥١ ٢ - صفات الله قائمة بذاته
- ٢٦٠ - ٢٥٢ ٣ - صفات الله زائدة عن ذاته
- تقويم كلام الشيخ محمد عبده في العلاقة بين الذات
- ٢٦٤ - ٢٦١ الالهية وصفاتها •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " الحياة " وبيان
- ٢٧٠ - ٢٦٥ مذهب السلف •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " العلم " وبيان مذهب
- ٢٧٨ - ٢٧١ السلف •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " الارادة " وبيان
- ٢٨٨ - ٢٧٩ مذهب السلف •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " القدرة " وبيان
- ٢٩٨ - ٢٨٩ مذهب السلف •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " الكلال " وبيان
- ٣١٨ - ٢٩٩ مذهب السلف
- رأى الشيخ محمد عبده في صفتي " السمع والبصر "
- ٣٣٣ - ٣١٩ وبيان مذهب السلف •
- ٣٨٩ - ٣٣٤ الصفات الخيرية
- ٣٤٠ - ٣٣٤ تمهيد
- ٣٤٣ - ٣٤١ موقف الشيخ " محمد عبده " من الصفات الخيرية •
- ٣٤٧ - ٣٤٤ • موقف السلف من التأويل ✓
- ٣٥٦ - ٣٤٩ ✓ صفة الاستواء له تعالى ✓
- ٣٦٠ - ٣٥٧ ✓ صفة النزول له تعالى ✓

٣٦٥ - ٣٦١	✓ صفة الوجه له تعالى
٣٧٠ - ٣٦٦	✓ صفة العين له تعالى
٣٧٥ - ٣٧١	✓ صفة اليد له تعالى
٣٧٩ - ٣٧٦	✓ صفة الاصابع له تعالى
٣٨٥ - ٣٨٢	✓ صفة القدم او الرجل له تعالى
٣٨٩ - ٣٨٦	✓ صفة المجبة وصفة البغض له تعالى
	(الفصل الرابع)
٤٤٨ - ٣٩٠	افعال الله تعالى
٣٩٩ - ٣٩٠	المبحث الاول : تحليل افعال الله تعالى
٤١٤ - ٤٠٠	المبحث الثاني : خلق افعال العباد
٤١٨ - ٤١٥	المبحث الثالث : حسن الافعال وقبحها .
٤٢٦ - ٤١٩	المبحث الرابع : القضاء والقدر
٤٤٨ - ٤٢٧	المبحث الخامس : جواز رؤيته تعالى في الآخرة .

الباب الثالث

=====

٦١٦ - ٤٤٩	(النهايات)
٤٥١ - ٤٥٠	تمهيد
	(الفصل الاول)
٤٧٩ - ٤٥٢	النبي والرسول
٤٥٣ - ٤٥٢	كلام الشيخ محمد عبده في النبي والرسول
٤٥٧ - ٤٥٣	الراى في كلام الشيخ محمد عبده
٤٦٦ - ٤٥٧	مذهب السلف في النبوة والرسالة
٤٦٨ - ٤٦٧	راى الشيخ محمد عبده في صفات الانبياء .

٤٧٢ — ٤٦٨ مناقشة رأى الشيخ محمد عبده ، وتقرير مذهب السلف في صفات الانبياء

٤٧٩ — ٤٧٢ مسألة سحر النبي صلى الله عليه وسلم . ✓

(الفصل الثاني)

٥٠٧ — ٤٨٠ حاجة البشر الى الرسالة

٤٨٤ — ٤٨١ معتقد الشيخ محمد عبده في وجه الحاجة الى الرسالة

٤٨٣ — ٤٨١ المسلك الاول : خلود النفس وحياتها بعد الموت

٤٨٤ — ٤٨٣ المسلك الثاني : حاجة الانسان الى العيش مع جماعة

٥٠٧ — ٤٨٥ معتقد السلف في وجه الحاجة الى الرسالة .

٥٠٠ — ٤٨٦ المسلك الاول : خلود النفس وحياتها بعد الموت

المسلك الثاني :

٥٠٣ — ٥٠٠ أ : حاجة الانسان الى العيش مع جماعة

٥٠٧ — ٥٠٤ ب : ايمان الانسان بعجزه .

(الفصل الثالث)

٥١٧ — ٥٠٨ الوحي وامكانه

٥٠٩ — ٥٠٨ تعريف الوحي عند الشيخ محمد عبده

٥١٠ — ٥٠٩ امكان حصول الوحي

٥١٢ — ٥١٠ رأى الشيخ محمد عبده في وقوع الوحي

٥١٧ — ٥١٣ النظر في مذهب الشيخ محمد عبده بخصوص الوحي وامكانه

(الفصل الرابع)

٥٢٦ — ٥١٨ وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام

٥١٩ — ٥١٨ كلام الشيخ محمد عبده في وظيفة الرسل عليهم السلام

٥٢١ — ٥١٩ النظر في كلام الشيخ محمد عبده بخصوص وظيفة الرسل

٥٢٦ — ٥٢٢ عود على بدء .

(الفصل الخامس)

- ٦١٦ - ٥٢٧ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والقران معجزة الاسلام الخالدة
- ٥٣١ - ٥٢٧ أ : رأى الشيخ محمد عبده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
- ٥٣٥ - ٥٢٢ ب : رأى الشيخ محمد عبده في القران معجزة الاسلام الخالدة •
- وقفة مع كلام الشيخ محمد عبده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
- ٥٤١ - ٥٣٦ ومعجزة القران الكريم •
- ٥٤٤ - ٥٤٢ معنى المعجزة
- ٥٤٧ - ٥٤٥ شروطها
- ٥٥١ - ٥٤٨ امكانها
- ٥٥٤ - ٥٥٢ دلالتها
- ٥٥٦ - ٥٥٤ الفرق بين المعجزة وبين الكرامة
- ٥٥٨ - ٥٥٦ الفرق بين المعجزة وبين السحر
- ٥٦٠ - ٥٥٨ الفرق بين المعجزة وبين المتكشف العلمي •
- ٥٨٢ - ٥٦٢ كلام السلف في القران - معجزة الاسلام الخالدة
- ٥٦٥ - ٥٦٢ ١ - حقيقة المعجزة القرآنية
- ٥٧٦ - ٥٦٦ ٢ - مظاهر الاعجاز في القران الكريم
- ٥٨٢ - ٥٧٦ رأى الشيخ محمد عبده • والرأى المختار
- بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم التي ورد ذكرها في القران
- ٥٨٩ - ٥٨٣ والسنة •
- ٦١٦ - ٥٩٠ موقف الشيخ محمد عبده من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع

=====

٨٧٩ - ٦١٧

(السمعيات)

٦١٩

تمهيد

٧١٦ - ٦٢٠

اولا - رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة والجن

- ٦٢٩ - ٦٢٠ أ - رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة
- ٦٥٧ - ٦٣٠ وقفة مع رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة •
- ٦٧٥ - ٦٥٨ رأى السلف والخلف في الملائكة
- ٦٦١ - ٦٥٨ وجودهم
- ٦٦٧ - ٦٦٢ صفاتهم الخلقية
- ٦٧٥ - ٦٦٨ اصنافهم ووظائفهم
- ٦٨٠ - ٦٧٦ ب - رأى الشيخ محمد عبده في الجن
- ٦٨١ - ٦٨٠ تعقيب
- ٦٩٨ - ٦٨١ رأى السلف وجمهور العلماء في الجن
- ٦٨٢ - ٦٨١ وجوب الاعتقاد بوجودهم
- ٦٨٣ - ٦٨٢ خلق الجن
- ٦٩٢ - ٦٨٣ صفاتهم الخلقية
- ٦٩٨ - ٦٩٣ بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية
- ٧١٦ - ٦٩٩ علاقة الجن مع الانس وموقف الشيطان من الانسان
- ٧٠٣ - ٦٩٩ أ علاقة الجن مع الانس
- ٧١٦ - ٧٠٣ ب: موقف الشيطان من الانسان
- ٧٠٧ - ٧٠٣ الوجه الاول : عداوة الشيطان للانسان
- ٧١٦ - ٧٠٧ الوجه الثاني : التحصن والتحرز من وساوس الشيطان
- ٧٣٦ - ٧١٧ ثانيا : موقف الشيخ محمد عبده من اليوم الاخر •
- ٧٢٧ - ٧١٧ الامر الاول : ما يتعلق بالموت
- ٧٣٠ - ٧٢٨ أ : فتنة القبر وسؤال الملكين
- ٧٣٦ - ٧٣١ ب: عذاب القبر ونعيمه
- ٧٢٦ - ٧٢٧ الامر الثاني : ما يتعلق بالساعة واشراطها
- ٧٤٠ - ٧٣٧ رأى الشيخ محمد عبده

٧٤٦ — ٧٤٠	مناقشة رأى الشيخ محمد عبده وتقرير مذهب السلف
٧٧٦ — ٧٤٧	اشراط الساعة
٧٥١	١ — الدخان
٧٥٨ — ٧٥٢	٢ — الدجال
٧٦٠ — ٧٥٩	٣ — الدابة
٧٦٢ — ٧٦١	٤ — طلوع الشمس من مغربها
٧٧٣ — ٧٦٢	٥ — نزول عيسى بن مريم عليه السلام
٧٧٥ — ٧٧٣	٦ — يأجوج ومأجوج
٧٧٥	٧ — خسف بالمشق
٧٧٥	٨ — خسف بالمغرب
٧٧٥	٩ — خسف بجزيرة العرب
٧٧٦ — ٧٧٥	١٠ — نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم
٧٧٦	الخلاصة
٨٧٩ — ٧٧٧	الامر الثالث : ما يتعلق بيوم القيامة واحداثها
٧٨٣ — ٧٧٧	اولا : بداية يوم القيامة
٧٩٥ — ٧٨٤	ثانيا : البعث والحشر
٨٠٠ — ٧٩٥	مذهب السلف في البعث والحشر
٨٢٤ — ٨٠١	ثالثا : الشفاعة والحوض
٨٠٤ — ٨٠١	أ : الشفاعة
٨١٣ — ٨٠٥	تقويم كلام الشيخ محمد عبده في الشفاعة
٨٢٤ — ٨١٤	ب — الحوض
٨٤٢ — ٨٢٥	رابعا : العرض والحساب والجزاء
٨٢٦ — ٨٢٥	أ : رأى الشيخ محمد عبده في العرض
٨٣٠ — ٨٢٦	ب : رأى الشيخ محمد عبده في الحساب

- ٨٣١ - ٨٣٠ ج : رأى الشيخ محمد عبده في الجزء
٨٣٢ - ٨٣١ تقويم كلام الشيخ محمد عبده
٨٤٢ - ٨٣٢ ايمان السلف بالعرض والحساب والجزاء
٨٥١ - ٨٤٣ خامسا : الميزان والوزن
٨٤٥ - ٨٤٣ رأى الشيخ محمد عبده في الميزان
٨٥١ - ٨٤٦ نقد رأى الشيخ محمد عبده في الميزان
٨٥٩ - ٨٥٢ سادسا : الصراط والمرور عليه
٨٥٤ - ٨٥٢ رأى الشيخ محمد عبده في الصراط
٨٥٩ - ٨٥٥ مذهب السلف في الصراط
٨٧٩ - ٨٦٠ سابعا : الجنة والنار والخلود في كل منهما
٨٦٩ - ٨٦٠ رأى الشيخ محمد عبده في الجنة والنار
٨٧٠ - ٨٦٩ مناقشة هذا الرأى
٨٧٩ - ٨٧١ مذهب السلف في الجنة والنار
٨٧٥ - ٨٧١ أ : مذ هبهم في الجنة
٨٧٧ - ٨٧٦ ب : مذ هبهم في النار
٨٧٩ - ٨٧٧ ج : خلود الجنة والنار
٩٢١ - ٨٨٠ (الخاتمة)
أ : رأى الشيخ محمد عبده في حجية خبر الواحد في
٨٨٤ - ٨٨٢ الاستدلال على العقائد •
٨٨٨ - ٨٨٥ مناقشة ونقض هذا الرأى
٩٠١ - ٨٨٨ رأى السلف في حجية خبر الواحد
٩٢١ - ٩٠٢ ب : قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر •
٩٥٨ - ٩٢٢ فهرس المصادر والمراجع العامة والدوريات
٩٦٨ - ٩٥٩ فهرس الموضوعات